التوحيد أوَّلاً وعلوُّ الهمة في رعاية حقوق الله والتمسك بعقيدة سلفنا الصالح أهل السنة والجماعة ومنهجهم

✍ التوحيد هو أسُّ دعوة رسل الله أجمعين، وبه الفلاح في الداريْن.

□ قال العلَّامة ابنُ أبي العِزِّ الحَنَفِيِّ: «اعلم أن التوحيد أوَّلُ دعوةِ الرسل، وأوَّلُ منازلِ الطريق، وأوَّلُ مقام يقوم فيه السالك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

* قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

* وقال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ولهذا كان أول واجب يجب على المُكَلَّفِ شهادة أن لا إله إلَّا الله، لا النَّظَر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشَكُّ، كما هي أقوالٌ لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متَّفقون على أنَّ أوَّلَ ما يُؤمَر به العبد الشهادتان.. فالتوحيد أوَّلُ ما يَدْخُلُ به العبد في الإسلام، وآخِرُ ما يخرُجُ به من الدنيا، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلَّا الله دخل الجنة»**(١).

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن معاذ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٧٩)، و«الإرواء» (٦٨٧)، و«أحكام الجنائز» =

وهو أوَّلُ واجب، وآخِرُ واجبٍ، فالتوحيدُ أوَّلُ الأمرِ وآخِرُهُ، أعني توحيد الألوهية»[١].

□ والتوحيد أعظمُ أسباب انشراح الصَّدْر وهو أعظم درجات الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ.

□ والتوحيد مَفْزَعُ أولياء الله الصالحين «يُنجِّيهم من كُرُبات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزِع إليه يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنجَّاه الله من تلك الظلماتِ، وفَزِع إليه أتباع الرُّسُل، فَنُجُّوا به مما عُذِّب به المشركون في الدنيا، وما أُعِدَّ لهم في الآخرة.. هذه سُنَّة اللهَ في عباده، فما دُفِعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكَرْب بالتوحيد[٢]، ودعوةُ ذي النُّون التي ما دعا بها مكروبٌ إلَّا فرَّج الله كربَه بالتوحيد، فلا يُلقِي في الكُرَب العظامِ إلَّا الشرك، ولا يُنجي منها إلَّا التوحيد، فهو مفزَعُ الخليقةِ وملجؤها، وحِصنُها وغياثُها»[٣].

□ «والتوحيد ألطف شيءٍ، وأنزهُهُ، وأنظفُه، وأصفاهُ» كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه القيم «الفوائد».

مِن فتاوى الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ:

التوحيد أوَّلاً يا دُعاة الإسلام:

□ سُئِل فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني شيخ السلفيِّين

(٦٤٧٩).

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العزِّ الحنفي (٧٧، ٧٨).

(٢) كما رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠) عن ابن عباس.

(٣) «الفوائد» لابن القيم، و«فوائد الفوائد» (ص٤٤، ٤٥).

ومحدث الديار الشاميّة رحمه الله:

فضيلة الشيخ لا شك أنكم تعلَمون بأن واقعَ الأمة الديني واقعٌ مريرٌ؛ من حيث الجهل بالعقيدة، ومسائل الاعتقاد، ومن حيث الافتراق في المناهج، وإهمال نشرِ الدعوة الإسلامية في أكثر بقاعِ الأرض طبقًا للعقيدةِ الأولى، والمنهج الأول؛ الذي صلحتْ به الأمة.

وهذا الواقعُ الأليم لا شكّ بأنه قد ولّد غِيرةً عند المخلصين، ورغبةً في تغييره، وإصلاح الخلل، إلّا أنهم اختلفوا في طريقتهم في إصلاحِ هذا الواقع؛ لاختلافِ مشاربهم العقدية والمنهجية -كما تعلم ذلك فضيلتكم- من خلالِ تعدد الحركات والجماعات الإسلامية والحزبية التي ادّعت إصلاح الأمة الإسلامية عشرات السنين، ومع ذلك لم يُكتب لها النجاحُ والفلاحُ، بل تسببت تلك الحركات للأمة في إحداثِ الفتن، ونزول النكبات والمصائب العظيمةِ بسبب مناهجها وعقائِدها المخالفة لأمرِ الرسول ﷺ وما جاء به، مما تركَ الأثر الكبير في الحيرة عند المسلمين وخصوصًا الشباب منهم في كيفية مُعالجة هذا الواقع.

وقد يشعرُ الداعيةُ المسلم المتمسك بمنهاج النبوة المتبع لسبيلِ المؤمنين - المتمثل في فهم الصَّحابة والتابعين لهم بإحسانٍ من علماء الإسلام- قد يشعر بأنَّه حمل أمانةً عظيمةً تجاه هذا الواقع وإصلاحه، أو المشاركة في علاجه.

- فما هي نصيحتُكم لأتباعِ تلك الحركات، أو الجماعات؟
- وما هي الطُرُق النافعة الناجحة في مُعالجة هذا الواقع؟
- وكيف تبرأ ذِمّةُ المسلم عند الله عز وجل يوم القيامة؟

□ فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجبُ العنايةُ والاهتمامُ بالتوحيدِ أولًا، كما هو منهج الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

بالإضافةِ لما ورد في السؤال السابق ذكره آنفًا من سوء واقع المسلمين.

نقول: إن هذا الواقع الأليم ليس شرًا مما كان عليه واقع العرب في الجاهلية، حينما بعث إليهم نبينا محمد ﷺ؛ لوجود الرسالة بيننا وكمالها، ووجود الطائفة الظاهرة على الحق، والتي تهدي به، وتدعو الناس للإسلام الصحيح؛ عقيدةً، وعبادةً، وسلوكًا، ومنهجًا.

ولا شك بأن واقع أولئك العرب في عصرِ الجاهلية مماثل لما عليه كثير من طوائف المسلمين اليوم!.

بناءً على ذلك نقول: العلاج هو ذاك العلاج، والدواء هو ذاك الدواء، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى، فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم جميعهم أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى: «لا إله إلَّا الله»، ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه.

ومعنى هذا واضح جدًّا إذا تدبرنا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر، وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ، وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولًا، ومن عباداتهم ثانيًا، ومن سلوكهم ثالثًا.

ولست أعني من هذا الترتيب فصل الأمر الأول بدءًا بالأهم ثم المهم

ثم ما دونه! وإنما أريد أن يهتم بذلك المسلمون اهتمامًا شديدًا كبيرًا، وأعني بالمسلمين بطبيعة الأمر الدعاة، ولعل الأصح أن نقول: العلماء منهم؛ لأن الدعاة اليوم – مع الأسف الشديد- يدخل فيهم كل مسلم، ولو كان على فقر مدقع من العلم، فصاروا يعدُّون أنفسهم دعاةً إلى الإسلام.

وإذا تذكرنا تلك القاعدة المعروفة، لا أقول عند العلماء فقط، بل عند العقلاء جميعًا، تلك القاعدة التي تقول: «فاقد الشيء لا يعطيه»، فإننا نعلم اليوم بأن هناك طائفة كبيرة جدًّا يعدون بالملايين من المسلمين، تنصرف الأنظار إليهم حين يُطلَق لفظة الدعاة؛ وأعني بهم: جماعة الدعوة، أو جماعة التبليغ، ومع ذلك فأكثرهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف].

ومعلوم من طريقة دعوتهم أنهم قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول، أو بالأمر الأهم من الأمور التي ذكرتُ آنفًا، وأعني العقيدة والعبادة والسلوك، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فهم لا يُعنَون بهذا الأصل الأصيل، والركن الأول من أركان الإسلام، كما هو معلوم لدى المسلمين جميعًا.

هذا الأصل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام، ألا وهو نوح عليه السلام قرابة ألف سنة، والجميع يعلم أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا

هذا؛ لأنه الدين الخاتم للشرائع والأديان، ومع ذلك فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، يصرف وقته وجل اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته، كما بين الله ﷻ ذلك في محكم التنزيل: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

فهذا يدل دلالة قاطعة على أن أهم شيء ينبغي على الدعاة إلى الإسلام الحق الاهتمام به دائمًا: هو الدعوة إلى التوحيد، وهو معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

□ هكذا كانت سنة النبي ﷺ عملًا وتعليمًا.

أما فعله فلا يحتاج إلى بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنما كان فعله ودعوته محصورة في الغالب في دعوة قومه إلى عبادة الله لا شريك له.

□ **أما تعليمًا**: ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الوارد في «الصحيحين»، أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلَّا الله، فإن هم أطاعوا لذلك**..» الحديث [1].

فقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدأوا بما بدأ هو به، وهو الدعوة إلى التوحيد، ولا شك أن هناك فرقًا كبيرًا جدًّا بين أولئك العرب المشركين؛ من حيث أنهم كانوا يفهمون ما يقال لهم بلغتهم، وبين أغلب العرب المسلمين اليوم الذين ليسو بحاجة أن يدعوا إلى أن يقولوا: لا إله إلَّا الله؛ لأنهم قائلون بها على اختلاف مذاهبهم وطرائقهم وعقائدهم، فكلهم

(١) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.



يقولون: لا إله إلَّا الله، لكنهم في الواقع بحاجة إلى أن يفهموا معنى هذه الكلمة الطيبة، وهذا الفرق فرق جوهري جدًّا بين العرب الأولين الذين كانوا إذا دعاهم رسول الله ﷺ أن يقولوا: لا إله إلَّا الله، يستكبرون، كما هو مبين في صريح القرآن العظيم، لماذا يستكبرون؟ لأنهم يفهمون أن معنى هذه الكلمة: أن لا يتخذوا مع الله أندادًا، وألا يعبدوا إلَّا الله، وهم كانوا يعبدون غيرَه، فهم ينادون غير الله، ويستغيثون بغير الله، فضلًا عن النذر لغير الله، والتوسل بغير الله، والذبح لغيره، والتحاكم لسواه.. إلخ.

هذه الوسائل الشركية الوثنية المعروفة التي كانوا يفعلونها، ومع ذلك كانوا يعلمون أن من لوازم هذه الكلمة الطيبة: «لا إله إلَّا الله» من حيث اللغة العربية أن يتبرؤوا من كل هذه الأمور؛ لمنافاتها لمعنى: «لا إله إلَّا الله».

غالب المسلمين اليوم لا يفقهون معنى «لا إله إلا الله» فهما جيداً:

أما غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن: «لا إله إلَّا الله» فهم لا يفقهون معناها جيدًا، بل لعلهم يفهمون معناها فهمًا معكوسًا ومقلوبًا تمامًا؛ أضرب لذلك مثلًا: بعضهم ألّف رسالة في معنى «لا إله إلَّا الله»، ففسرها: لا رب إلَّا الله!!

وهذا المعنى هو الذي كان المشركون يؤمنون به، وكانوا عليه، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم هذا، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

فالمشركون كانوا يؤمنون بأن لهذا الكون خالقًا لا شريك له، ولكنهم كانوا يجعلون مع الله أندادًا وشركاءً في عبادته، فهم يؤمنون بأن الرب

واحد، ولكن يعتقدون بأن المعبودات كثيرة، ولذلك رد الله تعالى -هذا الاعتقاد- الذي سمّاه: عبادةً لغيرِهِ من دونه، بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ .. ﴾ [الزمر: ٣].

لقد كان المشركون يعلمون أن قول: «لا إله إلَّا الله» يلزم له التبرؤ من عبادة ما دون الله عَزَّوَجَلَّ، أما غالب المسلمين اليوم؛ فقد فسروا هذه الكلمة الطيبة: «لا إله إلَّا الله»، بـ: «لا رب إلَّا الله!!».

فإذا قال المسلم: «لا إله إلَّا الله» وعبد مع الله غيره؛ فهو والمشركون سواء -عقيدة- وإن كان ظاهره الإسلام؛ لأنه يقول لفظة: «لا إله إلَّا الله» فهو بهذه العبارة مسلم ظاهرًا، وهذا مما يوجب علينا جميعًا -بصفتنا دعاة إلى الإسلام- الدعوة إلى التوحيد، وإقامةَ الحجة على من جهل معنى: «لا إله إلَّا الله» وهو واقع في خلافها، بخلاف المشرك؛ لأنه يأبى أن يقول: «لا إله إلَّا الله»، فهو ليس مسلمًا لا ظاهرًا ولا باطنًا.

- فأما جماهير المسلمين اليوم هم مسلمون؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم، إلَّا بحقها، وحسابهم على الله تعالى**»[1].

لذلك، فإني أقول كلمةً -وهي نادرة الصدور مني- وهي: إن واقع كثير من المسلمين اليوم شرٌّ مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولى، من حيث سوء الفهم لمعنى هذه الكلمة الطيبة؛ لأن المشركين العرب كانوا يفهمون، ولكنهم لا يؤمنون، أما غالب المسلمين اليوم، فإنهم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون: «لا إله إلَّا الله»، ولا يؤمنون حقًّا بمعناها.

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المسلمين حقًّا هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة، وحول بيان معناها بتلخيصٍ، ثم بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة؛ بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في العبادات بكل أنواعها؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لما حكى عن المشركين قولهم: ﴿..مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ جعل كل عبادة توجه لغير الله كفرًا بالكلمة الطيبة: «لا إله إلَّا الله».

لهذا أنا أقول اليوم: لا فائدة مطلقًا من تكتيل المسلمين، ومن تجميعهم، ثم تركهم في ضلالهم دون فهم هذه الكلمة الطيبة، وهذا لا يفيدهم في الدنيا قبل الآخرة!

• نحن نعلم قول النبي ﷺ: **«من مات وهو يشهد أن لا إله إلَّا الله مخلصًا من قلبه حرَّم الله بدنه على النار»**، وفي رواية أخرى: **«دخل الجنة»**[(١)].

فيمكن ضمان دخول الجنة لمن قالها مخلصًا، حتى لو كان بعد لَأْيٍ وعذاب يمسُّ القائلَ، والمعتقد الاعتقاد الصحيح لهذه الكلمة، فإنه قد يعذب بناءً على ما ارتكب واجترح من المعاصي والآثام، ولكن سيكون مصيرُه في النهاية دخول الجنة.

وعلى العكس من ذلك؛ من قال هذه الكلمة الطيبة بلسانه ولَـمَّا يدخل الإيمان قلبه؛ فذلك لا يفيده شيئًا في الآخرة، قد يفيده في الدنيا النجاة من القتال ومن القتل إذا كان للمسلمين قوة وسلطان، وأما في الآخرة فلا يفيده شيئًا إلَّا إذا كان قائلًا لها وهو فاهم معناها أولًا،

---

(١) حديث صحيح: وهو مخرج في «الصحيحة» (٣٣٥٥).

ومعتقدًا لهذا المعنى ثانيًا؛ لأن الفهم وحده لا يكفي، إلَّا إذا اقترن مع الفهم الإيمان بهذا المفهوم، وهذه النقطة؛ أظن أن أكثر الناس عنها غافلون! وهي لا يلزم من الفهم الإيمان، بل لا بد أن يقترن كلٌّ من الأمرين مع الآخرة حتى يكون مؤمنًا، ذلك لأن كثيرًا من أهل الكتاب؛ من اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن محمدًا ﷺ رسول صادق فيما يدعيه من الرسالة والنبوة، ولكن مع هذه المعرفة التي شهد لهم بها ربُّنا ﷻ حين قال: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] ومع ذلك هذه المعرفة ما أغنت عنهم من الله شيئًا، لماذا؟

لأنهم لم يصدقوه فيما يدعيه من النبوة والرسالة، ولذلك فإن الإيمان تسبقه المعرفة، ولا تكفي وحدها، بل لا بد أن يقترن مع المعرفة الإيمان والإذعان؛ لأن المولى ﷻ يقول في محكم التنزيل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وعلى هذا فإذا قال المسلم: «لا إله إلَّا الله» بلسانه فعليه أن يضم إلى ذلك معرفة هذه الكلمة بإيجاز ثم بالتفصيل، فإذا عرف وصدَّق وآمن فهو الذي يصدُق عليه تلك الأحاديث التي ذكرتُ بعضها آنفًا، ومنها قوله ﷺ مشيرًا إلى شيء من التفصيل الذي ذكرته آنفًا: «**من قال: لا إله إلَّا الله نفعته يومًا من دهره**»(١)، أي: كانت هذه الكلمة الطيبة بعد معرفة معناها

---

(١) صحيح: «**من قال لا إله إلا الله، نَفَعَتْهُ يومًا من دهْرِهِ، يُصيبهُ قبل ذلك ما أصابهُ**» رواه البزار، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة، وكذا رواه ابن الأعرابي، والطبراني في «الصغير»، وأبو نعيم في «الحلية»، والخطيب، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٣٢)، و«صحيح الجامع» (٦٤٣٤).

منجية له من الخلود في النار، وهذا أكرره لكي يرسخ في الأذهان، وقد لا يكون قد قام بمقتضاها من كمال العمل الصالح، والانتهاء عن المعاصي، ولكنه سلم من الشرك الأكبر، وقام بما يقتضيه ويستلزمه شروط الإيمان؛ من الأعمال القلبية -والظاهرية حسب اجتهاد بعض أهل العلم، وفيه تفصيل ليس هذا محل بسطه- وهو تحت المشيئة، وقد يدخل النار جزاء ما ارتكب، أو فعل من المعاصي، أو أخل ببعض الواجبات، ثم تنجيه هذه الكلمة الطيبة، أو يعفو الله عنه بفضل منه وكرمه، وهذا معنى قوله ﷺ المتقدم ذكره: «**من قال: لا إله إلَّا الله، نفعته يومًا من دهره**»، أما من قالها بلسانه، ولم يفقه معناها، أو فقه معناها، ولكنه لم يؤمن بهذا المعنى؛ فهذا لا ينفعه قول: «لا إله إلَّا الله» إلَّا في العاجلة إذا كان يعيش في ظل الحكم الإسلامي، وليس في الآجلة.

□ لذلك لا بد من التركيز على الدعوة إلى التوحيد في كل مجتمع، أو تكتل إسلامي يسعى -حقيقة وحثيثًا- إلى ما تدندن به كل الجماعات الإسلامية أو جلها، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي، وإقامة الدولة المسلمة؛ التي تحكم بما أنزل الله على أيّ أرض لا تحكم بما أنزل الله.

هذه الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنها أن تحقق هذه الغاية التي أجمعوا على تحقيقها، وعلى السعي حثيثًا إلى جعلها حقيقة واقعية إلَّا بالبدء بما بدأ به ﷺ.

وجوب الاهتمام بالعقيدة لا يعني إهمال باقي الشرع؛ من عبادات، وسلوك، ومعاملات، وأخلاق:

وأعيد التنبيه بأنني لا أعني الكلام في بيان الأهم فالمهم وما دونه على

أن يقتصر الدعاة فقط على الدعوة إلى هذه الكلمة الطيبة وفهم معناها، بعد أن أتم الله عَزَّوَجَلَّ علينا النعمة بإكماله لدينه!

بل لا بد لهؤلاء الدعاة أن يحملوا الإسلام كلًا لا يتجزأ، وأنا حين أقول هذا بعد ذلك البيان الذي خلاصته: أن يهتم الدعاة الإسلاميون حقًّا بأهم ما جاء به الإسلام، وهو تفهيم المسلمين العقيدة الصحيحة، النابعة من الكلمة الطيبة: «لا إله إلَّا الله» أريد أن أسترعي النظر إلى أن هذا البيان لا يعني أن يفهم المسلم فقط أن معنى: «لا إله إلَّا الله»، هو: لا معبود بحقٍّ في الوجود إلَّا الله فقط! بل هذا يستلزم أيضًا أن يفهم العبادات التي ينبغي أن يُعبد ربنا عَزَّوَجَلَّ بها، ولا يُوجه شيء منها لعبد من عباد الله تبارك وتعالى، فهذا التفصيل لا بد أن يقترن بيانه أيضًا بذلك المعنى الموجز للكلمة الطيبة»[1].

□ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن عقيدة التوحيد لكل لوازمها ومتطلِّباتها ليست واضحة للأسف في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلًا عن الآخرين الذين اتَّبعوا العقائد الأشعرية أو الماتريدية أو الجهمية»[2].

فضل التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:

شهادة أن لا إله إلَّا الله هي سبيل الفوز بدخول الجنة والنجاة من النار، وهي سبيل السعادة في الداريْن، وهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ولأجلها خُلِقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي

---

(١) انظر: «التوحيد أولا يا دعاة الإسلام» (ص٥- ٢٣) للشيخ الألباني -طبع مكتبة المعارف- الرياض.

(٢) المصدر السابق (ص٢٥).

شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تُؤْخذ الكتب باليمين أو الشمال، وبها يثقل أو يخف الميزان، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق، قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأعراف]، وهي أعظم نعمة أنعم الله ﷻ بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدّمها أوّلًا قبل كل نعمة فقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل]، وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته وعمود، فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرّعه عنها، متشعِّبة منها مكمِّلات لها، مقيَّدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها.

وهي العروة الوثقى: التي قال الله ﷻ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير والضحاك[(١)].

وهي العهد الذي ذكر الله ﷻ: إذْ يقول: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم] قال ذلك ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هو شهادة أن لا إله إلَّا الله»[(٢)].

وهي الحسنى: التي قال الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الليل]. قاله أبو عبد الرحمن السلمي

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٥).

والضحاك[١].

وهي كلمة الحق:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف] قاله البغوي[٢].

وهي كلمة التقوى: قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح][٣].

وهي القول الثابت: الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أخرجاه في الصحيحيْن عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ[٤].

وهي الكلمة الطيبة: المضروبة مثلًا قبل ذلك إذ يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾[إبراهيم: ٢٤].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل». وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد[٥].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٣- ٥٥٤)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٥/ ٥٨٣).

(٢) «معالم التنزل» للبغوي (٥/ ١١٠).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٦/ ١٠٤).

(٤) البخاري (٨/ ٣٧٨) في تفسير سورة إبراهيم، باب: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.

(٥) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٤٩).

وهي الحسنة: التي ذكر الله ﷻ إذ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾ [النمل]. قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي، وهي تمحو الذنوب والخطايا [١].

وهي المثل الأعلى: الذي قال الله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الروم: ٢٧] قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير الطبري ومحمد بن المنكدر [٢].

وهي أفضل الذكر، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة:

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**إنّ نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلّا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وُضِعن في كفّة ووُضِعت لا إله إلّا الله في كفّة لرجحت بهنَّ لا إله إلّا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقة مبهمة لفصمتهنَّ لا إله إلّا الله**» [٣].

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلِّصُ رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سِجِلًا، كلُّ سِجْلٍ مثل مدِّ البصر، ثم**

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ١١٠)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٠٥)، و«الدُّر المنثور» (٣/ ٤٠٤).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٨)، وابن كثير (٣/ ٤٤٠)، (٣/ ٤٤١)، وانظر: «معارج القبول» (٢/ ٤١٠- ٤١٢).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٢٥). وسنده صحيح.

يقول: أَتُنْكِرُ مِنْ هذا شيئًا؟ أظلمكَ كتبتي الحافظون؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقول: بَلى، إنَّ لك عندنا حسنةً، وإنَّهُ لا ظُلْم عليك اليومَ، فتخرجُ بطاقةٌ فيها: أشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولهُ، فيقول: أحضُر وزنكَ. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيُقال: فإنك لا تُظلَمُ، فتوضعُ السجلاتُ في كَفَّةٍ، والبطاقة في كَفَّةٍ، فطاشتِ السجلاتُ، وثقلتِ البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيءٌ»[1].

• عن عبد الله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُصَاحُ برجُلٍ منْ أمَّتي على رؤوس الخلائقِ يوم القيامةِ فينْشَرُ له تسعةٌ وتسعونَ سجلًّا كلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصر ثمَّ يقال: أتُنْكِرُ من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقال: ألك عذرٌ أو حسنةٌ؟ فيهابُ الرَّجُل ظلم عليك، فيُخرجُ له بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله. فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟ فيقال: إنَّك لا تظلمُ، فتوضع السِّجِلات في كفَّةٍ والبطاقةُ في كفَّةٍ، فطاشت السِّجلاتُ، وثَقُلَتِ البطاقة»[2].

وهي سبب النجاة من النيران:

• عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع مؤذِّنًا يقول: «أشهد أن لا إله إلَّا الله»

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢١٣، ٢٢١- ٢٢٢)، والترمذي (٥/ ٢٤- ٢٥/ ح٢٦٣٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧/ح٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»: وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٦)، و«السلسلة الصحيحة» (١٣٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٤١)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك»، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» رقم (١١٩٤): إسناده صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٩٥).

فقال ﷺ: «خرجت من النار»(١).

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله حرّم الله عليه النار»(٢).

• وفي حديث الشفاعة: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلَّا الله،وكان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمان».

وهي سبب دخول الجنة سلعة الله الغالية:

• عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»(٣).

• وفي رواية: «أدخله الله الجنَّة على ما كان مِن عَمَل»(٤).

وهي التي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل:

□ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما من عبدٍ قال: لا إله إلَّا الله مُخْلِصًا إلَّا فُتِحت لها أبواب السماء حتى تُفْضِيَ إلى العرش»(٥).

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢٨٨/ ح٣٨٢).

(٢) رواه مسلم (١/ ٥٧- ٥٨/ ح٢٩).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٤٧٤) -كتاب الأنبياء- باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ ، ومسلم (١/ ٥٧/ -٣٨)- كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(٤) نفس الهامش السابق.

(٥) إسناده حسن: رواه الترمذي (٥/ ٥٧٥/ح٣٥٩٠) في الدعوات، باب: رقم =

وهي أعلى شعب الإيمان:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(١).

التوحيد أصل الدين:

□ قال ابن تيمية رحمه الله: «والتوحيدُ هو أصل الدينِ الذي لا يقبلُ الله من الأوَّلين والآخرينَ دِينًا غيره، وبه أرْسَلَ الله الرُّسل، وأنزلَ الكُتبَ، كما قال الله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].. وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عن كُلٍّ من الرُّسُل أنه افتتح دعوتَهُ بأَنْ قال لقوْمِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠].

والمشركون -من قريشٍ وغيرهم- الذين أخبر القرآنُ بشِرْكِهِمْ واستحَلَّ النبيُّ ﷺ دماءَهُمْ وأموالهم، وسَبْيَ حريمهم وأوجب لهم النَّار- كانوا مُقِرِّين بأنَّ الله وحده خلق السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان].

وكان المشركون الذين جعلوا مع الله آلهةً أخرى مقرين بأن آلهتهمْ

---

(١٢٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١) رواه البخاري (١/ ٥١) في الإيمان- باب أمور الإيمان، ومسلم (١/ ٦٣/ ح٣٥) في الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

مخلوقةٌ، ولكنهم كانوا يتخذونهم شُفَعاءَ ويتقرَّبُون بعبادتهم إليه كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس][(١)].

□ وقال أيضًا: «الدَّاخِلُون في الإسلام إذا لم يحققوا التوحيد واتِّباعَ الرسولِ، بل دعوُا الشيوخَ الغائبينَ واستغاثوا بهم، فلهم من الأحوال الشيطانية نصيبٌ بحسبِ ما فيهم ممَّا يُرْضِي الشيطانَ. ومن هؤلاءِ قومٌ فيهم عبادَةٌ ودينٌ مع نوع جهْلٍ.

ودين الإسلام مبنيٌّ على أصلين: على أن يُعْبدَ الله وحده لا يشرك به شيءٌ، وعلى أن يعبد الله بما شَرَعَهُ على لسان نبيه ﷺ. وهذان هما حقيقة قولنا: «أشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله». فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادةً واستعانةً ومحبةً وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكْرامًا. واللهُ عَزَّ وَجَلَّ له حقٌّ لا يشركهُ فيه غيره، فلا يُعْبدُ إلّا اللهُ، ولا يُدْعَى إلّا الله، ولا يُخافُ إلّا اللهُ، ولا يُطَاعُ إلّا الله»[(٢)].

□ وقال عبد الرحمن بن حسنٍ آل الشيخ وقولُهُ -أي: محمدُ بن عبدالوهابِ-: «أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» أي: يُوَحِّدُوهُ بالعِبادَةِ، فلا بُدَّ من التَّجُرُّدِ من الشرك في العبادة، ومن لم يتجرَّدْ من الشركِ في هذه العبادة لم يكن آتيًا بعبادةِ الله وحدَهُ، بل هو مُشْرِكٌ قد جعل لله نِدًّا.. وفيه أيضًا: أنَّ العبادة هي التوحيدُ؛ لأنَّ الخصومَةَ فيه. وفي بعض الآثارِ الإلهية:

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ابن تيمية (١٦، ١٧) باختصار.

(٢) المرجع السابق (١٧٩، ١٨٠) بإيجاز.

«إني والجنَّ والإنسَ في نبأٍ عظيم، أخلُقُ ويُعْبدُ غيري، أرزُقُ ويُشكَرُ سِوَايَ، خيْرِي إلى عِبَادي نَازِلٌ، وشَرُّهُمْ إليَّ صاعِدٌ، أَتَحَبَّبُ إليهم بالنِّعمِ، ويتبغَّضُونَ إليَّ بالمعاصي..»[(١)].

معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»:

□ قال شارح «العقيدة الطحاوية»: «هذه كلمةُ التوحيد التي دعَتْ إليها الرُّسُل كلُّهمْ، وإثباتُ التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النَّفْي والإثباتِ المقتضي للحصْرِ، فإنَّ الإثباتَ المُجَرَّدَ قد يتطرَّقُ إليه الاحتمال. ولهذا - والله أعلم- لما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، قال بعده: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة]. فإنه قد يخطر ببالِ أحدٍ خاطِرٌ شيطانيٌّ: هبْ أنَّ إلهنا واحدٌ، فلغيرنا إلهٌ غيره، فقال تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقد اعترضَ صاحبُ «المنتخب»على النحويين في تقدير الخبر في «لا إله إلَّا هو» فقالوا: تَقْديرُهُ: لا إله في الوجود إلَّا اللهُ، فقال: يكون ذلك نفْيًا لوجُودِ الإلهِ. ومعلومٌ أنَّ نفْيَ الماهيَّة أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان إجراءُ الكلام على ظاهره والإعراضُ عن هذا الإضمار أوْلَى. وقدْ أجاب أبو عبد الله المرسيُّ في «ريِّ الظَّمْآنِ» فقال: هذا كلام من لا يعرفُ لسان العرب، فإنَّ «إله» في موضع المبتدأِ على قول سيبوَيْهِ، وعند غيْره اسمُ «لا»، وعلى التقديرين فلا بُدَّ من خبرِ المبتدأِ، وإلَّا فما قاله من الاستغناء عن الإضْمارِ فاسدٌ»[(٢)].

---

(١) «فتح المجيد» شرح كتاب التوحيد (٢٨).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (١٠٩- ١١١).

وقد علَّق سماحةُ الشيخ عبد العزيزِ بنُ بازٍ على ذلك فقال: ما قاله صاحبُ المنتخبِ ليس بجيِّدٍ، وهكذا ما قاله النُّحَاةُ وأيَّدَهُ الشيخ أبو عبد الله المرسيُّ من تقْدِيرِ الخبر بكلمة «في الوجودِ» ليس بصحيحٍ؛ لأَنَّ الآلهةَ المعبودةَ منْ دُونِ الله كثيرةٌ وموجُودَةٌ، وتقْدِيرُ الخبر بلفْظِ: «في الوجود: لا يحصل به المقصودُ من بيانِ أحقِّيَّة ألوهيَّةِ الله سبحانه، وبُطلانِ ما سواهَا»؛ لأنَّ لقائلٍ أن يقول: كيف تقولون: «لا إله في الوجود إلَّا الله»؟ وقد أخبر اللهُ سبحانه عن وجودِ آلهةٍ كثيرةٍ للمشركين، كما في قوله سبحانهُ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [هود: ١٠١] ، وقوله سبحانه: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ ﴾ [الأحقاف: ٢٨] الآية.

فلا سبيل إلى التَّخلُّصِ من هذا الاعتراضِ وبيان عظمة هذه الكلمة وأنها كلمةُ التوحيد المبطلَةُ لآلهة المشركين وعبادتهِمْ من دونِ الله إلَّا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النَّحَاةُ، وهو كلمة «حقٌّ»؛ لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهةِ وتُبينُ أن الإله الحقَّ والمعبود بالحقِّ هو الله وحده، كما نبَّهَ على ذلك جمعٌ من أهل العلم منهم أبو العبَّاس ابنُ تيمية وتلميذه العلامةُ ابن القيم وآخرون –رحمهم الله–.

ومن أَدِلَّة ذلك قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢] فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحقُّ، وأن ما دعاهُ الناسُ من دونه هو الباطلُ، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودَةِ من دون الله من البشر والملائكةِ والجنِّ وسائر المخلوقات، واتَّضَحَ بذلك أنَّهُ المعبود بالحقِّ وحده، ولهذا أنْكَر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تُبْطِلُ آلهتهم؛ لأنَّهم فهمُوا أنَّ المُرادَ

بها نفيُ الألوهيَّةِ بحقٍّ عن غير الله -سبحانه- ولهذا قالوا جوابًا لنبينا محمَّدٍ ﷺ لما قال لهم: «قولوا لا إله إلَّا الله» ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]، وقالوا أيضًا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات] وما في معنى ذلك من الآيات. وبهذا التقدير يَزُول جميعُ الإشكال ويتَّضِحُ الحقُّ المطلوب»[١].

□ وقال الشيخ عبد الله بن جبر بن جبرين: «معنى لا إله إلَّا الله، هو عبادةُ الله وتركُ عبادة ما سواهُ، وهو الكفرُ بالطاغُوتِ والإيمانُ بالله، فتضمَّنَتْ هذه الكلمة العظيمة أنَّ ما سوى الله ليس بإلهٍ، وأنَّ إلهيَّة ما سواهُ من أبْطَلِ الباطل، وإثْباتَها أظلمُ الظُّلْم، فلا يستحقُّ العبادة سواهُ، كما لا تَصْلُحُ الإلهيةُ لغيره، فتَضمَّنتْ نفْيَ الإلهيَّةِ عمَّا سواهُ، وإثْباتَها له وحدَهُ لا شريك له، وذلك يستلزمُ الأمرَ باتخاذه إلهًا وحدهُ، والنَّهْي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطبُ من هذا النَّفْي والإثبات.. وقد دخل في الإلهيَّةِ جميعُ أنواعِ العبادةِ الصَّادِرَة عن تألُّهِ القلب لله بالحبِّ والخضوعِ، والانقيادِ له وحدَهُ لا شريك له، فيجِبُ إفرادُ الله تعالى بها كالدَّعاء والخوف والمحبَّةِ، والتَّوكُّل والإنابة والتَّوْبة والذَّبْحِ والنَّذْر والسُّجود، وجميع أنواع العبادة، فيجبُ صرْفُ جميع ذلكم لله وحدهُ لا شريك له، فمن صرف شيئًا مما لا يصْلُح إلَّا من العبادات لغير الله فهو مشركٌ ولو نطقَ بـ«لا إله إلَّا الله» إذا لم يعملْ بما تَقْتَضِيه من التوحيد والإخلاص»[٢].

---

(١) تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز في هامش (ص١٠٩- ١١٠) «شرح العقيدة الطحاوية».

(٢) «الشهادتان.. معناها وما تستلزمه كل منهما» (٢٢، ٢٣).

شروط لا إله إلا الله:

ذكر صاحب المعارج شروطًا سبعًا حتى تنفع صاحبها في الآخرة وهي مستنبطة من الكتاب والسُّنَّة وهي:

الأول: العلم بمعناها نفيًا، وإثباتًا:

نفيًا للألوهية، واستحقاق العبادة عن غير الله، وهو الكفر بالطاغوت. وإثباتًا للألوهية لله وحده وهو -الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل العمل، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فسرها غير واحد من السلف أنها: لا إله إلَّا الله.

• عن عثمان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مـاتَ وهو يعلم أن لا إله إلَّا الله دخل الجنة**»(١).

كمال العلم بالله في معرفة خمسة أشياء:

كمال العلم بالله يكمن في معرفة خمسة أشياء:

أولها: معرفة الخالق تبارك وتعالى وهو العلم بتوحيد الربوبية أي اعتقاد انفراده سبحانه وتعالى بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والنفع والضرَّ والخفض والرفع والعطاء والمنع.

□ وانفراده بالمِلك والمُلْك التام.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم (١/ ٥٥/ ح٤٣) في كتاب الإيمان -باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا.

* وانفراده سبحانه بالأمر والنهي والتشريع والسيادة، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف].

ثانيها: معرفة أسمائه وصفاته وهو العلم بتوحيد الأسماء والصفات وهو أشرف أنواع العلم.

ثالثها: معرفة الطريق الموصِّل إلى الله ﷻ وهو العلم بتوحيد العبودية قال ابن تيمية رحمه الله: «مَنْ أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية».

رابعها: معرفة عوائق الطريق وآفاته،وهو الشرك بجميع أنواعه وتقسيماته وخطوات الشيطان وشبهاته.

خامسها: معرفة النَّفْس وعيوبها، والصبر على مداواتها من آفاتها، والاستعانة بالله في حفظها على منهج العبودية والتوحيد [(١)].

قال ابن القيم رحمه الله: «استكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها، فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية، وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها» [(٢)].

وهذه المعرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلُّق القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرَارُ من الخلق إليه وتفاوتهم فيها لا يُحصيه إلَّا الذي عرَّفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم، وكُلٌّ أشار إلى هذه المعرفة بحسب مقامه،

---

(١) انظر: «شروط لا إله إلا الله» (ص٢٤) للدكتور محمود عبد الرازق الرضواني – مكتبة سلسبيل.

(٢) «الفوائد» لابن القيم (ص٧٨).

وما كُشِف له منها.

• وقد قال أعرف الخلق به ﷺ: «**لا أُحْصِي ثناءً عليكَ، أنت كما أثنيْتَ على نفسِك**»(١).

وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يُحْسِنه الآن»(٢)،(٣).

□ ومن أعزِّ أنواع المعرفة معرفة الله سبحانه بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفَه بصفة من صفاته، وأتمَّهم معرفةً من عَرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه»(٤).

وجُمَّاعُ ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنى، وجلالها وكمالِها، وتفرُّدِه بذلك، وتعلُّقِها بالخلقِ والأمرِ، فيكونُ فقيهًا في أوامِره ونواهيه، وفقيهًا في قضائه وقدرِهَ، فقيهًا في أسمائه وصِفاته، فقيهًا في الحكم الدينيِّ الشرعيِّ والحُكْمِ الكونيِّ القدريِّ. و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشَّكِّ:

بأن يكون قائلها مُستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإِنَّ الإيمان لا يُغني فيه إلَّا علم اليقين لا عِلْمُ الظنِّ، فكيف إذا دخله الشك، قال الله

(١) جزء من حديث مسلم (٤٩٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أي: النبي ﷺ، كما في حديث الشفاعة عند البخاري (٤٢٠٦)، ومسلم (١٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) «الفوائد» لابن القيم.

(٤) المصدر السابق.

وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أيْ لم يشكُّوا، فأما المرتابُ فهو من المنافقين -والعياذ بالله- الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلَّا دخل الجنَّة**»[١].

وفي رواية: «**لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما فيُحجب عن الجنة**»[٢].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا قُعودًا حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكرٍ وعمر، في نفرٍ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهُرِنا فأبْطأَ علينا وخشينا أن يُقْتطع دُوننا وفزعنا فقمنا، فكنت أولَ منْ فَزِعَ، فخرجْتُ أبتغي رسول الله ﷺ حتَّى أتيْتُ حائِطًا للأنْصارِ لبني النَّجَّارِ، فدُرْتُ به هل أجِدُ له بابًا؟ فلم أجِدْ، فإذا ربيعٌ يدخل في جَوْفِ حائطٍ من بِئْرٍ خارجةٍ -والربيعُ: الجدول) فَاحْتَفَزْتُ كما يَحْتَفِزُ الثعْلب [٣]، فدخلتُ على رسول الله ﷺ، فقال: «**أبو هريرة؟**»، فقلتُ: نعم يا رسول الله. قال: «**ما شأْنُكَ؟**» قلتُ:

---

(١) رواه مسلم (٢٧)، وأحمد (٣/ ١١)، وابن حبان (إحسان- ٦٥٣٠)، وابن منده في «الإيمان» (٨٩).

(٢) رواه مسلم (١/ ٥٩- ٦٠/ ح٣١)- كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(٣) احتفزت: أي تضاممت ليسعني المدخل.

كنت بين أَظْهُرِنَا، فقمتَ فأَبْطَأْتَ علينا، فخشينا أَنْ تقتطع دوننا، ففزعْنا، فكنتُ أَوَّلَ من فزِعَ، فأَتَيْتُ هذا الحائط فاحتفزتُ كما يحتفزُ الثعلبُ، وهؤلاء الناسُ ورائي، فقال: «**يا أبا هريرة** –وأعطاني نعليه– **قال: اذْهبْ بنَعْلَيَّ هاتيْنِ، فمن لَقِيتَ من وراء هذا الحائطِ يشهدُ أَنْ لا إله إلَّا الله مستيقنًا بها قلْبَهَ فبشِّره بالجنَّةِ**» فكان أَوَّل من لقيتُ عُمَرُ، فقال: ما هاتان النَّعلانِ يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما، من لقيت يشهدُ أن لا إله إلَّا الله مستيقِنًا بها قلْبُهُ، بشَّرْتُهُ بالجنَّة. فضربَ عمر بيدِهِ بيْنَ ثَدْيَيَّ فخَرَرْتُ لاسْتِي فقال: ارجعْ يا أبا هريرة. فرجعْتُ إلى رسول الله ﷺ فأَجْهَشْتُ بُكَاءً وركبني عمر فإذا هو على أثرِي، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما لك يا أبا هريرة؟**» قلتُ: لَقِيتُ عمر فأَخْبَرْته بالذي بعثْتني به، فضربني بين ثدْيَيَّ ضربةً خرَرْتُ لاستي، قال: ارجع. فقال له رسول الله ﷺ: «**يا عمر، ما حملك على ما فعلْتَ؟**» قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثْتَ أبا هريرة بنعليك، من لَقِيَ [1] يشهدُ أَنْ لا إله إلَّا الله مستيقنًا بها قلبه، بشَّرَهُ بالجنَّة؟ قال: «**نعم**» قال: فلا تفعل، فإني أَخْشَى أن يتَّكِلَ الناسُ عليها، فخلِّهِمْ يعملون. قال رسول الله ﷺ: «**فَخَلِّهِمْ**»[2].

□ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اليقين الإيمان كله»[3].

وأساس الرسالة هو تصديق الخبر وتنفيذ الأمر، والصحابة رضي الله عنهم

---

(١) أي: من لقيه أبو هريرة وهو يشهد أن لا إله إلا الله.

(٢) رواه مسلم (٣١).

(٣) البخاري في «الإيمان»، باب: الإيمان وقول النبي ﷺ بُني الإسلام على خمس (١/ ٧).

صدَّقوا تصديقًا جازمًا ليس فيه وهم ولا شك ولا ظن ولا تردُّد في كل ما أخبرهم عن الله وعنه ﷺ وهذا الحال الذي ينبغي أن يكون عليه كل مسلم حتى ينفعه في البرزخ في عرصات القيامة ويُدخِلهُ الجنة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الميِّتَ يصير إلى القبر فيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصالح في قبره غَيْرَ فَزِعٍ ولا مَشْغوفٍ، ثم يُقال له: فيمَ كُنتَ؟ فيقول: كنتُ في الإسلام؟ فيُقالُ له: ما هذا الرَّجُلُ؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبيِّنات من عند الله فصدَّقناه فيُقال له: هَلْ رأيتَ الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحدٍ أن يَرَى اللهَ، فيُفرَجُ له فُرْجَةً قِبَل النار فينظُرُ إليها يَحْطِمُ بَعْضُها بعضًا، فيُقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يُفرَجُ له قِبَل الجنة فينظر إلى زَهْرَتِها وما فيها، فيُقال له: هذا مَقعدُكَ، ويُقالَ له: على اليقين كنتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبعَثُ إن شاء الله»[1].

◻ وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورْنا بها خير جَارٍ، النَّجَاشيَّ، أمِنَّا على ديننا، وعبدْنَا الله لا نؤذَى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهه، فلمَّا بلغ قريشًا ائتمرُوا أن يبْعَثُوا إلى النَّجَاشيِّ فينا رجُلينِ جلْدَيْن[2]، وأن يهدوا للنَّجاشي هدايا ممَّا يستطْرفُ من متاع مكَّةَ.. ثمَّ إنهما قرَّبا هدايا مما يستطْرَفُ منْ متاعِ مكَّةَ.. ثُمَّ إنَّهما قرَّبا هداياهُمْ إلى النَّجاشي، فقبلها منهما ثُمَّ كلَّماهُ فقالا له: أَيُّها الملكُ إنَّهُ قدْ صَبَا إلى بلدِك منَّا غِلْمَانٌ سفهاءُ فارَقُوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءُوا بدينٍ مُبْتَدعٍ لا

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «الزهد» - باب ذكر القبر والبلىٰ (٢/ ١٤٢٦) (٤٢٦٨)، وصححه الألباني (٢/ ١٤٢٦).

(٢) جَلْدَيْن: مُثنىٰ جَلْد وهو الرجل القوي في نفسه وجسده.

نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائِهِمْ وأعمامهم وعشائرهم ليَرُدَّهُمْ إليهم، فهم أعْلَى بهم عينًا وأعلمُ بما عابُوا عليهم وعاتَبُوهمْ فيه، قالت: ولم يكنْ شيءٌ أبْغضَ إلى عبد الله بن أبي ربيعةَ وعمرو بن العاص من أن يسمع النَّجَاشيُّ كلامهم. فقالت بطارقتُهُ حوْلَهُ: صدقُوا أيُّها الملكُ، قوْمُهُمْ أعْلَى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فلْيَرُدَّاهُمْ إلى بلادهم وقومهم، قال: فغضب النَّجاشيُّ ثمَّ قال: لاها اللهُ، وأيْمُ الله، إذَنْ لا أسلمهم إليهما ولا أكَادُ، قوْمًا جاورُوني نَزَلُوا بلادي واخْتَارُوني على من سوايَ، حتَّى أدْعُوهم فأسألهم ماذا يقول هذانِ في أمرِهِمْ؟ فإنْ كانوا كما يقولانِ أسْلمتهم إليهما ورددْتُهُمْ إلى قومهم، وإنْ كانوا على غير ذلك منعْتُهم منْهُمَا وأحْسَنْتُ جوارَهُمْ ما جاورُوني، قالتْ: ثُمَّ أرْسَلَ إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهُمْ، فلمَّا جاءَهُمْ رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعضٍ، ما تقولون للرجل إذا جِئْتُمُوه؟ قالوا: نقولُ: والله ما علمنا وما أمرنا به نبيُّنا ﷺ، كائنٌ في ذلك ما هو كائنٌ، فلمَّا جاءُوا وقد دعا النَّجاشيُّ أساقفَتَهُ فنشروا مصاحِفهُمْ حوله، سألهم فقال: ما هذا الدِّينُ الذي فارقْتُمْ فيه قومَكُمْ ولم تدخلوا في ديني ولا في دينِ أحدٍ من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالبٍ، فقال له: أيها الملكُ، كنَّا قومًا أهل جاهليَّةٍ، نعْبُدُ الأصنام، ونأكلُ الميتة، ونأتي الفواحِشَ، ونقْطَعُ الأرْحَامَ، ونُسِيءُ الجوارَ، يأكلُ القويُّ منا الضَّعِيفَ. فكُنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا مِنَّا، نعرفُ نسبهُ وصدقه وأمانتَهُ وعفافَهُ فدعانا إلى الله، لنُوحِّدهُ ونعبده ونخْلَعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوْثَانِ، وأمرنا بصدْقِ الحديث، وأداءِ الأمانة، وصلة الرَّحِم، وحُسْنِ الجِوَارِ، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن

الفواحش وقول الزُّورِ، وأكلِ مال اليتيم، وقذْفِ المحصنة، وأمرنا أن نعبُدَ الله وحدهُ ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قال: فعدَّدَ عليه أمور الإسلام -فصدَّقْنَاهُ وآمنَّا، واتَّبعْنَاهُ على ما جاء به، فعبدْنا الله وحدهُ فلم نشرك به شيئًا، وحرَّمْنَا ما حرَّمَ علينا، وأحللْنَا ما أحَلَّ لنا، فعذَّبُونا وفتنُونَا عن ديننا، ليرُدُّونا إلى عبادةِ الأوثانِ من عبادةِ الله، وأنْ نستحِلَّ ما كُنَّا نستحلُّ من الخبائثِ، فلما قهرُونَا وظلمونا وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجْنا إلى بلدك، واخْترْناك على من سواك، ورغبْنَا في جوارك، ورجوْنَا أنْ لا نُظْلَمَ عندك أيُّها الملكُ، قالت: فقال له النَّجاشيُّ: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيءٍ؟ قالت: فقال جعفرُ: نعم. فقال النَّجَاشيُّ: فاقْرَأْهُ عليَّ، فقرأَ صَدْرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، قالت: فبكَى والله النَّجَاشيُّ حتى أخْضَلَ لحيتَهُ، وبكتْ أسَاقِفَتُهُ حتى أخضلوا، مصاحِفَهُمْ حين سمِعُوا ما تلا عليهم، ثُمَّ قال النجاشيُّ: إنَّ هذا والله والذي جاءَ به موسى ليخْرُجُ من مِشْكَاةٍ واحدةٍ، انْطَلقا، فوالله لا أُسْلِمهم إليكم أبدًا ولا أكَادُ..»[1].

• وقال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ نَفْسٍ تموت وهي تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلبٍ مُوقِنٍ إلَّا غفر الله له**»[2].

□ وقد بيّن ابن القيم أنَّ أساس التوحيد والهداية التي مَنَّ الله بها على

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٠٢- ٢٠٣) برقم (١٧٤٠)، ورقم (١٦٤٩)، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، وصححه الألباني في «فقه السيرة» (ص١٥).

(٢) حسن: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه عن معاذ، وكذا رواه الحميدي وابن حبّان، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٧٨)، و«صحيح الجامع» (٥٧٩٣).

الموحِّدين يترتَّب على تصديق خبر الله من غير اعتراض شبهة تقدحُ في تصديقه، وامتثال أوامره من غير اعتراض شهوة تمنع امتثاله، ثم قال رحمه الله: «وعلى هذيْن الأصلَيْن مدار الإيمان، وهما تصديق الخبر وطاعة الأمر، ويتبعهما أمران آخران، وهما نفْي شبهات الباطل الواردة عليه المانعة من كمال التصديق، وأن لا يخمش بها وجه تصديقه، ودفع شهوات الغيِّ الواردة عليه المانعة من كمال الامتثال»[(١)].

وقال أيضًا: «وأمّا الدين فجماعه شيئان تصديق الخبر، وطاعة الأمر، ومعلوم أن التنعُّم بالخبر بحسب شرفه وتصديقه، والمؤمن معه من الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره، فهو من أعظم الناس نعيمًا بذلك، بخلاف من يكثر في أخبارهم الكذب، وأمَّا طاعة الأمر فإن من كان ما يُؤمر به صلاحًا وعدْلًا ونافعًا يكون تنعُّمُه به أعظم مِنْ تنعم من يُؤمر بما ليس بصلاح ولا عدل ولا نافع، وهذا من الفرق بين الحق والباطل»[(٢)].

□ والإيمان في باب الأخبار له ستة أركان: أن تُؤمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر، وتُؤمن بالقدر خيره وشرِّه، ولا يكون الإيمان بهذه الأركان إلَّا باليقين الذي لا شكَّ فيه، وهو التصديق الجازم الذي لا تكذيب فيه»[(٣)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٤٠).

(٢) «قاعدة في المحبة» (ص١٥٥).

(٣) انظر: «شروط لا إله إلا الله» (ص٤١) للدكتور محمود عبد الرازق الرضواني – طبع مكتبة سلسبيل.

والإيمان في باب الأوامر هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان.

الشرط الثالث: القبول المنافي للاستكبار:

* لقول الله تعالى عن الكافرين أهل النار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].
فجعل الله تعالى عِلَّة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلَّا الله[1].

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قِيعانٌ لا تُمسِك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل مَن فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعِلِم وعلَّمَ، ومثَل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرْسِلتُ به»**[2].

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للإباء والردِّ والترك:

* قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

* وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٤٢١).

(٢) رواه البخاري (١/ ١٧٥) في العلم -باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم، ومسلم (٤/ ١٧٨٧/ ح٢٢٨٢) في الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث النبي ﷺ مِن الهُدَىٰ والعلم.



﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥].

ومعنى يُسلِم وجهه أي ينقاد، وهو محسن موحِّد.

والمقصود بالانقياد -الذي هو شرط في أصل الإيمان: انقياد القلب، وهو شيء زائد على مجرد المعرفة والتصديق، فهو رؤية العبد أن عليه أن يطيع الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا قصر في الطاعة، أو عصى؛ فهو ظالم لنفسه، وأما الانقياد بالجوارح، وترك المعاصي فهو شرط في كمال الإيمان الواجب، لا في أصل الإيمان، وتأمل قصة آدم وإبليس لتعرف الفرق: فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عصى ربه، وأكل من الشجرة، ولكنه لم يفقد من قلبه الانقياد فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

* وإبليس عصى، ورد الأمر على الله فقال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ [الحجر: ٣٣]. مع كونه كان مصدقًا بالأمر، عارفًا بوجود الله، وربوبيته، فكفر بذلك الإباء والرد لانتفاء الانقياد الباطن، واستحلال المعصية، وترك الواجب، فمعصية آدم لم تكن كفرًا، ومعصية إبليس كانت كفرًا، فتنبه لهذا الفرق. ولا خلاف بين أهل السنة في ذلك: أن من انتفى عنه الانقياد الظاهر مع بقاء الانقياد الباطن لا يكفر، إلَّا ما كان من اختلافهم في تكفير

تارك الصلاة تكاسلًا، وكذا الصوم، والزكاة والحج»[(١)].

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب:

* قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة].

• وفي «الصحيحين» عن معاذ رضي الله عنه مرفوعًا: **«ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلَّا حرمه الله على النار»**[(٢)].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«يا معاذُ بنَ جَبَلٍ»**- ومعاذٌ رديفه على الرَّحْل-، قال: لَبَّيْكَ يا رسولَ الله وسَعْدَيْك، قال: **«يا معاذ»**. قال: لبيك يا رسول الله وسَعْدَيْكَ، ثلاثًا، قال: **«مَا مِن أحدٍ يشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسولُ الله صَدْقًا من قَلْبِه إلَّا حَرَّمَهُ الله على النَّار»**، قال: يا رسولَ الله، أفَلَا أُخبِرُ به الناس فيستبشِرُوا، قال: **«إذا يَتَّكِلُوا، وأخبر بها معاذٌ عند الموت تأثُّمًا»**[(٣)].

• وقال رسول الله ﷺ: **«أَبْشِروا، وبَشِّروا مَن وراءكم، أنه من شهد أن لا إله إلَّا الله صادقًا بها دخل الجنة»**[(٤)].

---

(١) «فضل الغني الحميد» للدكتور ياسر برهامي (ص٥٥، ٥٦).

(٢) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٣) رواه البخاري- كتاب العلم، باب: مَن خَصَّ بالعِلْم قومًا دون قوم (١/ ٥٩) (١٢٨)، وأحمد، ومسلم.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والطبراني عن أبي موسى، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١٢)، و«صحيح الجامع» (٣٥).

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشِّرك:

* قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله، مَنْ أَسْعَدُ الناسِ بشفاعَتِكَ يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألَني عن هذا الحديثِ أحدٌ أوَّلُ مِنك لِمَا رأيتُ مِن حِرْصِكَ على الحديث، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال لا إله إلَّا الله خالصًا مِن قلبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**».

وفي رواية: «**خالِصًا مُخْلصًا من قلبه**»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «**أَذِّن في الناس أنه من شَهِد أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريك له مُخلِصًا دخل الجنة**»(٢).

• وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قدْ حرَّم على النار من قال: لا إله إلَّا الله، يبتغي بذلك وَجْه الله**»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «**لن يُوافى عَبْدٌ يوم القيامة يقول: لا إله إلَّا الله يبتغي بها وجهَ الله إلَّا حَرَّمَ الله عليه النار**»(٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «**ما قال عبد: لا إله إلَّا الله قطُّ مُخلِصًا، إلَّا فُتِحت له أبواب السماء حتى تُفضِيَ(٥) إلى العرشِ ما اجتنب**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: صفَة الجنة والنار (٥/ ٢٤٠٢) (٦٢٠١).

(٢) صحيح: رواه البزار، وأبو يعلىٰ عن عمر، وصححه الألباني «السلسلة» رقم (١٣٥)، و«صحيح الجامع» (٨٥١).

(٣) رواه البخاري (١١/ ٥١٨)، ومسلم (١/ ٤٥٦/ ح٢٦٤) عن عتبان بن مالك.

(٤) رواه أحمد، والبخاري عن عتبان بن مالك.

(٥) تَصِلَ.

الكبائر»[١].

• وقال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلَّا الله مُخلِصًا دخل الجنة»[٢].

الإخلاص المنافي للشرك يقوم على البراءة من التشبيه[٣]:

الإخلاص الذي يُنافي الشرك يقوم في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ على نفي التشبيه، وهو أساس التوحيد والبراءة من الشرك، وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: البراءة من التشبه بالخالق وهو نفي شرك الربوبية.

النوع الثاني: البراءة والخلاص من شرك الألوهية، وهو من أقبح أنواع الشرك.

النوع الثالث: البراءة والخلاص مِن شرك الأسماء والصفات وهو تشبيه الخالق بالمخلوق، فشِرْك الأسماء والصفات يهدم التوحيد.

الإخلاص مانعٌ لنوعيْن من الرياء:

النوع الأول: الرياء الأكبر وهو النفاق المخرج عن المِلَّة كما كان شأن المنافقين في عهد النبي ﷺ كعبد الله بن أبي بن سلول وغيره من المنافقين.

والنوع الثاني: الرياء الأصغر ومثاله التصنُّع للمخلوق وعدم

---

(١) حسن: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٢٣١٤)، و«صحيح الجامع» (٥٦٤٨).

(٢) صحيح: رواه البزار عن أبي سعيد، ورواه أحمد، وابن حبّان، وأبو نعيم في «الحلية» عن جابر، وأبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٥٥)، و«صحيح الجامع» (٦٤٣٣).

(٣) انظر: «شروط لا إله إلا الله» (ص٦٢، ٦٧، ٧٧).

الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل المرائي لِحَظِّ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة أخرى، ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة ثالثة، فلله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب، وذلك هو الشرك الخفيُّ، وهو لا يُخرج من الملّة كالشرك الأكبر الجلي، ولكنه يُنقِص ثواب العمل وقد يحبطه إذا زاد واستفحل»(١).

الشرط السابع: المحبة المنافية للبُغض:

وهي محبة الله ورسوله والمؤمنين وبغض الكافرين والمنافقين.

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

• وقال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين**»(٢).

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يُؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده**»(٣).

□ قال ابن القيم: «وأصل العبادة وتمامها وكمالها هو المحبة وإفراد

---

(١) المصدر السابق (ص٨٢).

(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، والنسائي (٨/ ١٠٠)، وابن ماجه (٦٧)، وأحمد (٣/ ١٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (١/ ١٤) (١٤).

الرب سبحانه بها، فلا يُشرك العبد فيها غيره، والكلمة المتضمِّنة لهذين الأصلين هي الكلمة التي لا يدخل في الإسلام إلَّا بها، ولا يُعصَم دمه وماله إلَّا بالإتيان بها، ولا ينجو من عذاب الله إلَّا بتحقيقها بالقلب واللسان وذكرها أفضل الذكر: لا إله إلَّا الله»[١].

ومدارُ كتب الله تعالى المُنَزَّلة من أولها إلى آخرها على الأمر بتلك المحبة ولوازمها، والنهي عن محبة ما يضادها وملازمتها.

فمحبة الله ﷻ هي أصل المحاب المحمودة في قلوب العبيد، وأصل الإيمان بالله والتوحيد، وأصل دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم».

• وعن عبد الله بن هشام ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخِذٌ بيد عمرَ بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلَّا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نَفْسِك**». فقال له عمر: فإنَّهُ الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[٢]، فإذا كان هذا شأن محبة الرسول ﷺ فما ظنك بمحبة الله سبحانه وتعالى.

□ ولله در ثمامة بن أثال حين قال للنبي ﷺ عند إسلامه: «أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وَجْهُكَ أحبَّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دينٍ أبغضَ إليّ من دينك، فأصبح دينُكَ أحبَّ الدِّين إليّ..»[٣].

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٣٤).
(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٤٤٥) (٦٢٥٧).
(٣) جزء من حديث رواه البخاري- كتاب الخصومات- باب: التوثق ممن
=

وشِرْك المحبة شرك أكبر متعلِّق بالقلب، فمن أشرك مع الله في المحبة التي لا تصلح إلَّا لله وقع في الشرك الأكبر.

الشرط الثامن: الكفر بالطاغوت:

* وهو الكفر بما يُعبد من دون الله قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة].

التوحيد لا يتحقَّقُ إلا بنفيٍ وإثبات:

لا يتحقَّق التوحيد إلَّا بنفي وإثبات، والمقصود نفي صفات الألوهية عمَّا سوى الله وإثباتها لله وحده، فلا يتم التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنه لا معبود بحق سواه فلا بُدَّ لصحة الإيمان بلا إله إلَّا الله من نفي عبادة ما سِوَاه، أو الكفر بما يُعبَد من دون الله ثم إثبات عبادة الله وحده، وهذه حقيقة التوحيد التي جاءت بها رسالة السماء ودعا إليها سائر الرسل والأنبياء.

• وعن والِدِ أبي مالك الأشجعيِّ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال لا إله إلَّا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ وحسابه على الله**»[1].

أصول الطواغيت التي تُعبَد من دون الله:

«أصولُ الطواغيت التي تُعبَد من دون الله محصورة في أصلَيْن من

تخشىٰ معرَّته (٢/ ٨٥٣) (٢٢٩٠).

(١) رواه أحمد، ومسلم (١/ ٥٣) (٢٣)- كتاب الإيمان- باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ (١/ ٥٣) (٢٢).

أبواب الضلال:

الأصل الأول: عبودية الهوى، وما يتعلّق به من أصناف الدنيا وأنواع المشتهَيات.

والأصل الثاني: عبودية الشيطان وما يبثُّه في قلب الإنسان من شبهات. وأعظم دعاوي الشيطان أن يشرك الإنسان بالله؛ ولذلك حذّرنا الله من الشرك كأعظم ذنب يقع فيه العبد، وأخذ العهد علينا والميثاق ألا نقعَ في هذا الظلم العظيم فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)﴾ [الأعراف].

• ومن حديث أبِي بن كعب ﷺ قال: «**جَمَعَهم فجعلَهم أرواحًا، ثم صوَّرهم فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهدَ والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم؟ قال: فإني أُشِهدُ عليكم السماواتِ السبعَ والأرضين السبع وأُشهدُ عليكم أباكُم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري ولا ربَّ غيري فلا تُشركوا بي شيئًا، وإني سأرسلُ إليكم رسلي يذكِّرُونكم عهدي وميثاقي وأُنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدِنا بأنك ربُّنا وإلهنا لا ربَّ لنا غيرك، فأقرُّوا بذلك**»[1].

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٢٠٧٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٣) (٣٢٥٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وحسّنه الألباني في «تحقيق المشكاة» (١٢٢).



□ قال ابن القيم رحمه الله: «والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّهُ من معبودٍ أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله، أو يتَّبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله فهذه طواغيت العالم»(١).

□ قال الشيخ ابن باز رحمه الله في شروط «لا إله إلَّا الله»:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقكَ ... مع محبةٍ وانقياد والقبول لها

وزِيد ثامنُها الكفرانُ منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد أُلِّها (٢)

هامٌّ هامٌّ هامٌّ:

١- **اعلم**: أن شروط كلمة التوحيد ليست منحصرة في الشروط السبعة السابقة، بل كل عمل من أعمال القلب الواجبة شرط في قبولها يوم القيامة كذلك، كما يدل عليه القرآن.

فالتوكل من شروطها: قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة].

والخوف من الله من شروطها: قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران].

والرجاء والرغبة إلى الله من شروطها، قال الله تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. ولا يتصور مؤمن ليس في قلبه ولو مثقال ذرة من التوكل، والخوف، والرجاء، وشكر نعمة الله، والصبر، والرضا، وسائر

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠).

(٢) «شروط لا إله إلا الله» (ص١٨٩).

أعمال القلوب -التي سبق بيانها في عبادات القلب- وكذا النطق بالشهادتين باللسان مع القدرة؛ من شروط نفعها في الآخرة فلا يكفي الاعتقاد الباطن دون نطق.

٢- هذه الشروط يتفاوت الناس فيها: زيادةً، ونقصانًا؛ لأنها من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة، كما دل عليه القرآن والسنة، وإجماع السلف، فمثلًا، العلم يتفاوت: فحقيقة العلم بمعنى لا إله إلَّا الله على الكمال: هو العلم بالدين كله، إذ معناها: لا معبود بحق إلَّا الله. والعبادة تشمل الدين كله، وكلما ازداد الإنسان علمًا بشيءٍ من الدين؛ ازداد تحقيقًا لمعنى لا إله إلَّا الله، وقد يكون الإنسان جاهلًا بأن الأمر الفلاني عبادة، ثم يعلم الآية أو الحديث، فيصير بهما عالمًا، وكان قبل ذلك جاهلًا، ولم يكن كافرًا، فالذي هو شرط في أصل الإيمان -أي: في قبول لا إله إلَّا الله من العبد يوم القيامة لنجاته من الخلود في النار- أصل كل شرط من هذه الشروط.

فأصل العلم شرط، أو على الصحيح ركن من أركان الإيمان، ونعني به العلم الإجمالي ومعناه أن لا يُعبد إلَّا الله.

وأصل الانقياد شرط أو ركن من أركان الإيمان ونعني به الانقياد القلبي والخضوع الباطن لله سبحانه.

وأصل اليقين شرط أو ركن من شروط أو أركان الإيمان ونعني به زوال الشك والتكذيب. وهكذا، وإلَّا فاليقين أيضًا يتفاوت وليس كل نقص فيه يكون شكًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وكمال هذه

الشروط؛ شرط في كمال الإيمان وجوبًا واستحبابًا.

٣- هذه الشروط ليست شروطًا في قبول الإسلام الظاهر في الدنيا بل في نفع صاحبه في الآخرة، وتأمل جميع الأدلة التي ذكرت في كون هذه الأعمال شروطًا تجدها إنما هي في أمر الآخرة «حرمه الله على النار»، و«دخل الجنة»، ونحو ذلك، وليس في ثبوت عصمة الدم، والمال، بل النطق بها مع شهادة أن محمدًا رسول الله، كافٍ في عصمة الدم، والمال، وثبوت حكم الإسلام ظاهرًا، وجريان أحكام الإسلام على صاحبها في الدنيا، كما سيأتي له مزيد بيان -إن شاء الله- واحذر مما وقع فيه أهل البدع من الخلط بين الأمرين [1] لكن من صرح بعد نطقه بكلامه الواضح الصريح أنه قد انتفى من قلبه شيءٍ من هذه الشروط، كمن سمعناه يقول بلسانه أنه يشك في صدق هذه الكلمة، أو في صدق الرسول والقرآن، فهو مرتد بهذا الكلام، وليس كافرًا أصليًا، وبينهما من الفروق ما يذكر تفصيله في كتب الفقه، وذلك أنه ثبت له حكم الإسلام ظاهرًا بالنطق المجرد، ثم لما قال ذلك صار مرتدًا، وإن كان هو عند الله، وفي الآخرة -إذا كان شكه من أول نطقه بالشهادين- كافرًا من البداية لأن اليقين وغيره من الشروط، شرط في صحة الإسلام والإيمان باطنًا، وهذا الأمر لا علم لنا به؛ لأننا لم نؤمر أن نشق عن قلوب الناس، وإنما صاحبه الذي يخبر به، فهو إن كان كذلك كان من المنافقين، وهم مسلمون في الظاهر، فلو أن ذميًّا -يهوديًّا أو نصرانيًّا- نطق الشهادتين، ودخل في الإسلام، ثم قال بعد ذلك: أنه عند قوله لهما لم يكن صادقًا، أو لم يكن محبًا لله، ولرسوله ﷺ، لم يقبل

---

(١) يعني: قبول الإسلام ظاهرًا في الدنيا ونفع صاحبه في الآخرة.

قوله ذلك حتى يجعل ذميًّا يقر بالجزية كما كان، بل هو مرتد لا يقبل منه إلَّا الإسلام أو السيف.

٤- لا يلزم المسلم حفظ هذه الشروط وعدها، بل المقصود وجودها في قلبه، ووجود كمالها الواجب في قلبه، ولسانه، وجوارحه، وما أحسن ما قاله الشيخ أحمد حكمي في «معارج القبول» حيث قال: «ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة لشيءٍ منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه، والتزمها، ولو قيل له أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله والله المستعان»[1] اهـ[2].

التوحيد الذي دعَت إليه الرسل جميعًا:

التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرسل جميعًا ونزلت به الكُتُب نوعان:

١- توحيد المعرفة والإثبات: وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه وصفاته، وأفعاله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى] كما أخبرنا عن نفسه في كتابه، وأخبر عنه رسوله ﷺ في سُنَنه، وهذا يتضمَّن إقرار العبد بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

٢- وتوحيد القصد والطلب: وهو عباده الله وحده، وخَلْعُ ما يُعبَد من دونه، فهو توحيد الإرادة والطلب، أو توحيد الألوهية.

فالأول: إقرارٌ من العباد بأفعال الله، وأسمائه، وصفاته، وتوحيده بذلك.

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٤١٨).

(٢) «فضل الغني الحميد» للدكتور ياسر برهامي (ص٥٨- ٦٠).

والثاني: توحيد الله بأفعال العباد بأن يتوجَّهوا بها إلى الله وحده[١].

وتوحيد الإلهية وإفراد الله بالعبادة هو الذي أرسلت به الرسل، وهو أصل دعوة الأنبياء ولبُّ دعوتهم، وأول شيءٍ دعت إليه الرسل.

* قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

* وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

* وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

* وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [التوبة: ٨٥].

* وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى

---

(١) المصدر السابق (ص١١).

عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف].

* وقصّ الله علينا قول إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة].

* وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف].

* وعلى لسان موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الأعراف].

والعبودية هي الحبُّ التام مع الذل التام.

وتوحيد الألوهية يعني صرف العبادات لله وحده بجميع أنواعها:



القلبية والقوليَّة، والعمليَّة والمالية.

بعض أنواع العبادات:

أ- **العبادات القلبية:** وهي أهم أنواع العبادات، وأساس لما وراءها ومنها: حب الله وحده، والخوف منه وحده، والإخلاص، والرجاء والرغبة وحسن الظن، والتوكل والصبر، والحمد والشكر، والتوبة، والمراقبة، والمحاسبة، والتفكُّر، والإخبات، والذل، والزهد، والورع، وتعظيم حرمات الله، والتواضع، والافتقار إلى الله، والغنى عن الخلق، والأنس بالله، والشوق إلى لقائه، وكف القلب عن المحرمات، كالحسد، والغلِّ، والضَّغينة، والرياء، وسوء الظن بالله، والشك، وسوء الظن بالمسلمين، ومودة الكافرين.

«واعلم أن هذه العبادات القلبية روح التوحيد، وحقيقته توحيد القصد والطلب، وتوحيد الألوهية، ومعنى زكاة النفس هو: حصول هذه العبادات فيها، وإنما يتفاضلُ الناسُ يوم القيامة بما في قلوبهم من معرفة الله وعبادته، وهذه العبادات القلبية أكثرها -إن لم تكن جميعها- واجبة، لا تنقص من القلب إلَّا انتقص الإيمان، فلا تظن أن التوحيد هو: مجرد ترك ما يفعله الجهال عند القبور، بل حقيقته -مع ترك هذا الشرك وغيره- هي هذه العبادات القلبية، أن تصرف لله وحده، ولا يصرف شيء منها لغيره، وهي مسؤولية شخصية لكل واحد منا أن يسعى في تزكية نفسه بهذا الأمر العظيمِ، الذي مهما طالت العبارة في شرحه فلن تفي المقام حقه، ولا توجد هذه العبادات بمجرد المعرفة، ففرق بين العلم والحال، ولكن بدوام تعاهد القلب، وأحواله، والتفكر، والتدبر، مع أداء العبادات الظاهرة،

عسى الله أن يمن علينا بصلاح قلوبنا، وتزكية نفوسنا، فاللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. آمين»(١).

ب- ومنها العبادات القولية:

كالذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، والاستغفار، والتسمية، والاستعاذة، والحلف، والنصيحة للمسلمين، والدعوة إلى الله، وكفُّ اللسان عن المحرمات: كالغيبة، والنميمة، والكذب، والبهتان، وشهادة الزور، والسبُّ، والشتم، والبذاء، والغناء.

جـ- ومنها العبادات البدنية: كالصلاة وهي قلبية، وقولية وبدنية، والصيام، والحج والجهاد والرحلة في طلب العلم، وتغيير المنكرات، وغض البصر.

د- ومنها العبادات المالية: كالزكاة، والصدقة، والنفقة في الجهاد، والحج، وكذا النذر بالمال وهو عبادة قولية ومالية.

علو الهمّة في معرفة أفضل العبادة ولزومها:

«إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته. فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد، من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلًا: القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

(١) «فضل الغني الحميد» (ص٣٤).



والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار.

والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعلم الجاهل: الإقبال على تعليمه والاشتغال به.

والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع، وإن بعُد كان أفضل.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن أو المال: الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد. فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

والأفضل في العشر الأخير من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة

والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن، عند كثير من العلماء.

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته، وحضور جنازته وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك: أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم. فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه.

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من عزلتهم فيه، وعزلتهم في الشر، فهي أفضل من خلطتهم فيه. فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذٍ أفضل من عزلتهم.

فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال. والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه. وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد. فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته. فهو يعبد الله على وجه واحد. وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت. فمدار تعبده عليها. فهو لا يزال منتقلًا في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى. فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره: فإن رأيت العلماء رأيته معهم. وإن رأيت العباد، رأيته معهم. وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم. وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين

المحسنين رأيته معهم، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم، فهذا هو العبد المطلق، الذي لم تملكه الرسوم، ولم تقيده القيود، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات. بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه، فهذا هو المتحقق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ حقًّا، القائم بهما صدقًا. ملبسه ما تهيأ، ومأكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر به في كل وقت بوقته، ومجلسه حيث انتهى ووجده خاليًا، لا تملكه إشارة، ولا يتعبده قيد، ولا يستولي عليه رسم، حر مجرد، دائر مع الأمر حيث دار، يدين بدين الأمر أني توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مضاربه يأنس به كل محق، ويستوحش منه كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها وكلها منفعة حتى شوكها. وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انتهكت محارم الله، فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس. بل إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها، فواهًا له. ما أغْرَبَه بين الناس، وما أشدَّ وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه!! والله المستعان، وعليه التكلان» اهـ كلام ابن القيم [1].

✍ لله درُّ أهل البصائر في عبادة الله، وما أحلى كلامهم عن سرِّ العبودية وغايتها وحكمتها:

□ قال ابن القيم لله دره: «اعلم أن سر العبودية وغايتها وحكمتها:

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» الجزء الأول، وتفسير سورة الفاتحة لابن القيم .

إنما يطلع عليها من عرف صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، ولم يعطلها، وعرف معنى الإلهية وحقيقتها، ومعنى كونه إلهًا، بل هو الإله الحق، وكل إله سواه فباطل، بل أبطل الباطل، وأن حقيقة الإلهية لا تنبغي إلَّا له، وأن العبادة موجب إلهيته وأثرها ومقتضاها، وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وكرتباط المعلوم بالعلم، والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع، والإحسان بالرحمة، والعطاء بالجود. فمن أنكر حقيقة الإلهية ولم يعرفها كيف يستقيم له معرفة حكمة العبادات وغاياتها ومقاصدها وما شرعت لأجله؟ وكيف يستقيم له العلم بأنها هي الغاية المقصودة بالخلق، ولها خلقوا، ولها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولأجلها خلقت الجنة والنار؟ وأن فرض تعطيل الخليقة عنها: نسبة لله إلى ما لا يليق به، ويتعالى عنه مَنْ خلق السموات والأرض بالحق، ولم يخلقهما باطلًا، ولم يخلق الإنسان عبثًا ولم يتركه سُدًى مهملًا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون]. أي لغير شيءٍ ولا حكمة، ولا لعبادتي ومجازاتي لكم، وقد صرح تعالى بهذا في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

فالعبادة: هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس والخلائق كلها. قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة].

أي مهملًا قال الشافعي: لا يؤمر ولا يُنْهَى، وقال غيره: لا يثاب ولا يعاقب، والصحيح: الأمران. فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهي، والأمر والنهي هو طلب العبادة وإرادتها، وحقيقة العبادة امتثالهما.

وقال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢].

فأخبر أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمن: أمره ونهيه، وثوابه وعقابه.

فإذا كانت السموات والأرض وما بينهما خلقت لهذا، وهو غاية الخلق، فكيف يقال: إنه لا علة له، ولا حكمة مقصودة هي غايته؟ أو إن ذلك لمجرد استئجار العباد حتى لا ينكد عليهم الثواب بالمنة، أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية. وارتياضها بمخالفة العوائد؟.

فليتأمل اللبيب الفرقان بين هذه الأقوال، وبين ما دل عليه صريح الوحي يجد أن أصحاب هذه الأقوال ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته.

فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته. مع الخضوع له والانقياد لأمره.

فأصل العبادة: محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله. فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحبه.

وإذا كانت المحبة له حقيقة عبوديته وسرها. فهي إنما تتحقق باتباع

أمره، واجتناب نهيه. فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة. ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله عَلَمًا عليها، وشاهدًا لمن ادعاها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فجعل اتباع رسوله مشروطًا بمحبتهم لله، وشرطًا لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة. فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذًا ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله».

□ قال ابن القيم رحمه الله: «وبنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان، والقلب، وعمل القلب والجوارح.

فالعبودية: اسم جامع لهذه المراتب الأربع. فأصحاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقًّا هم أصحابها».

أطيب الكلام وجوامعه في «العبودية»:

□ قال ابن القيم رحمه الله: «ورحى العبودية تدور في خمس عشرة قاعدة. من كملها كل مراتب العبودية.

وبيانها: أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح. وعلى كل منها عبودية تخصه.

والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح وهي لكل واحد من القلب واللسان، والجوارح. فواجب القلب: منه متفق على وجوبه، ومختلف فيه.

فالمتفق على وجوبه: كالإخلاص، والتوكل، والمحبة، والصبر، والإنابة، والخوف، والرجاء، والتصديق الجازم، والنية في العبادة، وهذه قدر زائد على الإخلاص، فإن الإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره.

ونية العبادة لها مرتبتان.

إحداهما: تمييز العبادة عن العادة.

والثانية: تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض.

والأقسام الثلاثة واجبة.

وكذلك الصبر.

وأما المختلَف فيه فكالرضا.. وكذلك التوكل.. وأمر بالإنابة، وأمر بالإخلاص، وكذلك الخوف..، وكذلك الصدق، وكذلك المحبة، وهي أفرض الواجبات، إذ هي قلب العبادة المأمور بها ومخها وروحها..

والقصد أن هذه الأعمال -واجبها ومستحبها- هي عبودية القلب فمن عطّلها فقد عطّل عبودية الملك وإن قام بعبوديته رعيته من الجوارح. والمقصود أن يكون ملك الأعضاء -وهو القلب- قائمًا بعبوديته لله سبحانه هو ورعيته.

وأما المحرمات التي عليه: فالكبر، والرياء، والعجب، والحسد، والغفلة، والنفاق وهي نوعان: كفر ومعصية.

فالكفر: كالشك والنفاق والشرك وتوابعها. «والمعصية نوعان: كبائر. وصغائر».

فالكبائر: كالرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله والفرح والسرور

بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا وشرب الخمر وغيرها من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب، ولا للجسد إلَّا باجتنابها، والتوبة منها، وإلَّا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن.

وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها.

فوظيفة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على القلب قبل الجوارح، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها ولا بد. وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها.

وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه، وقد تكون كبائر بحسب قوتها وغلظها وخفتها ودقتها.

ومن الصغائر أيضًا: شهوة المحرمات وتمنيها. وتفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر، بحسب تفاوت درجات المشتهى، فشهوة الكفر والشرك: كفر، وشهوة البدعة: فسق، وشهوة الكبائر: معصية، فإن تركها لله مع قدرته عليها أثيب. وإن تركها عجزًا عن بذله مقدوره في تحصيلها: استحق عقوبة الفاعل، لتنزله منزلته في أحكام الثواب والعقاب، وإن لم ينزل منزلته في أحكام الشرع، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، قالوا: هذا القاتل يا رسول الله، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[1]. فنزله منزلة القاتل، لحرصه في الإثم دون الحكم، وله نظائر كثيرة في الثواب والعقاب.

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٠٦)، ومسلم (٥/ ٢٣٧).



وقد علم بهذا مستحب القلب ومباحه.

عبوديّات اللسان:

وأما عبوديات اللسان الخمس: فواجبها: النطق بالشهادتين، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن. وهو ما يتوقف صحة صلاته عليه، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها ورسوله، كما أمر بالتسبيح في الركوع والسجود، وأمر بقول: «ربنا ولك الحمد» بعد الاعتدال، وأمر بالتشهد، وأمر بالتكبير.

ومن واجبه: رد السلام. وفي ابتدائه قولان. ومن واجبه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة المتعينة، وصدق الحديث.

وأما مستحبه: فتلاوة القرآن ودوام ذكر الله، والمذاكرة في العلم النافع، وتوابع ذلك.

وأما محرمه فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله، والدعاء إليها وتحسينها وتقويتها، وكالقذف وسب المسلم، وأذاه بكل قول، والكذب، وشهادة الزور، والقول على الله بلا علم، وهو أشدها تحريمًا.

ومكروهه: التكلم بما تركه خير من الكلام به، مع عدم العقوبة عليه.

وقد اختلف السلف. هل في حقه كلام مباح متساوي الطرفين؟ على قولين. ذكرهما ابن المنذر وغيره.

أحدهما: أنه لا يخلو كل ما يتكلم به: إما أن يكون له أو عليه. وليس في حقه شيء لا له ولا عليه.

وقالت طائفة: بل هذا الكلام مباح لا له ولا عليه كما في حركات الجوارح.

قالوا: لأن كثيرًا من الكلام لا يتعلق به أمر ولا نهي. وهذا شأن المباح.

والتحقيق: أن حركة اللسان بالكلام لا تكون متساوية الطرفين بل إما راجحة وإما مرجوحة. لأن للسان شأنًا ليس لسائر الجوارح، وإذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وأن اعوججت اعوججنا. وأكثر ما يُكِبُّ الناس على مناخرهم في النار حصائد ألسنتهم، وكل ما يتلفظ به اللسان، فإما أن يكون مما يرضي الله ورسوله أو لا، فإن كان كذلك فهو الراجح، وإن لم يكن كذلك فهو المرجوح. وهذا بخلاف حركات سائر الجوارح، فإن صاحبها ينتفع بتحريكها في المباح المستوي الطرفين، لما له في ذلك من الراحة والمنفعة، فأبيح له استعمالها فيما فيه منفعة له، ولا مضرة عليه فيه في الآخرة، وأما حركة اللسان بما لا ينتفع به فلا يكون إلَّا مضرة. فتأمله.

عُبُودِيَّات الجوارح:

وأما العبوديات الخمس على الجوارح: فعلى خمس وعشرين مرتبة أيضًا: إذ الحواس خمسة؛ وعلى كل حاسة خمس عبوديات، فعلى السمع: وجوب الإنصات والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه، من استماع الإسلام والإيمان وفروضهما، وكذلك استماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام، واستماع الخطبة للجمعة في أصح قولي العلماء.

ويحرم عليه استماع الكفر والبدع، إلَّا حيث يكون في استماعه مصلحة

راجحة. من ردّه، أو الشهادة على قائله، أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره، ولا يجب أن يطلعك عليه، ما لم يكن متضمنًا لحق الله يجب القيام به، أو لأذى مسلم يتعين نصحه، وتحذيره منه.

وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن، إذا لم تدع إليه حاجة، من شهادة، أو معاملة، أو استفتاء، أو محاكمة، أو مداواة ونحوها.

وكذلك استماع المعازف وآلات الطرب واللهو، كالعود والطنبور واليراع ونحوها. ولا يجب عليه سَدُّ أذنه إذا سمع الصوت، وهو لا يريد استماعه، إلَّا إذا خاف السكون إليه والإنصات، فحينئذٍ يجب تجنب سماعها وجوب سد الذرائع.

ونظير هذا المحرم: لا يجوز له تعمد شم الطيب، وإذا حملت الريح رائحته وألقتها في مشامِّه لم يجب عليه سد أنفه، ونظير هذا: نظرة الفجأة لا تحرم على الناظر، وتحرم عليه النظرة الثانية إذا تعمدها.

وأما السمع المستحب: فكاستماع المستحب من العلم، وقراءة القرآن، وذكر الله، واستماع كل ما يحبه الله، وليس بفرض.

والمكروه: عكسه، وهو استماع كل ما يكرهه ولا يعاقب عليه، والمباح ظاهر.

وأما النظر الواجب: فالنظر في المصحف وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها، والنظر إذا تعين لتمييز الحلال والحرام في الأعيان التي يأكلها وينفقها ويستمتع بها، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها،

ونحو ذلك.

والنظر الحرام: النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقًا، وبغيرها إلَّا لحاجة، كنظر الخاطب، والمستام والمعامل، والشاهد، والحاكم، والطبيب، وذي المحرم.

والمستحب: النظر في كتب العلم والدين التي يزداد بها الرجل إيمانًا وعلمًا والنظر في المصحف ووجوه العلماء الصالحين والوالدين، والنظر في آيات الله المشهودة، ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته.

والمكروه: فضول النظر الذي لا مصلحة فيه. فإن له فضولًا كما للسان فضولًا، وكم قاد فضولها إلى فضول عَزَّ التخلص منها، وأعيَى دواؤها. وقال بعض السلف: كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام.

والمباح: النظر الذي لا مضرة فيه في العاجل والآجل ولا منفعة.

ومن النظر الحرام: النظر إلى العورات. وهي قسمان:

عورة وراء الثياب، وعورة وراء الأبواب.

ولو نظر في العورة التي وراء الأبواب فرماه صاحب العورة ففقأ عينه لم يكن عليه شيءٌ، وذهبت هدرًا، بنص[1] رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته. وإن ضعفه بعض الفقهاء، لكونه لم يبلغه النص، أو

---

(١) يقصد ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح»**. رواه البخاري في «الديات» (١٢/ ٢٥٣) باب: من اطلع في بيت قوم. ومسلم (٤/ ٨٦٦) في «الآداب»، باب: تحيم النظر.

تأوله، وهذا إذا لم يكن للناظر سبب يباح النظر لأجله، كعورة له هناك ينظرها، أو ريبة هو مأمور أو مأذون له في اطلاعها.

وأما الذوق الواجب: فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه، وخوف الموت. فإن تركه حتى مات، مات عاصيًا قاتلًا لنفسه. قال الإمام أحمد وطاووس: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات، دخل النار.

ومن هذا: تناول الدواء إذا تيقن به من الهلاك، على أصح القولين. وإن ظن الشفاء به، فهل هو مستحب مباح، أو الأفضل تركه؟ فيه نزاع معروف بين السلف والخلف.

والذوق الحرام: كذوق الخمر والسموم القاتلة. والذوق الممنوع منه للصوم الواجب.

وأما المكروه: فكذوق المشتبهات، والأكل فوق الحاجة، وذوق طعام الفجاءة، وهو الطعام الذي تفجأ آكله، ولم يرد أن يدعوك إليه، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها، وفي السنن: أن رسول الله ﷺ: «نهى عن طعام المتبارين»[1] وذوق طعام من يطعمك حياء منك لا بطيبة نفس.

والذوق المستحب: أكل ما يعينك على طاعة الله عز وجل، مما أذن الله فيه، والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل، فينال منه غرضه. والأكل من طعام

---

(١) رواه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٠) في الأطعمه، باب: في طعام المتباريين وأشار أبو داود إلى إرساله عن عكرمة رضي الله عنه وصحح ذلك البغوي في «المشكاة» (٢/ ٩٦٢- ٩٦٣)، ورواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤/ ١٢٨- ١٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

صاحب الدعوة الواجب إجابتها أو المستحب.

وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب إجابتها، للأمر به عن الشارع.

والذوق المباح: ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان.

وأما تعلق العبوديات الخمس بحاسة الشم، فالشم الواجب: كل شم تعين طريقًا للتمييز بين الحلال والحرام، كالشم الذي يعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة؟ وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه؟ أو يميز به بين ما يملك الانتفاع به، وما لا يملك؟ ومن هذا شم المقوِّم وربُّ الخِبْرة عند الحكم بالتقويم، والعبيد ونحو ذلك.

وأما الشم الحرام: فالتعمد لشم الطيب في الإحرام، وشم الطيب المغصوب والمسروق، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات للافتتان بما وراءه.

وأما الشم المستحب: فشم ما يعينك على طاعة الله ويقوي الحواس، ويبسط النفس للعلم والعمل. ومن هذا: هدية الطيب والريحان إذا أهديت لك. ففي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ: **«من عُرِض عليه ريحان فلا يرده؛ فإنه طيب الريح، خفيف المحمل»**[1].

والمكروه: كشم طيب الظَّلَمة، وأصحاب الشبهات، ونحو ذلك.

والمباح: ما لا منع فيه من الله ولا تبعة، ولا فيه مصلحة دينية ولا تعلق له بالشرع.

---

(١) رواه مسلم (٥/ ١٠٩) في الألفاظ، باب: استعمال المسك. وأبو داود (١١/ ٢٢٩)، والنسائي (٨/ ١٨٩).

وأما تعلق هذه الخمسة بحاسة اللمس. فاللمس الواجب: كلمس الزوجة حين يجب جماعها والأمة الواجب إعفافها.

والحرام: لمس ما لا يحل من الأجنبيات.

والمستحب: إذا كان فيه غض بصره وكف نفسه عن الحرام وإعفاف أهله.

والمكروه: لمس الزوجة في الإحرام للذة، وكذلك في الاعتكاف، وفي الصيام إذا لم يأمن على نفسه.

ومن هذا لمس بدن الميت -لغير غاسله- لأن بدنه قد صار منزلة عورة الحي تكريمًا له، ولهذا يستحب ستره عن العيون وتغسيله في قميص في أحد القولين ولمس فخذ الرجل، إذا قلنا: هو عورة.

والمباح ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينية.

وهذه المراتب أيضًا مُرَتَّبة على البطش باليد والمشي بالرجل، وأمثلتها لا تخفى.

فالتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله: واجب. وفي وجوبه لقضاء دينه خلاف، والصحيح: وجوبه ليمكنه من أداء دينه، ولا يجب لإخراج الزكاة، وفي وجوبه لأداء فريضة الحج نظر، والأقوى في الدليل: وجوبه لدخوله في الاستطاعة، وتمكنه بذلك من أداء النسك، والمشهور عدم وجوبه.

ومن البطش الواجب: إعانة المضطر ورمي الجمار، ومباشرة الوضوء والتيمم.

والحرام: كقتل النفس التي حرم الله، ونهب المال المغصوب، وضرب

من لا يحل ضربه ونحو ذلك، وكأنواع اللعب المحرم بالنص كالنّرد، أو ما هو أشد تحريمًا منه عند أهل المدينة كالشطرنج، أو مثله عند فقهاء الحديث كأحمد وغيره، أو دونه عند بعضهم. ونحو كتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفًا أو نسخًا، إلَّا مقرونًا بردها ونقضها، وكتابة الزور والظلم، والحكم الجائر، والقذف والتشبيب بالنساء الأجانب، وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم، ولا سيما إن كسبت عليه مالًا: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

وكذلك كتابة المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله، إلَّا أن يكون مجتهدًا مخطئًا، فالإثم موضوع عنه.

وأما المكروه: فكالعبث واللعب الذي ليس بحرام، وكتابة ما لا فائدة في كتابته، ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة.

والمستحب: كتابة كل ما فيه منفعة في الدين، أو مصلحة لمسلم، والإحسان بيده بأن يعين صانعًا، أو يصنع لأخْرق، أو يُفرغ من دَلْوه في دلو المستسقي، أو يحمل له على دابته، أو يمسكها حتى يحمل عليها، أو يعاونه بيده فيما يحتاج إليه ونحو ذلك، ومنه: لمس الركن بيده في الطواف، وفي تقبيلها بعد اللمس قولان.

والمباح: ما لا مضرة فيه ولا ثواب.

وأما المشي الواجب: فالمشي إلى الجمعات والجماعات، في أصح القولين لبضعة وعشرين دليلًا، مذكورة في غير هذا الموضع، والمشي حول البيت للطواف الواجب، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دُعي إليهن والمشي إلى صلة رحمه، وبر

والديه، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه، والمشي إلى الحج إذا قربت المسافة ولم يكن عليه فيه ضرر.

والحرام: المشي إلى معصية الله، وهو من رَجِل الشيطان. قال تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

□ قال مقاتل: «استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم. فكل راكب وماش في معصية الله فهو من جند إبليس».

وكذلك تعلق هذه الأحكام الخمس بالركوب أيضًا:

فواجبه في الركوب في الغزو والجهاد والحج الواجب.

ومستحبه: في الركوب المستحب من ذلك، ولطلب العلم، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وفي الوقوف بعرفة نزاع: هل الركوب فيه أفضل، أم على الأرض؟ والتحقيق: أن الركوب أفضل إذا تضمن مصلحة: من تعليم للمناسك، واقتداء به، وكان أعون على الدعاء، ولم يكن فيه ضرر على الدابة.

وحرامه: الركوب في معصية الله عز وجل.

ومكروهه: الركوب للهو واللعب، وكل ما تركه خير من فعله.

ومباحه: الركوب لما لم يتضمن فوت أجر، ولا تحصيل وزر.

فهذه خمسون مرتبة على عشرة أشياء: القلب، واللسان، والسمع، والبصر والأنف، والفم، واليد، والرجل، والفرج، والاستواء على ظهر الدابة»[١].

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٧- ١٢٢).

أحاديث عطرة في التوحيد:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبيُّ ﷺ مُعاذًا إلى نحو أهلِ اليمنِ، قالَ لهُ: «إنَّكَ تقْدَمُ على قوم من أهل الكتاب، فليكُنْ أوَّل ما تدعوهُمْ إلى أن يُوحِّدُوا الله تعالى، فإذا عرفُوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله فرضَ عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم، فإذا صلَّوا فأخْبرهم أَنَّ الله افترض عليهم زكاةَ أموالهم تؤخَذُ من غنيِّهم فترَُدُ على فقيرهم، فإذا أقرُّوا بذلك فخذ منهم وتَوَقَّ كرائِمَ أَمْوالِ النَّاسِ»[1].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسةٍ: على أنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وصيام رمضان، والحج»، فقال رجلٌ: الحجِّ وصيام رمضان؟ قال: لا: صيام رمضان، والحجّ، هكذا سمعتُهُ من رسولِ الله ﷺ»[2].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا أراد أن يُضَحِّي اشترى كبْشَيْنِ عظيمين، سمينين، أقرنيْنِ، أمْلَحَينِ، موْجُوءَيْن[3] فذبح أحدهما عن أُمَّتِه لمن شهدَ لله بالتَّوْحيدِ وشهد له بالبلاغِ، وذَبَحَ الآخرَ عن محمَّدٍ وعن آل محمَّدٍ ﷺ، زَادَ في رواية أحمد عن أبي رافعٍ قال: فكأَنَّ رسولَ الله ﷺ قد كَفَانا»[4].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) الأملح: ما كان فيه بياض وسواد، وبياضه أكثر، والأقرن: ما كان له قرنان معتدلان، والموجوء: هو الخَصِيُّ أي نزع منه عرق الأنثيين، وذلك أسمن له.

(٤) ابن ماجه (٢/ ٣١٢٢) واللفظ له. وفي «الزوائد» في إسناده عبد الله بن محمد مختلف فيه، وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٦٦)، =

• عن عمرو بن شُعيبٍ عن أبيه عن جده: أنَّ العاص بن وائلٍ نذَر في الجاهليَّةِ أنْ ينْحَرَ مئةَ بدنَةٍ، وأنَّ هشام بن العاص نَحَرَ حِصَّتَهُ، خمسين بدنةً، وأَنَّ عمْرًا سأل النَّبيَّ ﷺ عن ذلك فقال: «**أما أَبُوكَ فلوْ كان أَقَرَّ بالتَّوحِيدِ فَصُمْتَ وتصدَّقْتَ عنه نَفَعَهُ ذلك**»(١).

• عن ماعزٍ التَّمِيميِّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ: أنَّهُ سُئِلَ أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟. قال: «**إيمانٌ بالله وحْدَهُ، ثُمَّ حجَّةٌ برَّةٌ تفضُلُ سَائِرَ الأعمالِ، كما بينَ مطْلَعِ الشَّمْسِ إلى مغْرِبِهَا**»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**كان رجُلٌ ممَّنْ كان قبلكم لم يَعْمَلْ خيرًا قَطُّ إلَّا التوْحِيدَ، فلمَّا احْتُضِرَ قال لأهلِهِ: انْظُروا إذا أنا مِتُّ أنْ يحرِقُوهُ حتَّى يَدَعُوهُ حُمَمًا، ثمَّ اطْحَنُوهُ، ثُمَّ أذْرُوهُ في يوْمِ رِيحٍ، فلمَّا ماتَ فعَلُوا ذلكَ به، فإذا هو في قَبْضَةِ الله، فقال اللهُ عز وجل يا ابْنَ آدَمَ، مَا حَمَلَكَ على ما فعَلْتَ؟ قال: أيْ ربِّ، مِنْ مَخافَتِكَ، قال: فَغُفِرَ لهُ بِهَا، ولمْ يعْمَلْ خيرًا قَطُّ إلَّا التَّوْحِيدَ**»(٣).

• وعن أبي مالكٍ عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ وحَّدَ الله تعالى وكَفَرَ بما يُعْبَدُ منْ دُونِهِ، حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ، وحسَابُهُ على الله**

وأحمد «من رواية أبي رافع» (٦/ ٨).

(١) أحمد (٢/ ١٨٢) حديث رقم (٦٧٠٤)، قال الشيخ شاكر إسناده صحيح، وهو في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٩٢).

(٢) إسناده جيد: رواه أحمد (٤/ ٣٤٢)، وقال الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح» (ص٢١٨): إسناده جيد.

(٣) أحمد (٢/ ٣٠٤) واللفظ له، وأصله في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَزَّ وَجَلَّ»[١].

• وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُعَذَّبُ ناسٌ منْ أَهْلِ التَّوحيدِ في النارِ حتى يكُونُوا فيها حُمَمًا [٢]. ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فيُخْرَجُونَ ويُطْرَحُونَ على أبْوابِ الجنَّةِ، قال: فترُشُّ عليهمْ أهْلُ الجَنَّةِ الماءَ فينْبُتُونَ كما يَنْبُتُ الغُثَاءُ في حِمَالَةِ السَّيْلِ [٣]. ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجنَّة»**[٤].

• وعن عمرو بن عبَسَة السُّلَميِّ قال: كنتُ وأنا في الجاهلية، أظُنُّ أنَّ الناسَ على ضلالَةٍ، وأنَّهُمْ ليْسُوا على شيءٍ وهم يعبُدون الأوْثَانَ، فسَمِعْتُ برَجُلٍ بمكَّةَ يُخْبِرُ أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله مستخفيًا، جرآء عليه قومه [٥]؛ فتلطَّفْتُ حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: **«أنا نبيٌّ»**، فقلتُ: وما نبيٌّ؟ قال: **«أرسلني الله»**، فقلت: وبأيِّ شيءٍ أرْسلك؟ قال: **«أرسلني بصلةِ الأرْحَامِ، وكَسْرِ الأوثَانِ، وأنْ يُوَحَّدَ الله لا يُشْركُ به شيءٌ»**، قلت له: فمنْ معك على هذا؟ قال: **«حُرٌّ وعبْدٌ»** (قال: ومعه يومئذٍ أبو بكرٍ وبلالٌ ممَّنْ آمن به)، فقلتُ: إني متَّبِعُكَ. قال: **«إنَّكَ لا تستطيع ذلك يومك هذا؛ ألا ترى حالي وحال**

---

(١) مسلم (٢٣) وأحمد (٣/ ٤٧٢) واللفظ له، وانظر أيضًا (٦/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(٢) الحمم: جمع حُمَمَة وهي الفحمة.

(٣) ينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل. المراد: أنهم سرعان ما تعود إليهم أبدانهم وأجسامهم بعد إحراق النار لها، وذلك مثل ما يجيء به السيل من غثاء ونحوه فيستقر على الشاطئ فينبت في يوم وليلة.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٤/ ٧١٣) رقم (٢٥٩٧) واللفظ له، ورواه أحمد (٣/ ٣٩١).

(٥) جُرآءُ جمع جريء مثل برآء، والمراد: أنَّهم يَتَجَرَّؤونَ على إيذائه.

الناس؟ ولكن ارْجِعْ إلى أهْلِكَ، فإذا سمعتَ بي قدْ ظهرْتُ فأتني» قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي فجعلت أتخبَّرُ الأخبار وأسألُ الناس حين قدم المدينة، حتَّى قَدِمَ عليَّ نفرٌ منْ أهلِ يثْرِبَ من أهلِ المدينةِ. فقلتُ: ما فعل هذا الرَّجلُ الذي قَدِمَ المدينةَ؟ فقالوا: الناسُ إليه سراعٌ، وقدْ أرادَ قومُهُ قتْلَهُ فلم يستطيعُوا ذلك، فقدمْتُ المدينةَ، فدخلتُ عليه. فقلتُ: يا رسولَ الله ﷺ، أتعرفُني؟ قال: «نعمْ. أنْتَ الذي لقيتني بمكَّةَ؟» قال: فقلتُ: بلى. فقَلتُ: يا نبيَّ الله، أخبرْني عمَّا علَّمَك الله وأجْهله. أخبرني عن الصلاة. قال: «صلِّ صلاةَ الصُّبْحِ، ثمَّ أقْصِرْ عن الصلاة حتى تطْلُعَ الشمسُ حتى ترْتَفِع، فإنها تطْلُعُ حين تطلع بين قرْنيْ شيطانٍ، وحينئِذٍ يسْجُدُ لها الكُفَّارُ. ثم صَلِّ، فإِنَّ الصَّلاةَ مشْهُودَةٌ[1] محضورةٌ[2] حتى يستَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ، ثُمَّ أقْصِرْ عن الصلاة فإنَّ حينَئِذٍ تُسْجَرُ جهنَّمُ[3]، فإذا أقبل الفيءُ فصلِّ، فإن الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ حتى تُصَلِّيَ العصر، ثمَّ أقْصِرْ عن الصلاةِ حتى تغْرُبَ الشمسُ فإنها تغْرُبُ بين قرْنَيْ شيطانٍ، وحينئذٍ يسْجد لها الكُفَّارُ». قال فقلت: يا نبي الله، فالوضوءُ؟ حدثني عنه. قال: «ما منكمْ رجُلٌ يقَرِّبُ وضوءهُ فيتمضْمَضُ ويسْتنْشِقُ فينْثُرُ إلَّا خَرَّتْ خطايا وجْهِهِ وفيه وخياشيمه، ثمَّ إذا غسل وجْههُ كما أمرهُ الله إلَّا خرَّتْ خطايا وجهه من أطْرَافِ لحيته مع الماءِ، ثمَّ يغْسِلُ يديْهِ إلى المرفقيْنِ إلَّا خَرَّتْ خطايا يديْهِ مع أنَامله مع الماء، ثُمَّ يمْسَحُ

---

(١) مشهودة: يشهدها الملائكة.

(٢) محضورة: يحضرها أهل الطاعات.

(٣) اسم محذوف وهو ضمير الشأن. ومعنىٰ تسجر جهنم: يوقد عليها إيقادًا.

رأسه إِلَّا خرَّتْ خطايا رأسِهِ من أطرافِ شعْرِهِ مع الماء، ثُمَّ يغْسِلُ قدميْهِ إلى الكعبين إِلَّا خرَّتْ خطايا رجْليه من أنامله مع الماء، فإنْ هو قام فصلَّى، فحمِدَ الله وأثنى عليه، ومجَّدَهُ بالذي هوَ لهُ أهلٌ، وفرَّغَ قلْبَه لله، إِلَّا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه»[1].

• عن جابرٍ رضي الله عنه أَتى النَّبِيَّ ﷺ رجُلٌ فقال: يا رسول الله: ما الموجبَتَانِ؟ قال: «**مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا دخل الجنَّة، ومنْ ماتَ يُشْرِكُ بالله دخلَ النَّارَ**»[2].

• عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**أتَانِي جبْرِيلُ فبَشَّرَني أنَّهُ منْ مات لا يُشْرِكُ بالله شيئًا دخل الجنَّةَ**»، قلتُ: وإنْ سرقَ وإنْ زنَى؟ قال: «**وإنْ سرقَ وإنْ زنَى**»[3].

• عن الصُّنَابحي عنْ عبادة بن الصامتِ، أنَّهُ قال: دخلتُ عليه وهو في الموتِ، فبكَيْتُ، فقال: مهْلًا[4] لم تبكِي؟ فوالله لَئِنِ استُشْهِدْتُ لأشهدنَّ لك، ولئِنْ شُفِّعتُ لأشفعنَّ لك، ولئنِ استطعْتُ لأنفعنَّكَ. ثمَّ قال: والله ما منْ حديثٍ سمعْتُه من رسول الله ﷺ لكمْ فيه خيرٌ إِلَّا حدَّثْتُكُمُوهُ إِلَّا حديثًا واحدًا، وسوْفَ أحدِّثُكُموهُ اليوم، وقدْ أُحِيطَ بنفْسِي[5]. سمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**منْ شَهِدَ أن لا إله إِلَّا الله، وأنَّ محَمَّدًا رسولُ الله**

---

(١) رواه مسلم (٨٣٢) واللفظ له، وأحمد (٤/ ١١٢).

(٢) رواه مسلم (٩٣).

(٣) رواه البخاري (٧٤٨٧)، ومسلم (٩٤).

(٤) أي: أنظرني.

(٥) أُحيط بنفسي: أيْ قربت من الموت، وأيستُ من النجاة والحياة.

حَرَّمَ اللهُ عليهِ النَّارَ»[١].

• وبعث رسول الله ﷺ بعثًا بعثًا من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم التقوْا فكان رجلٌ مِنَ المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجلٍ من المسلمين قصد له فقتله. وإنَّ رجلًا من المسلمين قصد غفْلَتَهُ، قال: وكُنَّا نحَدَّثُ أنَّهُ أسامة بن زيدٍ، فلمَّا رفع عليه السيف قال: لا إله إلَّا الله، فقتله. فجاء البشيرُ إلى النبي ﷺ فسأله فأخْبَرهُ، حتَّى أخبَرَهُ خبر الرَّجُلِ كيف صنع، فدعاهُ فسأله، فقال: «لم قتلْتَهُ؟» قال: يا رسول الله، أوْجَعَ[٢] في المسلمين، وقتل فُلانًا وفُلانًا، وسمَّى له نفرًا، وإنِّي حملْتُ عليه، فلمَّا رأى السيفَ قال: لا إله إلَّا الله. قال رسول الله ﷺ: «أقتَلْتَهُ؟» قال: نعم. قال: «فكيفَ تَصْنَعُ بلا إله إلَّا الله إذا جَاءَتْ يومَ القيامَةِ؟» قال: يا رسول الله، استغفرْ لي. قال: «وكَيْفَ تَصْنَعُ بلا إله إلَّا الله إذا جاءَتْ يومَ القيَامَةِ؟». قال: فجعل لا يزيدُهُ على أنْ يقولَ: «كيفَ تَصْنَعُ بلا إله إلَّا الله إذا جاءَتْ يوم القيامة؟»[٣].

• وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سَريَّةٍ فصبَّحْنا الحرُقَاتِ[٤] من جهينة، فأدركتُ رجلًا، فقال: لا إله إلَّا الله، فَطَعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبيِّ ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أقال: لا إله إلَّا الله وقتَلْتَهُ؟» قال: قلتُ: يا رسول الله، إنما قالها خوْفًا من السلاحِ،

---

(١) رواه مسلم (٤٧).

(٢) أوجع في المسلمين: أيْ أوقع بهم وآلمهم.

(٣) رواه مسلم (١٦٠).

(٤) فصبحنا الحرقات: أيْ أتيناهم صباحًا، والحرقات: موضع ببلاد جهينة.

قال: «**أفَلا شَقَقْتَ عنْ قلْبِهِ**[1] **حتَّى تعلمَ أقْالَهَا أم لا**»، فما زال يكرِّرُها عليَّ حتى تمنيت أني أسلمتُ يومئذٍ. قال: فقال سعدٌ: وأنا والله لا أقتل مسلمًا حتى يقتله ذو البطين -يعني أسامة- قال: قال رجلٌ: ألم يقُلِ اللهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ ؟ فقال سعدٌ: قد قاتلنا حتى لا تكونَ فتنةٌ، وأنت وأصحابُكَ تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنةٌ»[2].

• عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قال موسى: يا ربِّ، علِّمْني شيئًا أذكرُك وأدْعُوكَ به. قال: قُل يا موسى: لا إله إلَّا الله. قال: يا ربِّ، كلُّ عبادِكَ يقولون هذا، قال: يا موسى، لوْ أنَّ السموات السَّبْعَ وعامِرَهُنَّ غيري، والأرْضِينَ السبعَ في كِفَّةٍ، ولا إله إلَّا الله في كفَّةٍ مالتْ بهِنَّ لا إله إلَّا الله**»[3].

• عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ اللهَ أوْحَى إلى يحْيَى بن زكريَّا بخمْسِ كلماتٍ أنْ يعمل بهنَّ، ويأمُرَ بَنِي إسرائيلَ أنْ يعْمَلُوا بهِنَّ فكأنَّهُ أبْطَأَ بهنَّ، فأَتَاهُ عيسَى قال: إنَّ اللهَ أمرَكَ بخَمْسِ كلماتٍ أنْ تعْمَلَ بهِنَّ، وتأمُرَ بني إسرائيل أنْ يعملوا بهنَّ، فأمَّا أنْ تخْبرَهُمْ، وإمَّا أنْ**

---

(١) أفلا شققت عن قلبه: معناه: إنما كلفت بالعمل الظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان.

(٢) مسلم (١٥٨).

(٣) صحيح: رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٨٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٢٤) موارد، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٧٥): أخرجه النسائي بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أخبرهُمْ، فقال: يا أخي! لا تفعل فإني أخافُ إنْ تسبِقْني بهنَّ أنْ يُخْسَفَ بي، أو أُعَذَّبَ. قال: فجمع بني إسرائيلَ ببيْتِ المقْدس حتَّى امْتَلأ المسجِدُ وقعدُوا على الشُّرُفاتِ، ثمَّ خطبهم فقال: إن الله أوْحَى إليَّ بخمْسِ كلماتٍ أنْ أعمل بهنَّ، وآمُرَ بني إسرائيل أنْ يعملوا بهنَّ، أوَّلُهنَّ: أنْ لا تُشْركُوا بالله شيْئًا، فَإنَّ مثل منْ أشْرَكَ بالله كمثلِ رجُلٍ اشترى عبْدًا من خالصِ ماله بذهبٍ أو ورقٍ، ثُمَّ أسْكَنَهُ دارًا. فقال: اعْمَلْ وارفعْ إليَّ فجعل يعملُ ويرفعُ إلى غير سيِّده، فأيُّكُمْ يرضَى أنْ يكون عبدُهُ كذلك، فإنَّ الله خلقكُمْ ورزقَكُمْ فلا تُشْركوا به شيئًا، وإذا قمْتُمْ إلى الصلاةِ فلا تلْتَفِتُوا، فإنَّ الله يُقْبِلُ بوجهه إلى وجه عبدهِ ما لم يلْتَفِتْ وآمرُكُمْ بالصِّيامِ، ومثلُ ذلك كمثل رَجُلٍ في عصابةٍ معهُ صُرَّةُ مسكٍ، كلُّهمْ يُحِبُّ أنْ يجِدَ ريحَهَا، وإنَّ الصيامَ أطْيَبُ عند الله منْ ريح المسْكِ، وآمُرُكُمْ بالصَّدَقَةِ ومثل ذلك كمثلِ رجُلٍ أسَرَهُ العدوُّ فأوْثقُوا يدهُ إلى عُنُقِهِ، وقرَّبُوه ليضربُوا عنُقَهُ، فجعل يقول: هل لكمْ أنْ أفْدِيَ نفْسِي منكُمْ، وجعل يُعْطي القليل والكثير حتَّى فَدَى نفسه، وآمُرُكُمْ بذِكْرِ الله كثيرًا، ومثلُ ذكرِ الله كمثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا في أثَرِهِ حتَّى أتَى حِصْنًا حَصِينًا فأحْرَزَ نفسه فيه، وكذلك العبْدُ لا ينجو من الشيطانِ إلَّا بذِكْرِ الله..»[1].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «التاريخ»، والترمذي (٢٨٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه النسائي، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١٩٥، ١٩٦) برقم (١٨٩٥) واللفظ له، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم (١/ ٤٢١) وقال: صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٥٣)، و«صحيح الجامع» (١٧٢٤).

• عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ ليلةَ أسريَ بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمَّدُ! أقرئْ أمَّتَك منِّي السلام وأخبرهمْ أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّرْبَةِ، عذْبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها: سُبْحانَ الله، والحمْدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر**»[1].

خيرُ وافدٍ الوافد بالتوحيد على قومه:

□ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «.. فخرَجَ ضِمام حتى قَدِمَ على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أوَّلَ ما تكلَّمَ به أن قال: بئْستِ اللاتُ والعُزَّى، قالوا: مَهْ يا ضِمام، اتَّقِ البَرَصَ والجُذَام، اتق الجنون، قال: ويلكم، إنهما والله لا يُضُرَّان ولا ينفعانِ، إن الله عز وجل قد بعثَ رسولًا وأنزل عليه كتابًا استنقذَكُم به ممَّا كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، إني قدْ جئتكم من عنده بما أمَرَكُم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أَمْسَى مِن ذلك اليوم وفي حاضِرِه رجلٌ ولا امرأةٌ إلَّا مُسْلِمًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافدِ قومٍ كانَ أفضلَ من ضمام بن ثعلبة»[2].

أحاديث أُخَر في فضل التوحيد:

• قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ، فبشَّرني أنه من مات من أُمَّتِكَ لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: وإن زنى**

---

(١) حسن: رواه الترمذي في «سننه» وقال: حديث حسن غريب، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (١٠٥)، و«صحيح الجامع» (٥١٥٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٦٤) (٢٣٨٠)، والحاكم (٣/ ٥٥) (٤٣٨٠) وصحّحه ووافقه الذهبي.

وإِنْ سرق»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريلُ، فقال: بشِّرْ أُمَّتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: يا جبريل! وإِنْ سرقَ وإِن زنى؟ قال: نعم، قلتُ: وإن سرقَ وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرقَ وإن زنى؟ قال: نعم، وإِنْ شرب الخمر»(٢).

• وقال ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم»(٣).

• وقال ﷺ: «اخرج فنادِ في الناسِ: من شهد أن لا إله إلَّا الله وجبت له الجنة»(٤).

• وقال ﷺ: «بشِّر الناس أنَّه من قال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له؛ وجبت له الجنة»(٥).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم عن أبي ذر.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبّان عن أبي ذر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٦)، و«صحيح الجامع» (٦٦).

(٣) حسن: رواه أبو يعلىٰ عن رجل من خثعم، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٦). انظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥١).

(٤) صحيح: أخرجه أبو يعلىٰ عن أبي بكرة، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (١١٣٥)، و«صحيح الجامع» (٢٢٩).

(٥) صحيح: رواه النسائي عن سهل بن حنيف وعن زيد بن خالد الجهني، ورواه الطبراني في «الكبير» عن زيد، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٧١٢)، و«صحيح الجامع» (٢٨٢٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل: مَن مات من أُمَّتك لا يُشركُ بالله شيئًا دخل الجنةَ، قلت: وإن زنى وإن سرَقَ؟ قال: وإن زنى وإن سَرَق»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ قال: لا إله إلَّا الله، ثم مات على ذلك إلَّا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق، وإن رغِم أنف أبي ذر»(٢).

• وقال رسول الله ﷺ: «من جاء يعبد الله لا يشركُ به شيئًا، ويُقيمُ الصلاةَ، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضانَ، ويتَّقي الكبائر، فإن له الجنة، قالوا: ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله، وقتلُ النَّفْس المسلمة، وفرارٌ يوم الزَّحْفِ»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلَّا الله دخل الجنة»(٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، حَرَّم الله عليه النار»(٥).

• وقال رسول الله ﷺ: «من قال: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا، وجبت له الجنة»(٦).

---

(١) رواه البخاري عن أبي ذر.
(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أبي ذر.
(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أبي أيوب، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٠٢)، و«صحيح الجامع» (٦١٨٥).
(٤) صحيح: رواه البزار عن ابن عمر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤٤)، و«صحيح الجامع» (٦٣١٨).
(٥) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي عن عبادة.
(٦) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أبي سعيد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٤)، و«صحيح الجامع» (٦٤٢٨).

• وقال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبدُه ورسولُه، وابنُ أَمَتِه، وكَلِمتُه ألقاها إلى مريم، ورُوحٌ منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، أدخله الله الجنة -على ما كان من عمل- من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «من كان آخرُ كلامه: لا إله إلَّا الله دخل الجنة»(٢).

• وقال ﷺ: «من لَقِي الله لا يشرك به شيئًا دخلَ الجنَّة»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخلَ الجنَّة»(٤).

• وقال ﷺ: «لا يشهدُ أحدٌ أنه لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله، فيدخل النار أو تطعمه»(٥).

• وقال ﷺ: «يا ابن الخطاب! اذهب فنادِ في الناس: إنه لا يدخل الجنَّة إلَّا المؤمنون»(٦).

• وقال رسول الله ﷺ: «يا ابن عوف! اركب فرسك، ثم نادِ: إن الجنَّة لا تحِلُّ إلَّا لمؤمن»(٧).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن عبادة بن الصامت.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم عن معاذ، وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٨٧)، و«أحكام الجنائز» (٣٤)، و«صحيح الجامع» (٦٤٧٩).

(٣) رواه أحمد، والبخاري عن أنس.

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن مسعود.

(٥) رواه مسلم عن عتبان بن مالك.

(٦) رواه أحمد، ومسلم عن عمر.

(٧) صحيح: رواه أبو داود عن العرباض، وصححه الألباني في «تخريج وتحقيق =

• وقال ﷺ: «يا بلال! قم فأذِّن: لا يدخلُ الجنَّة إلَّا مؤمنٌ، وإن الله ليؤيِّدُ هذا الدين بالرَّجُل الفاجر»[(١)].

• وقال رسول الله ﷺ: «يا معاذ بن جبل! هَلْ تدري ماحقُّ الله على عباده وما حقُّ العبادِ على الله؟ فإنَّ حقَّ الله على العبَادِ أن يعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، وحَقَّ العبادِ على الله أن لا يُعذِّب من لا يشرك به شيئًا»[(٢)].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدمَ وفدُ نجران فقالوا - للرسول ﷺ -: صِفْ لنا ربَّكَ أزبرْجدٌ؟ أم ياقوتٌ؟ أم ذهبٌ؟ أم فضَّةٌ؟.

فقال: «إنَّ ربي ليس من شيءٍ، وإنَّهُ خلقَ الأشياءَ»، فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالوا: هو واحدٌ وأنت واحدٌ، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، قالوا: زدْنا من الصِّفَةِ. قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. فقالوا: وما الصَّمَدُ؟ قال: «الذي يصْمُدُ الخلقُ إليه في الحوائج». فقالوا: زدْنَا. فقال: «﴿لَمْ يَلِدْ﴾ كما ولدتْ مريمُ، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ كما وُلِدَ عيسَى، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾» يُريدُ: نظيرًا من خلْقِهِ»[(٣)].

المشكاة» (١٦٤)، وهو قطعة من حديث للعرباض مذكور بتمامه هناك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٤٠).

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي وابن ماجه عن معاذ بن جبل.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «المسند» والترمذي (٣٣٦٤)، والحاكم (٢/ ٥٤٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن جرير في «تفسيره» وهو حديث صحيح.

من درر كلام السلف الوارد في «التوحيد»[١]:

□ قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿..أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤] لا وثنًا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغُوتًا ولا نارًا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوةُ جميع الرُّسُل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]»[٢].

□ قال أبو العالية في تفسير «السواء» في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤].. كلمةُ السَّواءِ «لا إله إلَّا الله»[٣].

□ قال مجاهدٌ: «كلمةُ التَّقْوى: لا إله إلَّا الله»[٤].

□ سُئِلَ الزُّهْريُّ عن قول النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قال لا إله إلَّا الله دخل الجنَّةَ**»، فقال: «إنَّما كان هذا في أوَّلِ الإسلامِ قبْلَ نزولِ الفرائِضِ والأمر والنَّهْي» قال الترمذيُّ: ووجْهُ هذا الحديث عند بعض أهلِ العلم: أنَّ أهل التوحيدِ سيدْخُلونَ الجنَّةَ، وإنْ عذِّبُوا بالنَّارِ بذُنُوبهم فإنَّهُم لا يخَلَّدُون في النَّارِ»[٥].

□ قال الإمام البخاريُّ: «قال: عِدَّةٌ منْ أهلِ العلم في قوله تعالى:

---

(١) انظر: «نضرة النعيم» (ص١٣٣٧).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٩).
(٣) «تفسير الطبري» (٣/ ٢١٥).
(٤) «فتح الباري» (٨/ ٥٧٥).
(٥) الترمذي (٥/ ٢٤) ورد هذا الأثر شرحًا لحديث: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**».

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر] عن قول لا إله إلَّا الله»[1]. قال ابن حجرٍ: «من هؤلاء أنسُ بن مالكٍ، وعبد الله بن عمرَ ومجاهدٌ»[2].

□ قال النَّيْسابوريُّ في تفسير سورةِ الإخلاصِ: «وردَتِ الأخبارُ الكثيرةُ بفضْلِ سورة الإخلاص وأنَّها تعْدِلُ ثلثَ القرآن، فاسْتنبطَ العلماءُ لذلك وجْهًا مناسبًا: وهو أنَّ القرآن مع غزارةِ فوائِدِه اشتمل على ثلاثة معانٍ فقطْ هي: معرفة ذاتِ الله تعالى، ومعرفة أفعاله وسُنَنِه مع عبادِهِ.

ولَمَّا تضمَّنَتْ سورةُ الإخلاص أحد هذه الأقْسام الثلاثة وهو التَّقْدِيسُ -أي التوحيدُ- وازنها رسولُ الله ﷺ بثُلُثِ القُرْآنِ»[3].

□ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ هذه الآية التي في القُرْآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب] قال: في التَّوْارة: يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا ونذيرًا وحرْزًا للأمِّيين أنت عبْدِي ورسولي، سمَّيْتُكَ المتُوكِّلَ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخَّابٍ بالأسواق، ولا يدْفَعُ السيِّئَةَ بالسيِّئةِ، ولكنْ يَعْفُو ويصْفَحُ، ولنْ يقبضه اللهُ حتى يُقيمَ به الملة العوْجاءَ بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، فيَفْتَحُ بها أعيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا[4]، قال ابن حجرٍ: فيفْتحُ بها أي بكلمة التوحيد»[5].

□ قال الطبريُّ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ

(١) «فتح الباري» (١/ ٩٧).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٩٨).

(٣) «رغائب الفرقان» للنيسابوري (٣٠/ ٢٠١) على هامش الطبري.

(٤) البخاري -«الفتح» (٤٨٣٨).

(٥) «فتح الباري» (٨/ ٤٥١).

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف] يقول تعالى ذكرهُ لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدعوةُ التي أدْعُو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدُّعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دُونَ الآلهةِ والأوثانِ، والانتهاءِ إلى طاعته وترْكِ معْصِيته ﴿سَبِيلِيٓ﴾ وطريقتي ودعوتي ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ وحده لا شريك له»[(١)].

□ قال القرطبيُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ٦٤] أيْ: لا نتَّبِعُهُ في تحليل شيءٍ أو تحريمه إلَّا فيما حلَّلَه الله تعالى، وهو نظيرُ قوله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] معناهُ أنهم أنْزلوهم منزلةَ ربِّهم في قبُولِ تحليلهم وتحْريمهم لما لم يُحلِّلْهُ الله تعالى ولم يُحرِّمْهُ»[(٢)].

□ وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال أهل المعاني: جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرْبابِ حيث أطاعوهم في كُلِّ شيءٍ»[(٣)].

□ وسُئِلَ حذيفة عن قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] هل عبدوهمْ؟ فقال: لا، ولكن أحلُّوا لهم الحرام فاستحَلُّوه، وحَرَّمُوا عليهم الحلال فحرَّمُوهُ»[(٤)].

□ قال ابن تيمية رحمه الله: «إنَّ التَّوْحيدَ الذي بعث الله به رسوله قوليٌّ

---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٢).
(٢) «تفسير القرطبي» (٤/ ١٠٦).
(٣) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٢٠).
(٤) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٢٠).

وعمليٌّ، فالتَّوحيدُ القوليُّ مثلُ سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والتوحيدُ العمليُّ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ولذا كان النبيُّ ﷺ يقرأُ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر وركعتي الطَّوَافِ قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي الركعة الثانية بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران] فإنَّ هاتين الآيتين فيهما دينُ الإسلام، وفيهما الإيمانُ القوليُّ والعمليُّ، فقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ إلى آخرها [البقرة: ١٣٦] يتضمَّنُ الإيمان القوليَّ والإسلامَ. وقوله :﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ..﴾ الآية إلى آخرها [آل عمران: ٦٤] يتضمنُ الإسلام والإيمانَ العمليَّ، فأعظمُ نعمةٍ أنعمها الله على عباده الإسلامُ والإيمان وهما في هاتيْن الآيتيْنِ»[(١)].

□ قال عبد الرحمن بن حسن بن محمَّدِ بن عبد الوهَّاب: «إن حقيقة معنى كلمة «لا إله إلَّا الله» الإخلاصُ ونفْيُ الشرْكِ. وكلاهما متلازِمَان، لا يوجدُ أحدهما بدونِ الآخرِ، فإنَّ منْ لم يكنْ مُخْلِصًا فهو مشركٌ، ومنْ لم يكن صادقًا فهو منافقٌ، والمخلِصُ أنْ يقولها مُخْلِصًا الإلهيَّة لله ﷻ، وهذا التوحيدُ هو أساسُ الإسلام الذي قال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٦]..

ولذا قُيِّدتْ في الحديث بقوله ﷺ: «**غير شاكٍّ**» فلا تنفعُ إلَّا من قالها

---

(١) «قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة» لابن تيمية (١٨٢، ١٨٣).

بعلم ويقينٍ لقوله: «**صدْقًا من قلْبِهِ خالصًا من قلبه..**»(١).

□ وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون].

«ترك الشِّرْك يتضمَّنُ كمال التوحيد ومعرفته على الحقيقة ومحبتَّهُ وقبوله والدعوة إليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد]، وتضمَّنتَ هذه الآية كمال التوحيد وتحقيقه»(٢).

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَـقُّ الإِلَـهِ عِبَـادَةٌ بـالأَمْرِ لَا ... بِهَـوَى النُّفُـوسِ فَـذَاكَ للشَّـيْطَانِ
مِـنْ غَـيْرِ إِشْرَاكٍ شَـيْئًا هُمَـا ... سَـبَبُ النَّجَـاةِ فَحَبَّـذَا الـسَّببَانِ
لَمْ يَـنْجُ مِـنْ غَـضَبِ الإِلَـهِ وَنَـارِهِ ... إِلَّا الَّذِي قَامَـتْ بِـهِ الأَصْلَانِ (٣)
وَالنَّـاسُ بَعْـدُ فَمُـشْرِكٌ بِإِلَهِـهِ ... أَو ذُو ابْتِـدَاعٍ أَوْ لَـهُ الْوَصْـفَانِ (٤)

□ وقال بعض الشعراء:

فَيَـا عَجَبًـا كَيْـفَ يُعْـصَى الإِلَـ ... ـهُ أَمْ كَيْـفَ يَجْحَـدُهُ الجَاحِـدُ؟!
وَفِي كُـلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ ... تَـدُلُّ عَـلَى أَنَّـهُ الْوَاحِـدُ (٥)

---

(١) «قرة عيون الموَحدين» للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ص١٠٨).

(٢) المرجع السابق (ص٢).

(٣) الأصلان هما توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية.

(٤) «قرة عيون الموحدين» (ص٩).

(٥) «الإملاء في إشكالات الإحياء» (٢٠) ملحق إحياء علوم الدين.

□ وقال ابن كثيرٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني: هو الواحدُ، الأحدُ، الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديدَ، ولا شبيهَ، ولا عَدِيلَ. ولا يُطْلَقُ هذا اللفظُ على أحدٍ في الإثباتِ [١] إلَّا على الله ﷻ، لأنَّهُ الكامِلُ في جميع صفاته وأفعاله» [٢].

* قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

يقول لقومه: كيف يسوغ في عقل، أو عند ذي لب أن أخاف ما جعلتموه لله شريكًا في الإلهية، وهي ليست بموضع نفع ولا ضر، وأنتم لا تخافون أنكم أشركتم بالله في إلهيته أشياء لم ينزل بها حجة عليكم، ولا شرعها لكم، فالذي أشرك بخالقه وفاطره وباريه -الذي يقر بأنه خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه ومالك الضر والنفع- آلهة لا تخلق شيئًا وهي مخلوقة، ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرًّا، ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا، وجعلها ندًّا له ومثلًا في الإلهية تعبد، ويسجد لها، ويخضع لها، ويتقرب إليها، أحق بالخوف ممن لم يجعل مع الله إلهًا آخر، بل وحده، وأفرده بالإلهية، والربوبية، والعظمة، والسلطان والحب والخوف، والرجاء، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟

---

(١) لعلّ مراده أن هذا اللفظ لا يطلق مقصودًا بها معيَّنًا، وإلا فقد ورد مقصودًا به العموم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦].

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٠٩).

فحكم الله سبحانه بينهما بأحسن حكم خضعت له القلوب، وأقرت به الفطر، وانقادت له العقول فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام] فتأمل هذا الكلام، وعجيب موقعه، في قطع الخصوم، وأحاطته بكل ما وجب في العقل أن يرد به ما دعوه إليه وأرادوا حمله عليه وأخذه بمجامع الحجة التي لم تبق لطاعن مطعنًا، ولا سؤالًا، ولما كانت بهذه المثابة، أشار سبحانه بذكرها وعظمها بالإشارة إليها، وأضافها إلى نفسه تعظيمًا لشأنها فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [الأنعام: ٨٣].

فعلم السامع بإضافته إياها إلى نفسه أنه هو الذي فهمها خليله ولقنها إياه وعنه سبحانه أخذها الخليل، وكفى بحجة يكون الله ﷻ ملقنها لخليله وحبيبه أن تكون قاطعة لمواد العناد قامعة لأهل الشرك والإلحاد»[(١)].

أي الفريقين أحقُّ بالأمن وأوْلى أن لا يلحقه الخوف؟ فريق الموحِّدين؟ أم فريق المشركين؟ فحكم الله سبحانه بين الفريقيْن بالحُكْم العَدْل الذي لا حُكْم أصحُّ منه. فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ولما نزلت هذه الآية شق أمرها على الصحابة وقالوا: يا رسول الله «وأينا لم يظلم نفسه؟» فقال: «**إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]»[(٢)]. فحكم سبحانه

---

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٤٨٥، ٤٩٠).

(٢) رواه البخاري (١/ ١٠٩) في الإيمان -باب: ظلم دون ظلم، ومسلم (١/ ٣٢٩) في الإيمان -باب: صدق الإيمان وإخلاصه.

للموحدين بالهدى والأمن، وللمشركين بضد ذلك، وهو الضلال والخوف، ثم قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣].

كيف يخافُ مَن وَحَّد الله؟ وماذا يخاف ومَنْ يخاف؟ وكُلُّ قوة -غير قوّة الله- هزيلة، وكلُّ سلطان غير سلطان الله لا يُخاف؟ إن المُوَحِّد يركن إلى حماية الله ورعايته.

«إن منطق المؤمن الواثق المدرك لحقائق هذا الوجود. إنه إن كان أحدٌ قمينًا بالخوف فليس هو إبراهيم وليس هو المؤمن، وكيف يخاف آلهة عاجزة -كائنة ما كانت هذه الآلهة، والتي تتبدَّى أحيانًا في صورة جبَّارين في الأرض بطّاشين؛ وهم أمام قدرة الله مهزولون مضعوفون!!.

كيف يخاف إبراهيم عليه السلام هذه الآلهة الزائفة العاجزة، ولا يخافون هم أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطانًا ولا قوة من الأشياء والأحياء؟ وأيّ الفريقين أحق بالأمن؟ الذي يُؤمن به ويكفر بالشركاء؟ أم الذي يشرك بالله ما لا سلطان له ولا قوة؟ أي الفريقيْن أحقُّ بالأمن، لو كان لهم شيءٌ من العِلْم والفهم؟

هنا يتنزَّلُ الجواب من الملأ الأعلى؛ ويقضي الله بحكمه في هذه القضية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾.

الذين آمنوا وأخلصوا أنفسهم لله، لا يخلطون بهذا الإيمان شركًا في عبادة ولا طاقة ولا اتجاه. هؤلاء لهم الأمن، وهؤلاء هم المهتدون.

وقبل أن نغادر هذه النقطة نحب أن نستمتع بنفحة من نفحات الحياة في عصر صحابة رسول الله ﷺ -وهذا القرآن يتنزَّلُ عليهم غضًا؛ وتشربه

نفوسهم، وتعيش له وبه، وتتعامل به وتتعايش بمدلولاته وإيحاءاته ومقتضياته، في جدٍّ ووعي في التزام عجيب، تأخذنا روعته وتبهرنا جدِّيته؛ وندرك منه كيف كان هذا الرَّهط الفريد من الناس، وكيف صنع الله بهذا الرَّهْط من الخوارق، في ربع قرْنٍ من الزمان:

روى ابن جرير بإسناده عن عبد الله بن إدريس، قال: «لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾، شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيُّنَا لم يظلم نفسه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون، وإنما هو ما قال لقمان لابنه:** ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان]».

وروى كذلك بإسناده عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قرأ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾، فلما قرأها فزع. فأتى أُبيَّ بن كعب فقال: يا أبا المنذر قرأت أية من كتاب الله مَنْ يَسْلَم؟ فقال: ما هي؟ فقرأها عليه.. فأنيا لا يظلم نفسه؟ فقال: غفر الله لك! أما سمعت الله تعالى ذكره يقول: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ ؟ إنما هو: ولم يلبسوا إيمانهم بشرك.

وروى – بإسناده- عن أبي الأشعر العبدي عن أبيه، أن زيد بن صوحان سأل سلمان، فقال: يا أبا عبد الله، آية من كتاب الله قد بلغت مني كل مبلغ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾! فقال سلمان: هو الشرك بالله تعالى ذِكْرُه. فقال زيد: ما يسرُّني بها أني لم أسمعها منك، وأن لي مثل كل شيءٍ أمسيت أملكه.

فهذه الآثار الثلاثة تُصوِّر لنا كيف كان حِسُّ هذا الرَّهْط الكريم بهذا

القرآن الكريم. كيف كانت جدِّية وَقْعِهِ في نفوسهم. كيف كانوا يتلقَّونه وهم يشعرون أنه أوامر للتنفيذ وتقريراتٌ حاسمة للطاعة، وأحكامٌ نهائية للنَّفاذ.

وكيف كانوا يجزعون أن يُؤاخذوا بأي درجة من درجات التقصير، والتفاوت بين عملهم وبين مستوى التكليف، حتى يأتيهم من الله ورسوله التيسير! إنه مشهدٌ كذلك رائعٌ باهر.. مشهد هذه النفوس التي علَّمت هذا الدين.. وكانت ستارًا لقدر الله؛ ومنفِّذًا لمشيئته في واقع الحياة»(١).

وقفاتٌ مع آيات التوحيد:

* قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

(١) «الظلال» (٢/ ١١٤٢، ١١٤٣).

* وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد].

* وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ

ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم].

* وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم].

* وقال تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصافات].

* وقال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) ﴾ [ص].

* وقال تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) ﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) ﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) ﴾ [غافر].

* وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) ﴾ [غافر].

* وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) ﴾ [غافر].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ﴾ [فصلت].

* وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) ﴾ [الممتحنة].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾ [الجن].

* وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) ﴾ [الجن].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص].

* وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣)﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ

أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

[الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

[الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ

مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥)﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا

ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

[الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿۞ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠ ﴾ [الرعد].

* وقال تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ ﴾ [النحل].

* وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢ ﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝٤٠ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤١ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ



عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء].

* وقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه].

* وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾ [طه].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه].

* وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ

ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان].

* وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل].

* وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

[القصص].

* وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الصافات].

* وقال تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس].

* وقال تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر].

* وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾



ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر].

* وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر].

* وقال تعالى: ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف].

* وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الزخرف].

* وقال تعالى: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الدخان].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد].

* وقال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٥٠) وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٥١) ﴾ [الذاريات].

* وقال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ (٣٩) أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ (٤٠) أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ (٤١) أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ (٤٢) أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٤٣) ﴾ [الطور].

* وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ (١٠) مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (١١) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ (١٢) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (١٣) ﴾ [التغابن].

* وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا (٨) رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا (٩) وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠) ﴾ [المزمل].

أإلهٌ مع الله:

* قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ

شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

[المؤمنون].

* وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل].

سلامٌ من الله على أنبيائه ورسله لسلامة عقيدتهم وطهرها.. يفتتح الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك الحمد وهذا السلام جولة عن العقيدة، جولة في مشاهد الكون وأغوار النفس، وأطواء الغيب وهي إيقاعات قوية تقتحم القلوب؛ لأنها إيقاعات كونية تملأ صفحة الوجود من حولهم، أو إيقاعات وجدانية يحسونها في قلوبهم:

«وبعد هذا الافتتاح يأخذ في توقيعاته على القلوب المنكرة لآيات الله،

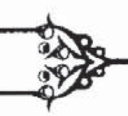
مبتدئًا بسؤال لا يحتمل إلَّا إجابة واحدة، يستنكر به أن يشركوا بالله هذه الآلهة المدعاة:

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾؟..

وما يشركون؟!! أصنام وأوثان، أو ملائكة وجن، أو خلق من خلق الله؟! على أية حال، لا يرتقي أن يكون شبيهًا بالله -سبحانه- فضلًا على أن يكون خيرًا منه. ولا يخطر على قلب عاقل أن يعقد مقارنة أو موازنة. ومن ثم يبدو هذا السؤال بهذه الصيغة وكأنه تهكم محض، توبيخ صرف؛ لأنه غير قابل أن يوجه على سبيل الجد، أو أن يطلب عنه جواب!

ومن ثم يعدل عنه إلى سؤال آخر، مستمد من واقع هذا الكون حولهم، ومن مشاهده التي يرونها بأعينهم: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ [النمل]..

والسماوات والأرض حقيقة قائمة لا يملك أحد إنكار وجودها، ولا يملك كذلك أن يدعي أن هذه الآلهة المدعاة خلقتها.. وهي أصنام أو أوثان، أو ملائكة وشياطين، أو شمس أو قمر.. فالبداهة تصرخ في وجه هذا الادعاء. ولم يكن أحد من المشركين يزعم أن هذا الكون قائم بنفسه، مخلوق بذاته، كما وجد من يدعي مثل هذا الادعاء المتهافت في القرون الأخيرة! فكان مجرد التذكير بوجود السماوات والأرض، والتوجيه إلى التفكير فيمن خلقها، كفيلًا بإلزام الحجة، ودحض الشرك، وإفحام المشركين. وما يزال هذا السؤال قائمًا، فإن خلق السماوات والأرض على هذا النحو الذي يبدو فيه القصد، ويتضح فيه التدبير، ويظهر فيه التناسق



المطلق الذي لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة. مُلجئ بذاته إلى الإقرار بوجود الخالق الواحد، الذي تتضح وحدانيته بآثاره. ناطق بأن هناك تصميمًا واحدًا متناسقًا لهذا الكون لا تعدد في طبيعته ولا تعدد في اتجاهه. فلا بد أنه صادر عن إرادة واحدة غير متعددة. إرادة قاصدة لا يفوتها القصد في الكبير ولا في الصغير.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾؟..

والماء النازل من السماء حقيقة كذلك مشهودة يستحيل إنكارها، ويتعذر تعليلها بغير الإقرار بخالق مدبر، فطر السماوات والأرض وفق هذا الناموس الذي يسمح بنزول المطر، بهذا القدر، الذي توجد به الحياة، على النحو الذي وجدت به، فما يمكن أن يقع هذا كله مصادفة، وأن تتوافق المصادفات بها الترتيب الدقيق، وبهذا التقدير المضبوط. المنظور فيه إلى حاجة الأحياء وبخاصة الإنسان. هذا التخصيص الذي يعبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم..﴾ والقرآن يوجه القلوب والأبصار إلى الآثار المحيية لهذا الماء المنزل للناس وفق حاجة حياتهم، منظورًا فيه إلى وجودهم وحاجاتهم وضروراتهم. يوجه القلوب والأبصار إلى تلك الآثار الحية القائمة حيالهم وهم عنها غافلون:

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾..

حدائق بهيجة ناضرة حية جميلة مفرحة.. ومنظر الحدائق يبعث في القلب البهجة والنشاط والحيوية. وتأمُّل هذه البهجة والجمال الناضر الحي الذي يبعثها كفيل بإحياء القلوب. وتدبر آثار الإبداع في الحدائق

كفيل بتمجيد الصانع الذي أبدع هذا الجمال العجيب. وإن تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفنون من البشر. وإن تموج الألوان وتداخل الخطوط وتنظيم الوريقات في الزهرة الواحدة ليبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن في القديم والحديث. فضلًا على معجزة الحياة النامية في الشجر – وهي السر الأكبر الذي يعجز عن فهمه البشر-: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ وسر الحياة كان وما يزال مستغلقًا على الناس. سواء أكان في النبات أم في الحيوان أم في الإنسان. فما يملك أحد حتى اللحظة أن يقول: كيف جاءت هذه الحياة، ولا كيف تلبست بتلك الخلائق من نبات أو حيوان أو إنسان. ولا بد من الرجوع فيها إلى مصدر وراء هذا الكون المنظور.

وعندما يصل في هذه الوقفة أمام الحياة النامية في الحدائق البهيجة إلى الإثارة والانتباه وتحريك التأمل والتفكير. يهجم عليهم بسؤال:

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾..

ولا مجال لمثل هذا الادعاء؛ ولا مفر من الإقرار والإذعان.. وعندئذ يبدو موقف القوم عجيبًا، وهم يُسوُّون آلهتهم المدعاة بالله، فيعبدونها عبادة الله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ..

ويعدلون: إما أن يكون معناها يُسوُّون. أي: يسوون آلهتهم بالله في العبادة. وإما أن يكون معناها: يحيدون. أي: يحيدون عن الحق الواضح المبين. بإشراك أحد مع الله في العبادة؛ وهو وحده الخالق الذي لم يشاركه أحد في الخلق. وكلا الأمرين تصرف عجيب لا يليق!

ثم ينتقل بهم إلى حقيقة كونية أخرى، يواجههم بها كما واجههم

بحقيقة الخلق الأولى:

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ [النمل: ٦١]..

لقد كانت الحقيقة الكونية الأولى هي حقيقة خلق السماوات والأرض. أما هذه فهي الهيئة التي خلق عليها الأرض. لقد جعلها قرارًا للحياة، مستقرة مطمئنة صالحة يمكن أن توجد فيها الحياة وتنمو وتتكاثر. ولو تغير وضعها من الشمس والقمر؛ أو تغير شكلها، أو تغير حجمها، أو تغيرت عناصرها والعناصر المحيطة في الجو بها، أو تغيرت سرعة دورتها حول نفسها، أو سرعة دورة القمر حولها.. إلى آخر هذه الملابسات الكثيرة التي لا يمكن أن تتم مصادفة، وأن تتناسق كلها هذا التناسق.. لو تغير شيءٌ من هذا كله أدنى تغيير، لما كانت الأرض قرارًا صالحًا للحياة.

وربما أن المخاطبين إذ ذاك لم يكونوا يدركون من قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾؟ كل هذه العجائب. ولكنهم كانوا يرون الأرض مستقرًا صالحًا للحياة على وجه الإجمال؛ ولا يملكون أن يدعوا أن أحدًا من آلهتهم كان له شرك في خلق الأرض على هذا المنوال. وهذا يكفي. ثم يبقى النص بعد ذلك مفتوحًا للأجيال؛ وكلما اتسع علم البشر أدركوا شيئًا من معناه الضخم المتجدد على توالي الأجيال. وتلك معجزة القرآن في خطابه لجميع العقول، على توالي الأزمان!.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾..

والأنهار في الأرض هي شرايين الحياة، وهي تنتشر فيها إلى الشرق وإلى الغرب، وإلى الشمال وإلى الجنوب، تحمل معها الخصب والحياة

والنماء. والأنهار تتكون من تجمع مياه الأمطار وجريانها وفق طبيعة الأرض. والله الذي خلق هذا الكون هو الذي قدَّر في تصميمه إمكان تكون السحب، ونزول المطر، وجريان الأنهار. وما يملك أحد أن يقول: إن أحدًا سوى الخالق المدبر قد شارك في خلق هذا الكون على هذا النحو؛ وجريان الأنهار حقيقة واقعة يراها المشركون. فمن ذا أوجد هذه الحقيقة؟» ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾..

والرواسي: الجبال. وهي ثابتة مستقرة على الأرض. وهي في الغالب منابع الأنهار، حيث تجري منها مياه الأمطار إلى الوديان؛ وتشق مجراها بسبب تدفقها من قمم الجبال العالية بعنف وقوة.

والرواسي الثابتة تقابل الأنهار الجارية في المشهد الكوني الذي يعرضه القرآن هنا والتقابل التصويري ملحوظ في التعبير القرآني. وهذا واحد منه. لذلك يذكر الرواسي بعد الأنهار.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾..

البحر الملح الأُجاج، والنهر العذب الفرات. سماهما بحرين على سبيل التغليب من حيث مادتهما المشتركة وهي الماء. والحاجز في الغالب هو الحاجز الطبيعي، الذي يجعل البحر لا يفيض على النهر فيفسده. إذ أن مستوى سطح النهر أعلى من مستوى سطح البحر. وهذا ما يحجز بينهما مع أن الأنهار تصب في البحار، ولكن مجرى النهر يبقى مستقلًا لا يطغى عليه البحر. وحتى حين ينخفض سطح النهر عن سطح البحر لسبب من الأسباب فإن هذا الحاجز يظل قائمًا من طبيعة كثافة ماء البحر وماء النهر.

إذ يخف ماء النهر ويثقل ماء البحر فيظل مجرى كل منهما مميزًا لا يمتزجان ولا يبغي أحدهما على الآخر. وهذا من سنن الله في خلق هذا الكون، وتصميمه على هذا النحو الدقيق.

فمن فعل هذا كله؟ من؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾..

وما يملك أحد أن يدعي هذه الدعوى. ووحدة التصميم أمامه تجبره على الاعتراف بوحدة الخالق.. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾..

ويذكر العلم هنا لأن هذه الحقيقة الكونية تحتاج إلى العلم لتملِّي الصنعة فيها والتنسيق، وتدبر السنة فيها والناموس. ولأن التركيز في السورة كلها على العلم.

ثم ينتقل بهم من مشاهد الكون إلى خاصة أنفسهم:

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل]..

فيلمس وجدانهم وهو يذكرهم بخوالج أنفسهم، وواقع أحوالهم.

فالمضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأ إلَّا الله يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء؛ ذلك حين تضيق الحلقة، وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى، وتتهاوى الأسناد؛ وينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجردًا من وسائل النصرة وأسباب الخلاص. لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده. وكل ما كان يعده لساعة الشدة قد زاغ عنه أو تخلى؛ وكل من كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو تولى.. في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء. فهو الذي يجيب المضطر إذا

دعاه. هو وحده دون سواه. يجيبه ويكشف عنه السوء، ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيقة الآخذة بالخناق.

والناس يغفلون عن هذه الحقيقة في ساعات الرخاء، وفترات الغفلة. يغفلون عنها فيلتمسون القوة والنصرة والحماية في قوة من قوى الأرض الهزيلة. فأما حين تلجؤهم الشدة، ويضطرهم الكرب، فتزول عن فطرتهم غشاوة الغفلة، ويرجعون إلى ربهم منيبين مهما يكونوا من قبل غافلين أو مكابرين.

والقرآن يرد المكابرين الجاحدين إلى هذه الحقيقة الكامنة في فطرتهم، ويسوقها لهم في مجال الحقائق الكونية التي ساقها من قبل. حقائق خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإنبات الحدائق البهيجة، وجعل الأرض قرارًا، والجبال رواسي، وإجراء الأنهار، والحاجزين البحرين. فالتجاء المضطر إلى الله، واستجابة الله له دون سواه حقيقة كهذه الحقائق. هذه في الآفاق وتلك في الأنفس سواء بسواء.

ويمضي في لمس مشاعرهم بما هو واقع في حياتهم: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ .. فمن يجعل الناس خلفاء الأرض؟ أليس هو الله الذي استخلف جنسهم في الأرض أولًا. ثم جعلهم قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، يخلف بعضهم بعضًا في مملكة الأرض التي جعلهم فيها خلفاء؟

أليس هو الله الذي فطرهم وفق النواميس التي تسمح بوجودهم في هذه الأرض، وزودهم بالطاقات والاستعدادات التي تقدرهم على الخلافة فيها، وتعدهم لهذه المهمة الضخمة الكبرى. النواميس التي تجعل الأرض لهم قرارًا؛ والتي تنظر الكون كله متناسقًا بعضه مع بعض بحيث

تتهيأ للأرض تلك الموافقات والظروف المساعدة للحياة. ولو اختل شرط واحد من الشروط الكثيرة المتوافرة في تصميم هذا الوجود وتنسيقه، لأصبح وجود الحياة على هذه الأرض مستحيلًا.

وأخيرًا أليس هو الله الذي قدر الموت والحياة، واستخلف جيلًا بعد جيل؛ ولو عاش الأولون لضاقت الأرض بهم وبالآخرين؛ ولأبطأ سير الحياة والحضارة والتفكير؛ لأن تجدد الأجيال هو الذي يسمح بتجدد الأفكار والتجارب والمحاولات، وتجدد أنماط الحياة، بغير تصادم بين القدامى والمحدثين إلّا في عالم الفكر والشعور. فأما لو كان القدامى أحياء لتضخم التصادم والاعتراض! ولتعطل موكب الحياة المندفع إلى الأمام!

إنها كلها حقائق في الأنفس كتلك الحقائق في الآفاق. فمن الذي حقق وجودها وأنشأها؟ من؟

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾..

إنهم لينسون ويغفلون. هذه الحقائق كامنة في أعماق النفوس، مشهودة في واقع الحياة:

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾!..

ولو تذكر الإنسان وتدبر مثل هذه الحقائق لبقي موصولًا بالله صلة الفطرة الأولى. ولما غفل عن ربه، ولا أشرك به أحدًا.

ثم يمضي السياق إلى بعض الحقائق الأخرى الممثلة في حياة الناس ونشاطهم على هذا الكوكب، ومشاهداتهم التي لا تنكر:

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾!..

والناس -ومنهم المخاطبون أول مرة بهذا القرآن- يسلكون فجاج البر والبحر في أسفارهم؛ ويسبرون أسرار البر والبحر في تجاربهم.. ويهتدون.. فمن يهديهم؟ من أودع كيانهم تلك القوى المدركة؟ من أقدرهم على الاهتداء بالنجوم وبالآلات وبالمعالم؟ من وصل فطرتهم بفطرة هذا الكون، وطاقاتهم بأسراره؟ من جعل لآذانهم تلك القدرة على التقاط لأصوات، ولعيونهم تلك القدرة على التقاط الأضواء؟ ولحواسهم تلك القدرة على التقاط المحسوسات؟ ثم جعل لهم تلك الطاقة المدركة المسماة بالعقل أو القلب للانتفاع بكل المدركات، وتجميع تجارب الحواس والإلهامات؟

من؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾..

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ﴾؟..

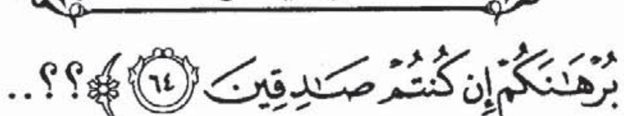
والرياح، مهما قيل في أسبابها الفلكية والجغرافية، تابعة للتصميم الكوني الأول، الذي يسمح بجريانها على النحو الذي تجري به، حاملة السحب من مكان إلى مكان، مبشرة بالمطر الذي تتجلى فيه رحمة الله، وهو سبب الحياة.

فمن الذي فطر هذا الكون على خلقته، فأرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته؟ من؟

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ ؟.. ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾!..

ويختم هذه الإيقاعات بسؤال عن خلقتهم وإعادتهم ورزقهم من السماء والأرض، مع التحدي والإفحام:

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟



وبدء الخلق حقيقة واقعة لا يملك أحد إنكارها، ولا يمكن أحدًا تعليلها بغير وجود الله ووحدانيته. وجوده لأن وجود هذا الكون ملجئ للإقرار بوجوده؛ وقد باءت بالفشل المنطقي كل محاولة لتعليل وجود هذا الكون على هذا النحو الذي يظهر فيه التدبير والقصد بغير الإقرار بوجود الله ووحدانيته؛ لأن آثار صنعته ملجئة للإقرار بوحدانيته؛ فعليها آثار التقدير الواحد؛ وفيها من التناسق المطلق ما يجزم بالإرادة الواحدة المنشئة للناموس الواحد.

فأما إعادة الخلق فهذه التي كانوا يجادلون فيها ويمارون. ولكن الإقرار ببدء الخلق على هذا النحو الذي يظهر فيه التقدير والتدبير والقصد والتنسيق ملجئ كذلك للتصديق بإعادة الخلق، ليَلْقَوْا جزاءهم الحق على أعمالهم في دار الفناء، التي لا يتم فيها الجزاء الحق على الأعمال وإن كان يتم فيها أحيانًا بعض الجزاء.

فهذا التنسيق الواضح في خلقة الكون يقتضي أن يتم تمامه بالتنسيق المطلق بين العمل والجزاء.

وهذا لا يتم في الحياة الدنيا. فلا بد إذن من التصديق بحياة أخرى يتحقق فيها التناسق والكمال.. أما لماذا لم يتم في هذه الأرض ذلك التنسيق المطلق بين العمل والجزاء؟ فذلك متروك لحكمة صاحب الخلق والتدبير. وهو سؤال لا يجوز توجيهه لأن الصانع أعلم بصنعته. وسر الصنعة عند الصانع. وهو غيب من غيبه الذي لم يطلع عليه أحدًا!.

ومن هذا التلازم بين الإقرار بمبدئ الحياة والإقرار بمعيدها يسألهم

ذلك السؤال: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾.

والرزق من السماء والأرض متصل بالبدء والإعادة سواء. ورزق العباد من الأرض يتمثل في صور شتى أظهرها النبات والحيوان، والماء والهواء، للطعام والشراب والاستنشاق؛ ومنها كنوز الأرض من معادن وفلزات؛ وكنوز البحر من طعام وزينة. ومنها القوى العجيبة من مغناطيسية وكهرباء، وقوى أخرى لا يعلمها بعد إلَّا الله؛ ويكشف عن شيءٍ منها لعباده آنًا بعد آن.

وأما رزقهم من السماء فلهم في الحياة الدنيا: الضوء والحرارة والمطر وسائر ما ييسره الله لهم من القوى والطاقات. ولهم منه في الآخرة عطاء الله الذي يقسمه لهم، وهو من السماء بمدلولها المعنوي، الذي يتردد كثيرًا في القرآن والسنة؛ وهو معنى الارتفاع والاستعلاء.

وقد ذكر رزقهم من السماء والأرض بعد ذكر البدء والإعادة؛ لأن رزق السماء والأرض له علاقة بالبدء والإعادة. فعلاقة رزق الأرض بالبدء معروفة فهو الذي يعيش عليه العباد. وعلاقته بالإعادة أن الناس يُجزَون في الآخرة على عملهم وتصرفهم في هذا الرزق الذي أُعطوه في الدنيا.. وعلاقة رزق السماء بالبدء واضحة. فهو في الدنيا للحياة، وهو في الآخرة للجزاء.. وهكذا تبدو دقة التناسق في السياق القرآني العجيب.

والبدء والإعادة حقيقة. والرزق من السماء والأرض حقيقة. ولكنهم يغفلون عن هذه الحقائق، فيردهم القرآن إليها في تحدٍّ وإفحام:

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ..

وإنهم ليعجزون عن البرهان، كما يعجز عنه من يحاوله حتى الآن. وهذه طريقة القرآن في الجدل عن العقيدة. يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس؛ فيجعل الكون كله إطارًا للمنطق الذي يأخذ به القلوب؛ ويوقظ به الفطرة ويجلوها لتُحكِمَ منطقها الواضح الواصل البسيط؛ ويستجيش به المشاعر والوجدانات بما هو مركوز فيها من الحقائق التي تغشاها الغفلة والنسيان، ويحجبها الجحود والكفران.. ويصل بهذا المنطق إلى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم الكون وأغوار النفس؛ والتي لا تقبل المراء الذي يقود إليه المنطق الذهني البارد، الذي انتقلت عدواهُ إلينا من المنطق الإغريقي، وفشا فيما يسمى علم التوحيد، أو علم الكلام»[1].

* يُنادى على باب عزته ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء].

* ويصاح على محجة حُجَّته ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [المؤمنون].

* ينذر جاسوس علمه ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧].

* يترنَّم منشد فضله: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨].

* يقول جِهبذ طوْله: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣].

□ من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر في إجابته، وأن تعلم قدر غضبه ثم تتعرَّض له، وأن تعلم عصرة القلب

(١) انظر: «الظلال» (٢٦٥٥- ٢٦٦١).

عند الخوض في غير حديثه ثم لا ترتاح إلى ذكره، وأعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه وأنك أحوج شيءٍ إليه وأنت فيما يبعدك عنه راغب.

□ إليه إليه يا أهل الموت والفناء، يا من تفنى آجالكم ممر الساعات واختلاف، الليل والنهار وهما شعبة يسيرة من سلطانه، كيف تستنكفون عن عبادته، ولا رب لكم غيره ولا وارث لكم سواه؟!.

الواحد: الأحد:

□ قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى «الوَاحِدُ»: «وهو الفرْدُ الذي لم يزلْ وحدَهُ ولم يكنْ معه آخرُ، وقيل الواحد هو الذي لا يتجزَّأُ ولا يُثَنَّى ولا يقْبَلُ الانقسامَ ولا نظيرَ له ولا مِثْلَ» [(١)].

□ وقال الأزهريُّ: «الواحدُ منْ صفات الله تعالى معناه أنَّهُ لا ثانيَ له، ويجوزُ أن يُنْعَت الشيءُ بأنَّهُ واحدٌ، فأمَّا أحدٌ فلا يُنْعَتُ به غير الله تعالى لِخُلُوصِ هذا الاسم الشَّرِيفِ له جَلَّ ثَنَاؤُهُ تقولُ: وحَّدْتُ الله وأَحَّدْتُهُ، وهو الواحد الأحدُ، ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّ رجلًا ذكرَ اللهَ وأوْمأَ بإصْبَعَيْهِ، فقال له: «أَحِّدْ أَحِّدْ» أيْ أشِرْ بإصْبَعٍ واحدةٍ، وأمَّا قول الناس: توحَّدَ الله بالأمْرِ وتفرَّدَ، فإنَّه وإنْ كان صحيحًا فإنِّي لا أحبُّ أنْ ألفظَ به في صفَةِ الله تعالى، إذْ لا يوصفُ -عز وجل- إلَّا بما وصف به نفسه في التَّنْزيلِ أو في السُّنَّةِ، ولم أجد «المُتَوَحِّدَ» في صفاته ولا «المُتَفَرِّد»، وإنما ننتهي في صفاته إلى ما وصف به نفسه ولا نُجَاوِزُهُ إلى غيره لمجازِه في العربيَّة» [(٢)].

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٩٥).

(٢) «لسان العرب» لابن منظور «وحد» (٤٧٨١- ٤٧٨٢) طبع دار المعارف، =

□ وقال ابن تيميَّة - رحمه الله تعالى-: «ليس في الموجودات ما يُسمَّى «أحدًا» في الإثبات مفْردًا غير مضافٍ إلَّا الله تعالى، بخلاف النَّفْي وما في معناه: كالشرط والاستفهام، فإنَّه يقال: هل عندك أحدٌ، وإنْ جاءني أحدٌ من جهتك أكرمته [١]. وذلك أنَّه سبحانه هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله» [٢].

الفرق بين الواحد والأحد:

□ قال أبو منصور الأزهري وغيره: «الفرق بينهما أنَّ الأحد بُنِي لنفْي ما يُذكرُ معه من العدد تقول: ما جاءَني أحدٌ، والواحِدُ اسمٌ بُنِيَ لمفتتح العدد تقول: جاءَني واحدٌ من الناس، ولا تقول جاءني أحدٌ، فالواحدُ منفردٌ بالذَّاتِ في عدمِ المثل والنَّظيرِ، والأحدُ منفردٌ بالمعنى؛ وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزَّأُ ولا يُثَنَّى ولا يقْبَلُ الانقسام ولا نظير له ولا مِثْلَ ولا يجمعُ هذين الوصفين إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ [٣]، وأمَّا اسم الله عَزَّ وَجَلَّ «أَحَدٌ» فإنَّهُ لا يوصف شيءٌ بالأحديَّةِ غيرهُ لا يُقالُ: رجلٌ أحدٌ، ولا درهمٌ أحدٌ كما يقال رجلٌ وحدٌ أي: فردٌ؛ لأنَّ أحدًا صفةٌ من صفاتِ الرَّبِ عَزَّ وَجَلَّ التي استخلصها لنفسه ولا يَشْرَكُه فيها شيءٌ، وليس ذلك كقولك: الله واحدٌ، وهذا شيءٌ واحدٌ» [٤].

و«النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٩٥).

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٧/ ٢٣٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٠٩).

(٣) «لسان العرب» «وَحد» (٤٧٨٢) طبع دار المعارف.

(٤) «لسان العرب» (٤٧٨١).

□ وقال أبو هلالٍ العسكريُّ: «الفرق بين واحدٍ وأحدٍ أن معنى الواحد أنَّهُ لا ثاني له فلذلك لا يقال في التثنية واحدانِ، كما يقال رجلٌ ورجلانِ ولكنْ قالوا: اثنان حين أرادُوا أنَّ كُلَّ واحدٍ منهما ثانٍ للآخرِ»[١].

□ وقال النَّيْسابوريُّ: «الفرقُ بين الواحدِ والأحدِ من ثلاثة أوجهٍ:

الأول: أن الواحدَ يدخل في الأحدِ والأحدُ لا يدخُلُ فيه.

الثاني: أنَّك إذا قلت: فلانٌ لا يقاومه واحدٌ جازَ أن يُقال: لكنه يقاومُهُ اثنان، وليس كذلك الأحد.

والثالثُ: أنَّ الواحد يستعمل في الإثباتِ والأحدُ يستعمل في النفي فيُفِيدُ العموم[٢]. ولعل وجْهَ تخصيص الله بالأحد هو هذا المعنى»[٣].

عودٌ على بدء:

□ قال الجرجانيُّ: «التوحيدُ ثلاثةُ أشياءٍ: معرفةُ الله بالرُّبوبيَّة، والإقرار بالواحدانيَّة، ونفيُ الأنداد عنه جملةً»[٤].

□ وقال ابن منظور: «التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد: ذو الوحدانيَّة والتَّوَحُّدِ»[٥].

□ وقال صاحب «البصائر»: «التوحيدُ الحقيقيُّ الذي هو سبب النجاة

---

(١) «الفروق» لأبي هلال العسكري (ص١٣٤).

(٢) وقد يُستعمل الأحد في الإثبات أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة].

(٣) «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (بهامش الطبري) (مجلد ١٢ جزء ٣ ص٢٠٤).

(٤) «التعريفات».

(٥) «لسان العرب» «وحد».



ومادَّة السعادة في الدار الآخرة هو ما بينه الله تعالى وهدانا إليه في كتابه العزيز ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران]».

□ وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «التوحيد: هو إفرادُ الله سبحانه بالعبادة، وهو دينُ الرُّسُلِ الذين أرسلهم الله به إلى عبادِه»[1].

□ وقال الدكتور ناصر العمر: «التوحيدُ شرعًا: إفرادُ الله بحقوقه، وهو لله ثلاثةُ حقوقٍ: حقوقُ ملكٍ، وحقوقُ عبادةٍ، وحقوقُ أسماءٍ وصفات»[2].

التوحيد:

□ قال الفيروزابادي: «التوحيدُ توْحيدانِ:

الأول: توحِيدُ الرُّبوبيَّةِ، وصاحبُ هذا التوحيد يشهدُ قيُّوميَّةَ الربِّ فوق عرشه يدبِّرُ أمر عباده وحده فلا خالقَ ولا رزاقَ ولا معْطيَ ولا مانع ولا مميتَ ولا محييَ ولا مدبِّرَ لأمرِ المملكة (والملكوت) ظاهرًا وباطنًا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرَّكُ ذرَّةٌ إلَّا بإذنه، ولا يجري حادثٌ إلَّا بمشيئته، ولا تسْقُطُ ورقَةٌ إلَّا بعلمه، ولا يعْزُبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ في السمواتِ ولا في الأرض.. إلَّا وقد أحصاها علمُهُ وأحاطتْ بها قدْرَتُهُ، ونفذتْ فيها مشيئتُهُ واقْتَضَتْهَا حكمتُهُ. والآخرُ: توحيدُ الألوهيَّة ويعني أن يجمعَ تفصيلًا».

فأمَّا توحيدُ العلمِ: فمدارُه على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي

(١) «مجموعة التوحيد» الرسالة الثالثة (٧).

(٢) «التوحيد أولا» لناصر العمر (ص١٥).

التشبيه والمثال، والتَّنْزيه عن العيوب والنقائص، وقد دلَّ على هذا شيئان: مجملٌ ومفصَّلٌ.

أمَّا المجمَلُ: فإثباتُ الحمد له سبحانه، وأمَّا المفصَّلُ: فذكر صفة الإلهيَّة والرُّبُوبية والرحمة[1] والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماءِ والصفات، فأمَّا تضمُّن الحمد لذلك فإنَّ الحمد يتضمَّنُ مدْحَ المحمود بصفات كماله ونُعوتِ جلاله، مع محبَّتِه والرِّضا عنه والخضوع له فلا يكون حامدًا من جحد صفات المحمود ولا من أعرض عن محبته والخضوع له.. ومن المعلوم بالفطر والعقولِ السليمة والكتب السماويَّة أنَّ فاقد صفات الكمال لا يكون إلهًا ولا مدبِّرًا، ولا رَبًّا بل هو مذمومٌ معيبٌ ناقصٌ ليس له حمدٌ في الأولى ولا في الآخرةِ، وإنَّما الحمدُ في الأولَى والآخرةِ لمن له صفات الكمال، ونُعوتُ الجلالِ التي لأجْلِها استحقَّ الحمد. أمَّا دلالة الأسماء الخمسة وهي: اللهُ، الرَّبُّ، الرحمنُ، الرحيمُ، الملكُ فمبْنِيَّةٌ على أصْلين:

الأصل الأول: أنَّ أسماءَ الرَّبِّ تبارك وتعالى دالَّةٌ على صفاتِ كمالِه. فهي مشْتَقَّةٌ من الصفات فهي أسماءٌ وهي أوصافٌ وبذلك كانت حُسْنَى، إذ لو كانت ألفاظًا لا معانيَ فيها لم تكن حسْنَى، ولا كانت دالَّةً على مدْحٍ ولا كمالٍ، ولشاعَ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان.. وأيضًا لو لم تكن أسماؤهُ مشتملةً على معانٍ وصفاتٍ لم يسُغْ

---

(١) ذكر ابن القيم في الصفحة التالية أن الأسماء الدالة على ذلك خمسة هي: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، الملك. ومن ثم تكون الصفات أربعًا والأسماء خمسًا فليتأمل.

أنْ يخبر عنه بأفعالها، فلا يُقال: يسمع ويرى ويعلم ويقدرُ ويريد، ذلك أنَّ ثبوت أحكام الصفات فرعُ ثبوتِهَا؛ لأنَّه إذا انتفى أصل الصِّفةِ استحال ثبوتُ حكمها، ونفْيُ معاني أسمائهِ -عز وجل- من أعظمِ الألحادِ فيها»(١).

أمّا الأصل الثاني: فهو أنَّ الاسم منْ أسمائه تبارك وتعالى كما يُدُّل على الذَّات والصِّفَة التي اشتُقَّ منها بالمطابقة فإنَّه يَدُلُّ على دلالتين أخريين بالتَّضمُّن واللزوم، فيدُلُّ على الصِّفة نفسها بالتضمن، وكذلك على الذات المجرَّدة عن الصفة، فاسم السميع -مثلًا- يدلُّ على ذات الربِّ وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمُّن، ويتفاوت الناس في معرفةِ اللُّزومِ وعدمه، ومن هنا يقعُ اختلافهم في كثيرٍ من الأسماءِ والصِّفَاتِ والأحكام، فإنَّ من علم أنَّ الفعل الاختياريَّ لازمٌ للحياة، وأنَّ السمع والبصر لازمٌ للحياة الكاملة، وأنَّ سائر الكمال من لوازم الحياة الكاملة أثْبَتَ من صفات الرَّبِّ وصفاته وأفعاله ما يُنكره من لم يعرف لزوم ذلك، ولا عرف حقيقة الحياة ولوازمها وكذلك سائرُ صفاته كذلك»(٢).

□ قال ابن القيم: «إذا تقرَّر هذان الأصلان فاسم الله دَالٌّ على جميع

---

(١) ذكر الشيخ للإحاد صورًا أخرىٰ عديدة، انظر (٣٨، ٣٩) من «المدارج»، وقارن بصفة الإلحاد.

(٢) ضرب ابن القيم لذلك أمثلة عديدة، من ذلك علىٰ سبيل المثال اسم العليّ فإن من لوازم هذا الاسم العلو المطلق، بكل اعتبار، فله العلو المطلق مِنْ جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، ومن جحد علو الذّات فقد جحد لوازم اسمه «العلي» «مدارج السالكين» (١/ ٤٠).

الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدَّلالاتِ كُلِّهَا، والأسماءُ الحسنى تفصِيلٌ وتَبْيِينٌ لصفاتِ الإلهيَّة التي اشتُقَّ منها اسم «الله» وهو دالٌ على كوْنه مألوهًا معبُودًا تألَّهه الخلائقُ محبَّةً وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنَّوائِبِ، وذلك مستلزمٌ لكمال ربُوبيَّته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيَّتُه وربوبيته ورحمته وملكه مستلزمةٌ لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحَيٍّ، ولا سميعٍ ولا بصيرٍ، ولا قادرٍ ولا متكلمٍ ولا فعَّالٍ لما يريد، ولا حكيمٍ في أفعاله وعلى ذلك:

فصفات الجلال والكمال أَخَصُّ باسم «الله».

وصفاتُ الفعل والقدرةِ والتَّفرُّدِ بالضُّرِّ والنَّفْعِ، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوَّةِ، وتدْبيرِ أمر الخليقةِ أَخَصُّ باسم «الرَّبِّ».

وصفاتُ الإحسان والجُودِ والبرِّ والحنان والمنَّة، والرَّأفةِ واللُّطفِ أخصُّ باسم «الرحمن» الذي الرحمةُ وصفهُ، والرحيم الذي هو راحمٌ لعباده.

وصفات العدل والقبْضِ والبسْطِ، والخفْضِ والرَّفع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم ونحوها أخصُّ باسم «الملك»[1].

مع الله:

بِكَ أَسْتَجِيرُ ومَنْ يجِيرُ سِوَاكَا ... فَأَجِرْ ضعيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَا

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٣- ٤٣) باختصار وتصرف وانظر أيضًا: «شرح العقيدة الطحاوية» (٨٩) حيث ذكر تحت عنوان أنواع التوحيد التي دعت إليها الرسل نوعين: هما توحيد في الإثبات والمعرفة، والآخر: توحيد في الطلب والقصد (ص٨٩ وما بعدها) وقد لخَّص كلام ابن القيم هنا.

إنِّي ضـعيفٌ أسـتعينُ عـلى قُـوَى ... ذَنْبِـي ومعـصيتي بِـبَعْضِ قُوَاكَـا

أَذْنَبْــتُ يــا رَبِّي وآذتنــي ذُنُــو ... بٌ مَالهَــا مــن غَــافرٍ إِلَّاكَــا

دُنْيَـايَ غرَّتْنِـي وعَفْـوُكَ غَـرَّنِي ... مَــا حِيلَتِــي في هَــذِه أَوْ ذَاكَــا؟

لَـوْ أنَّ قَلْبِـي شَـكَّ لم يَـكُ مُؤْمِنًـا ... بكريم عَفْوِكَ مَـا غَـوَى وعَـصَاكَا

يَـا مُـدْرِكَ الأَبْصَارِ والأبْصَارُ لا ... تَــدْرِي لَــهُ وَلِكُنْهِــهِ إِدْرَاكَــا

أَتـرَاكَ عَـيْنٌ والعيُـونُ لَهـا مَـدَى ... مــا جَاوزتــه وَلا مَــدَى لِمَــدَاكَا

إِنْ لَمْ تكُـنْ عَيْنِـي تَـرَاكَ فَـإِنَّنِي ... في كُــلِّ شَيْءٍ أَسْــتَبِينُ عُلَاكَــا

يَا مُنْبِـتَ الأَزْهَـارِ عَـاطِرة الـشَّذَا ... هَـذَا الـشَّذَا الفَـوَّاحُ نَفْـحُ شَـذَاكَا

يَا مُرْسِلَ الأطْيَارِ تَـصْدَحُ فِي الرُّبَـا ... صَــدَحَاتُها تَــسْبِيحَةٌ لِعُلاكَــا

يَـا مُجْـرِيَ الأَنْهَـارِ مَـا جَرَيَانُهـا ... إِلَّا انْفِعَالَـــةُ قَطْـــرَةٍ لِنـــدَاكَا

رَبَّـاهُ هَأَنَـذَا خَلِـصْتُ مِـنَ الهَـوَى ... وَاسْـتَقْبَلَ القَلْـبُ الخَـلِيُّ هَوَاكَـا

وَترَكْـتُ أُنْـسِيَ بِالحَيَـاةِ وَلَـهْوَهَا ... وَلَقِيـتُ كُـلَّ الأُنْـسِ فِي نَجْواكَـا

وَنَسِيتُ حُبِّـي وَاعْتَزَلْـتُ أَحِبَّتِـي ... وَنَسيتُ نَفْـسِي خَـوْفَ أَنْ أَنْـسَاكَا

ذُقْـتُ الهَـوَى مُـرًّا وَلَمْ أَذُقِ الهَـوَى ... يَــا رَبِّ حُلْــوًا قَبْـلَ أَنْ أَهْواكَــا

أَنَـا كُنْـتُ يَـا رَبِّي أَسِـيرَ غِـشَاوَة ... رَانَـتْ عَـلَى قَلْبـي فَـضَلَّ سَـنَاكَا

واليـومَ يَـا رَبِّي مَـسَحْتُ غِـشَاوَتي ... وَبَــدَأْتُ بِالْقَلْــبِ البَـصِيرِ أَرَاكَــا

يَـا غَـافِرَ الـذَّنْبِ العَظِـيم وَقَـابِلًا ... لِلتَّــوْبِ قَلْــبٌ تَائِــبٌ نَاجَاكَــا

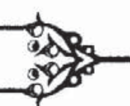
أَتَــرُدُّهُ وَتَــرُدُّ صَـادِقَ تَــوْبَتِي ... حِاشَــاكَ تَــرْفض تَائِبًــا حاشَــاكا

يَـا رَبِّ جِئْتُـكَ نَادِمًـا أَبْكِـي عَـلَى ... مَــا قَدَّمَتْــهُ يَــدَايَ لا أَتَبَاكَــا

أَخْشَى مِنَ العَرْضِ الرَّهِيبِ عَلَيْكَ يَا ... رَبِّي وَأَخْشَى مِنْكَ إِذْ أَلْقَاكَا
يَا رَبِّ عُدْتُ إِلَى رِحَابِكَ تَائِبًا ... مُسْتَسْلِمًا مُسْتَمْسِكًا بِعُرَاكَا
مَا لِي وَمَا لِلأَغْنِيَاءِ وَأَنْتَ يَا ... رَبِّ الغَنِيُّ وَلا يُحَدُّ غِنَاكَا
مَا لِي وَمَا لِلأَقْوِيَاءِ وأَنْتَ يَا ... رَبِّي وَرَبَّ النَّاسِ مَا أَقْوَاكَا
مَالِي وَأَبْوَابِ المُلُوكِ وَأَنْتَ مَنْ ... خَلَقَ الملوكَ وقَسَّمَ الأَمْلَاكَا
إِنِّي أَوَيْتُ لِكُلِّ مَأْوًى فِي الحَيَا ... ةِ فَمَا رَأَيْتُ أَعَزَّ مِنْ مَأْوَاكَا
وَتَلَمَّسَتْ نَفْسِي السَّبِيلَ إِلَى النَّجَا ... ةِ فَلَم تَجِدْ مَنْجًى سِوَى مَنْجَاكَا
وَبَحَثْتُ عَنْ سِرِّ السَّعَادَةِ جَاهِدًا ... فَوَجَدْتُ هَذَا السرَّ فِي تَقْوَاكَا
فَلْيَرضَ عنِّي النَّاسُ أَوْ فَلْيَسْخَطُوا ... أنا لَمْ أَعُدْ أَسعَى لِغَيرِ رِضَاكَا
أَدْعُوكَ يَا رَبِّي لِتَغْفِرَ حَوْبَتِي ... وَتُعِينَنِي وَتَمُدَّنِي بِهُدَاكَا
فَاقْبَلْ دُعَائِي وَاسْتَجِبْ لِرَجَاوَتِي ... ما خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَا
يَا رَبُّ هَذَا العَصْرُ أَلْحدَ عِنْدَمَا ... سَخَّرْتَ يَا رَبِّي لَهُ دُنْيَاكَا
عَلَّمْتَهُ مَن عِلْمِكَ النَوَوِيِّ ما ... علَّمتَه فَإِذا بِهِ عاداكَا
مَا كَادَ يُطْلِقُ لِلْعُلا صَارُوخَهُ ... حَتَّى أَشَاحَ بِوَجْهِهِ وَقَلاكَا
وَاغْتَرَّ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ الكَوْنَ فِي ... يُمْنَى بَنِي الإِنْسَانِ لَا يُمْنَاكَا
أَوَ مَا دَرَى الإِنْسَانُ أَنَّكَ لَوْ أَرَدْ ... تَ لَظَلَّتِ الذَّرَّاتُ فِي مَخْبَاكَا
لَوْ شِئْتَ يا رَبِّي هَوَى صَارُوخُهُ ... أَوْ لَوْ أَرَدْتَ لَمَا اسْتَطَاعَ حِرَاكَا
يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَهْلًا وَاتَّئِدْ ... وَاشْكُرْ لِرَبِّكَ فَضْلَ مَا أَوْلَاكَا
وَاسْجُدْ لِمَوْلَاكَ القَدِيرِ فَإِنَّمَا ... مُسْتَحْدَثَاتُ العِلمِ مِنَ مولَاكَا

الله مـــازك دون ســـائر خلقـــه وبِنِعْمَـــةِ العَقْـلِ البَـصِيرِ حَبَاكَـا
أَفَـإِنْ هَـدَاكَ بِعِلْمِـهِ لِعَجِيبَـةٍ تَــزْوَرُّ عَنْــهُ وَيَنْثَنِــي عِطْفَاكَــا
إِنَّ النَّـــوَاةَ وَلِكْتُرُونَـــاتِ التِـــي تَجْــرِي يَرَاهَــا اللهُ حــين يراكــا
مَـا كُنْـتَ تَقْـوَى أَنْ تُفَتِّـتَ ذَرَّةً مـــنهن لـــولا الله قـــد قواكــا
كُلُّ العَجَائِبِ صَنْعَهُ العَقْلِ الَّـذِي هُــوَ صَــنْعَةُ اللهِ الَّــذِي سَــوَّاكَا
وَالعَقْـلُ لَـيْسَ بِمُـدْرِكٍ شِيْئًا إِذَا مَـا اللهُ لَمْ يَكْتُــبْ لَــهُ الإِدْرَاكَــا
لله فِي الآفَـــاقِ آيَـــاتٌ لَعَـــ ـــلَّ أَقَلَّهـا هُـوَ مـا إِلَيـهِ هَـدَاكَا
وَلَعَـلَّ مَـا فِي الـنَّفْسِ مِـنْ آيَاتِـهِ عَجَـبٌ عُجَـابٌ لَـوْ تَـرَى عَيْنَاكَـا
والكَـوْنُ مَـشْحونٌ بِـأَسْرَارٍ إِذَا حَاوَلْـتَ تَفْـسِيرًا لَــهَا أَعْيَاكَــا
قَـلْ لِلطَّبِيـبِ تَخَطَّفَتْـهُ يَـدُ الـرَّدَى أَمُـدَاوِيَ الأَمْـرَاضِ مَـنْ أَرْدَاكَـا؟
قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعـدَ مَـا عَجَزَتْ فُنُونُ الطِّـبِّ مَـنْ عَافَاكَـا
قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُـوتُ لَا مِـنْ عِلَّـةٍ مَــنْ بِالمَنَايَــا يَــا صَـحِيحُ دَهَاكَـا
قُـلْ لِلْبَـصِيرِ وَكَـانَ يَحْـذَرُ حُفْـرَةً فَهَـوَى بِهَـا مَـنْ ذَا الـذي أَهْوَاكَـا
بَلْ سَائِلِ الأَعْمِى خَطَا بَيْنَ الزِّحَـا مِ بِلَا اصْـطِدَامٍ مَـنْ يَقُـودُ خُطَاكَـا
قُـلْ لِلْجَنِـينِ يَعِـيشُ مَعْـزُولًا بِـلَا رَاعٍ وَمَرْعًـى مَـا الَّـذِي يَرْعَاكَـا
قُلْ لِلْوَلِيدِ بَكَـى وَأَجْهَـشَ بِالْبُكَـا ءِ لَدَى الـوِلَادَةِ مَـا الَّـذِي أَبْكَاكَـا
وَإِذَا تَـرَى الثُّعْبَـانَ يَنْفُـثُ سُـمَّهُ فاسْـأَلْهُ مَـنْ ذَا بِالـسُّمُومِ حَـشَاكَا
وَاسْأَلْهُ كَيْفَ تَعِـيشُ يَـا ثُعْبَـانُ أَوْ تَحْيَــا وَهَــذَا الــسُّمُّ يَمـلأُ فَاكَــا
وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ شَـهْدًا وَقُـلْ لِلـشَّهْدِ مَـنْ حَلَّاكَـا

بَلْ سَائِلِ اللَّبَنَ المُصفَّى كَانَ بَيْـ ـنَ دَم وفَرْثٍ مَا الَّذِي صَفَّاكَا
وَإِذَا تَرَى ابْنَ السُّودِ أَبْيَضَ نَاصِعًا فَاسْأَلْهُ مِنْ أَيْنَ الْبَيَاضُ أَتَاكَا
وَإِذَا تَرَى ابْنَ الْبِيضِ أَسْوَدَ فَاحِمًا فَاسْأَلْهُ مِنْ ذَا بِالسَّوَادِ طَلَاكَا
قُلْ لِلْهَوَاءِ تُحِسُّهُ الأَيْدِي وَيَخْـ ـفَى عَنْ عُيونِ النَّاسِ مَنْ أَخْفَاكَا
قُلْ لِلنَّبَاتِ يَجِفُّ بَعدَ تَعَهُّدٍ وَرِعَايَةٍ مَنْ بِالجفَافِ رَمَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّبْتَ فِي الصَّحْرَاءِ يَرْ بُو وَحْدَهُ فاسْأَلْهُ مَنْ أَرْبَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَدْر يَسْري نَاشِرًا أَنْوَارَهُ فَاسْأَلْهُ مَنْ أَسْرَاكَا
وَاسْأَلْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَدْنُو وَهْي أَبْـ ـعَدُ كُلِّ شَيءٍ مَا الَّذِي أَدْنَاكَا
قُلْ لِلْمَرِيرِ مِنَ الثِّمَارِ: مَنِ الَّذِي بِالمُرِّ مِنْ دُونِ الثِّمَارِ غَذَاكَا
وإذا رَأَيْتَ النَّخْلَ مَشْقوقَ النَّوَى فاسْأَلْهُ: مَنْ يا نَخْلُ شَقَّ نَوَاكَا
وإذا رأيتَ النَّارَ شَبَّ لَهِيبُهَا فاسْأَلْ لَهِيبَ النَّارِ مَنْ أَوْرَاكَا
وَإِذَا تَرَي الْجَبَلَ الأَشَمَّ مُنَاطِحًا قِمَمَ السَّحابِ فسَلْهُ: مَنْ أَرْسَاكَا
وَإِذَا تَرَى صَخْرًا تَفَجَّرَ بِالميَا هِ فَسَلْهُ مَنْ بِالماءِ شَقَّ صَفَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّهْرَ بِالْعَذْبِ الزُّلَا لِ جَرَى فَسَلْهُ مَنِ الَّذِي أجْرَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ البَحْرَ بِالمِلْح الأُجَا ج طَغَى فسَلْهُ مَنِ الَّذِي أَطْغَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ يَغْشَى دَاجِيًا فاسْأَلْهُ مَنْ يا لَيْلُ حَاكَ دُجَاكَا
وَإِذَا رَأَيْتَ الصُّبحَ يُسْفِرُ ضَاحِيًا فاسْأَلْهُ مَنْ يَا صُبْحُ صَاغَ ضُحَاكَا
هَذِي عَجَائِبُ طَالَمَا أُخِذَتْ بِهَا عَيْنَاكَ وانْفَتَحَتْ بِهَا أُذُنَاكَا
يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَهْلًا مَا الَّذِي بِالله جَلَّ جلالُهُ أَغْرَاكَا



ولله درُّ القائل:

قِــفْ بالخُــضُوع ونَــادِ يــا اللهُ ... إنَّ الكَــرِيم يُجِيــبُ مَــنْ نَــادَاهُ
وَاطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَـاهُ فَلَـمْ يَـزَلْ ... بـالجُودِ يُـرضِي طَـالبِينَ رِضَـاهُ
وَاسْـأَلْهُ مَغْفِـرَةً وَفَـضْلًا إنَّــهُ ... مَبْــسُوطَتَانِ لِــسَائِلِيه يَــدَاهُ
وَاقصِدْهُ مُنْقَطِعًـا إِلَيْـهِ فكـلُّ مَـنْ ... يَرْجُــوهُ مُنْقَطِعًــا إِلَيْــهِ كَفَــاهُ
شَمِلَتْ لَطَائِفُهُ الْـخَــلَائِقَ كلَّهَـا ... مَـا لِلْخَلَائِــقِ كَافِــلٌ إِلَّا هُــو
فَعَزِيزُهَـــا وَذَلِيلُهَـــا وَغَنِيُّهَـــا ... وَفَقِيرُهَـــا لَا يَرْتَجُــونَ سِــوَاهُ
مَلِـكٌ تَـدِينُ لَـهُ الملـوكُ ويَلْتَجِـي ... يَــوْمَ الْقِيَامَـــةِ فَقْــرُهُم بغِنَــاهُ
هُــوَ أَوَّلٌ هَــوَ آخــرٌ هُــوَ ظَـاهِرٌ ... هُــوَ بَــاطِنٌ لَـيسَ الْعُيُـونُ تَـرَاهُ
حَجَبَتْــهُ أسْرارُ الجَــلَالِ فَدُونَــهُ ... تَقْـف الظُنُـونَ وتَخْرُس الأفـواهُ
صـمد بـلا كَـفءٍ ولا كيفيـة ... أَبَــدًا فَــمَا النُّظَــرَاءُ وَالأَشْــبَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِـبُ صُـنْعِهِ بُوجُـودِهِ ... لَــوْلَاهُ مَــا شَــهِدَتْ بِــهِ لَــوْلَاهُ
وَإِلَيْـهِ أَذْعَنَـتِ العُقُـولُ فَآمَنَـتْ ... بِالْغَيْــبِ تُــؤْثِرُ حُبَّهَــا إِيَّــاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الوُجُوهُ لِوَجْهِهِ ... وَلَــهُ سُــجُودُ أَوْجُــهُ وَجِبَــاهُ
طَوْعًـا وَكَرْهًـا خَاضِـعِينَ لِعِـزِّهِ ... وَلَــهُ عَلَيْهَــا الطَّــوْعُ وَالإِكْـرَاه
سَـلْ عَنْـهُ ذَرَّاتِ الوُجُـودِ فَإِنَّهَـا ... تَــدْعُوهُ مَعْبُــودًا لَهَــا رَبَّــاهُ
مَــا كَــانَ يُعْبَـدُ مِـنْ إِلـهٍ غَـيْرُهُ ... وَالْكُــلُّ تَحْـتَ القَهْـرِ وَهْـوَ إِلَـهُ
أَبْدَي بِمُحْكَـم صُـنْعِهِ مِـنْ نُطْفَـةٍ ... بَــشَرًا سَــوِيًّا جَـلَّ مَــنْ سَـوَّاهُ

وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا وَالْعَرْشَ وَالـ ـــكُرْسِيَّ ثُـمَّ عَـلَا عَلَيْـهِ عُـلَاهُ
وَدَحَـا بِـسَاطَ الأَرْضِ فَرْشًـا مُثْبَتًـا بالرَّاسِـيَاتِ وبالنَّبَـاتِ حَـلَاهُ
تَجْرِي الرِّيَاحُ عَلَى اخْـتِلَافِ هُبُوبِهَـا عَـنْ إِذْنِـهِ والفُلْـكُ وَالأَمْـوَاهُ
ربٌّ رحـيم مُـشْفِقٌ مُتَعَطِّـفٌ لا ينتِهـي بالحـصر مـا أعْطَـاهُ
كـمْ نِعْمـةٍ أَوْلى وَكَـمْ مِـن كُرْبَـةٍ أَجْـلَى وكَـمْ مِـن مُبْـتَلًى عافـاهُ
ولِحِلْمِـهِ سـبحانهُ يُعْـصَى فَلَـمْ يعجَـلْ عـلى عبـدٍ عَـصَى مـولاهُ
يَأتيــهِ مُعْتَــذِرًا فَقْبَــلُ عُــذْرَه كَرَمًـا ويغفِـرُ عَمْـدَهُ وخَطَـاهُ
يـا ذا الجـلال وذا الجـمالِ وذَا البَقـا يـا مُـنْعِمًا عَـمَّ الأنـامَ نَـدَاهُ
يا مَن هـو المعـروفُ بـالمعروفِ يـا غَوْثَـاهُ يـا مـولاهُ يـا مـولاهُ
أنـا مُـذْنِبٌ أشـكو ذنـوبي فامْحُهـا عَنِّـي وبَلِّغنــي الــذي أهــواهُ
وأَذِقْني بَرْدَ رِضاكَ عني فلـم يَخِـبْ مَن كان عيْنُكَ بالرضـا ترعـاهُ [١]

العبد وربُّه:

□ قال ابن القيم -رحمه الله-:

«طُوبى لِمَنْ أَنْصَفَ ربَّه؛ فأَقرَّ له بالجهلِ [٢] في علمِهِ، والآفاتِ في عملِهِ، والعيوبِ في نفسِهِ، والتفريطِ في حقِّهِ، والظلمِ في معاملتِهِ، فإِنْ آخَذَه بذنوبِهِ رأى عدلَه، وإِنْ لم يُؤاخِذْه بها رأى فضلَه، وإِنْ عملَ حسنةً رآها من منَّتِهِ وصدقتِهِ عليه، فإِنْ قَبِلَها فمِنةٌ وصدقةٌ ثانيةٌ، وإِنْ رَدَّها

---

(١) للبُرَعِي.
(٢) أي: أقرَّ هذا الإنسان -الذي يُريد أن يُنصِفَ نفسه- لربِّهِ، بجهلِ نفسِهِ.

فلكَوْنِ مثلِها لا يصلحُ أَن يُواجَه به، وإِنْ عملَ سيئةً رآها من تخلِّيه عنه وخِذلانِهِ له وإمساكِ عصمتِهِ عنه، وذلك من عدلِهِ فيه، فيرى في ذلك فقرَه إلى ربِّهِ وظلمَه في نفسِهِ، فإِنْ غفرَها له فبمحضِ إحسانِهِ وجودِهِ وكَرَمِهِ.

ونُكتةُ المسألةِ وسرُّها: أَنَّه لا يرى ربَّه إلَّا محُسنًا، ولا يرى نفسه إلَّا مُسيئًا أَو مُفرِّطًا أو مُقصِّرًا، فيرى كلَّ ما يسرُّهُ من فضلِ ربِّهِ عليه وإحسانِهِ إليه، وكلَّ ما يسوؤهُ من ذنوبِهِ وعدلِ الله فيه.

المحبُّونَ إذا خربتْ منازلُ أَحبّائِهم؛ قالوا: سقيًا لسكّانِها!

وكذلك المحبُّ إذا أَتتْ عليه الأَعوامُ تحتَ الترابِ؛ ذَكَرَ حينئذٍ حُسْنَ طاعتِهِ له في الدنيا، وتودُّدَه إليهن وتجدُّد رحمتِهِ وسقياه لمن كان ساكنًا في تلك الأجسامِ الباليةِ»[(١)].

والعبد عائِذٌ برِضَى الله من سخطِهِ، وبعفوِهِ من عقوبته، وبه مِنه، مستجيرٌ وملتجئٌ إليه[(٢)]، يعلمُ أَنَّه إذا تخلَّى عنه وخلَّى بينه وبين نفسه فعندهُ أمثالها وشرٌّ منها، وأنَّه لا سبيل له إلى الإقلاعِ والتوبة إلَّا بتوفيقه وإعانته، وأن ذلك بيده سبحانه لا بيد العبد.

فهو أَعْجَزُ وأَضعَفُ وأقلُّ مِن أَن يُوَفِّق نفسَهُ، أَوْ يأتي بمرضاه سَيِّدِه بدون إذنِهِ ومشيئته وإعانته، فهو ملتجئٌ إليه متضرِّعٌ ذليلٌ مسكينٌ، مُلْق نفسَه بين يديْه، وطريحٌ ببابه، مُسْتَخْذٍ لهُ، أَذَلَّ شيءٍ وأَكْسرَه له وأفقرَه وأَحْوَجَهُ إليه، وأرغَبَهُ فيه، وأَحبَّه فيه، ولا له ولا به ولا مِنْهُ، وأَنَّ الخيرَ

---

(١) «الفوائد» لابن القيم، و«فوائد الفوائد» (ص٢٦).

(٢) أي: ذليلٌ مُتَمَسْكِنٌ.

كُلَّه لله وفي يديْه وبه ومنه، فهو وَلِيُّ نعمَتِه، ومبتدئُهُ بها من غير استحقاق، ومُجْرِيهَا عليه مع تَمَقُّتِهِ إليه بإعراضه وغفلته ومعصِيتِهِ.

فَحظُّه سبحانه: الحمد والشكر والثناء، وحظُّ العبدِ: الذَّمُّ والنَّقْصُ والعيبُ، قد استأثَر بالمحامد والمدح والثناء، وَوَلَّي العبدَ الملامةَ والنقائص والعيوب، فالحمدُ كُلُّه له، والخيرُ كلُّهُ في يديْه، والفضلُ كُلُّه له، والثناءُ كُلُّهُ له، والمِنَّةُ كُلُّها له، فمنه الإحسان، ومِن العبد الإساءة، ومنه التوَدُّدُ إلى العبد بنعمه، ومِن العبد التبغُّضُ إليه بمعاصيه، ومنه النُّصْحُ لعبده، ومِن العبدِ الغِشُّ له في معاملته»[1].

الله عَزَّوَجَلَّ:

هو وحده الذي أصلح الفاسدين، وأقبل بقلوب المُعرِضين، وتابَ على المُذنبين، وهَدَى الضالِّين، وأنقذ الهالكين، وعَلَّم الجاهلين، وبَصَّرَ المتحيِّرين، وذكَّرَ الغافلين، وآوَى الشاردين، وإذا أوقع عقابًا أوقعه بعد شدَّة التمرُّدِ والعُتُوِّ عليه، قال أصحاب الجَنَّة التي أفسدَها عليهم لما رأوها: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [القلم].

قال الحسن: «لقد دخلوا النارَ —وإنَّ حَمْدَهُ في قلوبهم- ما وجدُوا عليه حُجَّةً ولا سبيلًا».

قد أزاح سبحانه العِلَل، وأقامَ الحجَج، ومَكَّنَ من أسباب الهِدَاية، وأنه لا يُضِلُّ إلَّا الفاسقين والظالمين، ولا يَطبَعُ إلَّا على قلوب المعتدين، ولا يُرْكس في الفتنة إلَّا المنافقين بكَسْبِهِم.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم، و«فوائد الفوائد» (ص٤٧ - ٤٨).

خِطاب القرآن في وصف الرحمن:

□ قال ابن القيم -رحمه الله-: «تأمَّلْ خطابَ القرآنِ تجدْ مَلِكًا له المُلْكُ كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، أَزِمَّةُ الأُمورِ كلُّها بيدِه، ومصدرُها منه، ومردُّها إليه، مستويًا على سريرِ مُلكِه، لا تخفى عليه خافيةٌ في أَقطارِ مملكتِه، عالمًا بما في نفوسِ عبيدِهِ، مُطَّلِعًا على إسرارِهم وعلانيتِهم، منفردًا بتدبيرِ المملكةِ، يسمعُ ويرى، ويُعطي ومنعُ، ويثيبُ ويعاقبُ، ويُكرِمُ ويُهينُ، ويخلقُ ويرزقُ، ويُميتُ ويحيي، ويُقدِّرُ ويقضي ويدبِّرُ.

الأُمورُ نازلةٌ من عندِهِ دقيقُها وجليلُها، وصاعدةٌ إليهِ، لا تتحرَّك في ذرّةٍ إلَّا بإِذْنِه، ولا تسقطُ ورقةٌ؛ إلَّا بعلمِه.

ثناءُ الله على نفسِهِ:

فتأمَّلْ كيفَ تجدُه يُثني على نفسِه ويمجّدُ نفسَه، ويحمدُ نفسَه، وينصحُ عبادَه، ويدلُّهم على ما فيه سعادتُهم وفلاحُهم ويُرَغِّبُهم فيه، ويُحذِّرُهم مما فيه هلاكُهم، ويعترفُ إِليهم بأَسمائِه وصفاتِه، ويتحبَّبُ إليهم بنِعَمِهِ وآلائِه، فيذكِّرُهم بنِعَمِهِ عليهم، ويأمرُهم بما يستوجبونَ به تمامَها، ويُحذِّرُهم من نِقَمِهِ، ويَذكِّرُهم بما أَعدَّ لهم من الكرامةِ إنْ أَطاعوهُ، وما أَعدَّ لهم من العقوبةِ إنْ عصوهُ، ويُخبرُهم بصنعهِ في أَوليائِه وأَعدائِهِ، وكيفَ كانت عاقبةُ هؤلاءِ وَهؤلاءِ.

بين الربِّ وعبادِهِ:

ويَشهدُ من خطابِه عتابَه لأَحبَّائِه أَلطفَ عتابٍ، وأَنَّه مع ذلك مقيلُ عثراتِهم، وغافرٌ زلَّاتِهم، ومقيمٌ أَعذارَهم، ومصلحٌ فسادَهم، والدافعُ عنهم، والمحامي عنهم، والناصرُ لهم، والكفيلُ بمصالحِهم، والمنجي لهم

من كلِّ كَرْب، والموفي لهم بوعدِهِ، وأنَّه وليُّهم الذي لا وليَّ لهم سواهُ، فهو مولاهم الحقُّ، ونصيرُهم على عدوِّهم، فنعمَ المولى ونعمَ النَّصير.

فإذا شهدتِ القلوبُ من القرآنِ مَلِكًا عظيمًا رحيمًا جوادًا جميلًا، هذا شأنُه، فكيفَ لا تحبُّه وتَنافَسُ في القُربِ منه، وتُنفقُ أنفاسَها في التودُّد إليهِ، ويكونُ أَحبَّ إليها من كلِّ ما سواهُ، ورضاهُ آثرَ عندَها من رضا كلِّ ما سواه؟!

وكيفَ لا تلهجُ بذكرِهِ، ويصيرُ حبُّهُ والشوقُ إليه والأُنسُ به هو غذاءَها وقوّتَها ودواءَها، بحيثُ إنْ فقدتْ ذلك؛ فسدتْ وهلكتْ ولم تنتفعْ بحياتِها؟!»[1].

بين العبد والربِّ:

ماذا يملكُ مِن أَمرِه مَنْ ناصيتُه بيدِ الله ونفسُه بيدِه، وقلبُه بينَ إِصبعين من أَصابعِهِ يقلِّبُه كيفَ يشاءُ[2]، وحياتُه بيَدِه، وموتُه بيدِه، وسعادتُه بيدِه، وشقاوتُه بيدِه، وحركاتُه وسكَناتُه وأَقوالُه وأَفعالُه بإِذنِه ومشيئتِه، فلا يتحرَّكُ إلَّا بإِذنِه، ولا يفعلُ إلَّا بمشيئتِهِ؟!

إنْ وكَلَه إلى نفسِه وكَلَه إلى عجزٍ وضيعةٍ وتفريطٍ وذنبٍ وخطيئةٍ.

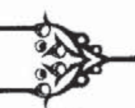
وإنْ وَكَلَه إلى غيرِه وكَلَه إلى مَنْ لا يملكُ له ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نُشورًا.

وإِنْ تخلَّى عنه استولى عليه عدوُّه وجعلَه أَسيرًا له.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم.

(٢) كما في الحديث الذي رواه مسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.



معرفةُ الله بجماله من أعزِّ أنواع المعرفة:

□ قال ابن القيم: «من أَعزِّ أَنواع المعرفة: «معرفةُ الربِّ سبحانَه بالجمالِ، وهي معرفةُ خواصِّ الخلقِ، وكلُّهم عرَفه بصفةٍ من صفاتِه، وأَتمُّهم معرفةً من عَرفَه بكمالِه وجلالِه وجمالِه سبحانَه، ليسَ كمثلِه شيءٌ في سائرِ صفاتِه، ولو فَرَضْتَ الخلقَ كلَّهم على أَجملِهم صورةً، وكلُّهم على تلك الصورةِ، ونَسَبْتَ جمالَهم الظاهرَ والباطنَ إلى جمالِ الربِّ سبحانَه؛ لكانَ أَقلَّ من نسبةِ سِراجٍ ضعيفٍ إِلى قرصِ الشمسِ.

ويكفي في جمالِه أَنَّه لو كُشفَ الحجابُ عن وجهِهِ لأَحرَقتْ سُبحاتُه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه[١].

ويكفي في جمالِه أَنَّ كُلَّ جمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ في الدنيا والآخرةِ فمِن آثارِ صنعتِه، فما الظنُّ بمن صَدَرَ عنه هذا الجمالُ؟؟

ويكفي في جمالِه أَنَّه له العزّةُ جميعًا -والقوّةُ جميعًا- والجودُ كلُّه، والإحسانُ كلُّه، والعلمُ كلُّه، والفضلُ كلُّه، ولِنورِ وجْهِهِ أَشرقتِ الظُّلُماتُ؛ كما قالَ النبيُّ ﷺ في دعاء الطائفِ: «**أَعوذُ بنورِ وجهِكَ الَّذِي أَشرقَتْ لهُ الظُّلُماتُ، وصَلَحَ عليه أَمْرُ الدُّنيا والآخرةِ**»[٢].

---

(١) كما في «صحيح مسلم» (٢٩٣) عن أبي موسىٰ الأشعري.

(٢) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ٧٢) ابن هشام، والطبريُّ في «تاريخه» (٢/ ٣٤٤) بسند مرسل. ورواه الطبراني في «الكبير» (١٨١- قطعة من جزء ١٣)، وفي «الدعاء» (١٠٣٦) عن عبد الله بن جعفر. وفي سنده عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلِّسٌ؛ كما قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٥). وله إسناد آخر – مرسلاً- عند البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤١٥) عن الزُهري. فالحديث لا يَصحُّ.

□ وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ: «ليسَ عندَ ربِّكم ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السَّماواتِ والأَرضِ مِنْ نورِ وجهِهِ»[1].

فهو سبحانَه نورُ السمواتِ والأرضِ، ويومَ القيامةِ إذا جاءَ لفصلِ القضاءِ تشرقُ الأرضُ بنورِه.

ومن أَسمائه الحسنى «الجميل»، وفي «الصحيح»[2] عنه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجَمالَ**».

وجمالُه سبحانَه على أَربع مراتب: جمالُ الذاتِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأَفعالِ، وجمالُ الأَسماء:

فأَسماؤه كلُّها حسنى، وصفاتُه كلُّها صفاتُ كمالٍ، وأَفعالُه كلُّها حكمةٌ ومصلحةٌ وعدلٌ ورحمةٌ.

وأَمَّا جمالُ الذاتِ وما هو عليه؛ فأَمرٌ لا يُدْرِكُه سواه ولا يعلمُه غيرُه، وليسَ عند المخلوقين منه إلَّا تعريفاتٌ تَعرَّفَ بها إلى مَن أَكرمَه مِن عبادِه؛ فإِنَّ ذلك الجمالَ مَصُونٌ عن الأَغيار، محجوبٌ بسترِ الرِّداءِ والإِزارِ؛ كما قالَ رسولُه ﷺ فيما يحكي عنه: «**الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إِزاري**»[3]، ولمَّا

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٨٨٨٦)، وعثمان الدارمي في «الرَّدّ على بشر المريسي» (٤٤٩) «عقائد السلف» بسندٍ فيه أبو عبد السلام، وهو مجهولٌ، كما قال الهيثمي في «المجمَع» (١/ ٨٥). وزادَ المصنِّفُ نسبتَه في «اجتماع الجيوش الإسلاميَّة» (ص٤٥) للطبرانيِّ في «السنَّة». فلعلَّه من طريقٍ آخر، فقد صححه شيخُ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٩١)، قائلاً: «فقد ثبتَ عن ابن مسعود..» وذكرَه.

(٢) «صحيح مسلم» (٩١) عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤٢٧، ٤٤٢)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه =

كانت الكبرياءُ أَعظمَ وأَوسعَ؛ كانتْ أَحقَّ باسمِ الرِّداءِ؛ فإِنَّه سبحانَه الكبيرُ المتعالُ؛ فهو سبحانَه العليُّ العظيم.

□ قال ابن عباسٍ ﵄: «حَجبَ الذاتَ بالصفاتِ؟! وحجَبَ الصفاتِ بالأَفعالِ».

فما ظنَّك بجمالٍ حُجِبَ بأَوصافِ الكمالِ، وسُتِرَ بنعوتِ العظمةِ والجلالِ؟!.

ومن هذا المعنى يُفهَمُ بعضُ معاني جمالِ ذاتِه؛ فإِنَّ العبدَ يتَرقَّى من معرفةِ الأَفعالِ إلى معرفةِ الصفاتِ، ومن معرفةِ الصفاتِ إلى معرفةِ الذاتِ، فإِذا شاهدَ شيئًا من جمالِ الأَفعالِ استدلَّ به على جمالِ الصفاتِ، ثمَّ استدلَّ بجمالِ الصفاتِ على جمالِ الذاتِ.

ومن ههنا يتبيّنُ أَنَّه سبحانَه له الحمدُ كلُّه، وأَنَّ أَحدًا من خلقِه لا يُحصي ثناءً عليه، بل هو كما أَثنى على نفسِه، وأَنَّه يستحقُّ أَن يُعبدَ لذاتِه، ويُحبَّ لذاتِه ويُشكَرَ لذاتِه، وأَنَّه سبحانَه يحبُّ نفسَه، ويُثني على نفسِه، ويَحْمَدُ نفسَه، وأَنَّ محبّتَه لنفسِه، وحمدَه لنفسِه، وثناءَه على نفسِه، وتوحيدَه لنفسِه هو في الحقيقةِ الحمدُ والثناءُ والحبُّ والتوحيدُ.

فهو سبحانَه كما أثنى على نفسِه وفوقَ ما يُثني به عليه خلقُه، وهو سبحانَه كما يُحِبُّ ذاتَه يُحِبُّ صفاتِه وأَفعالَه، فكلُّ أَفعالِه حسنٌ محبوبٌ، وإِنْ كانَ في مفعولاتِه ما يبغضُه ويكرهُه؛ فليسَ في أَفعالِه ما هو مكروهٌ مسخوطٌ.

(٢١٧٤) عن أبي هريرة بسندٍ صحيحٍ. وهو في «صحيح مسلم» (٢٦٢٠) عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعًا بنحوِهِ.

وليس في الوجودِ ما يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه إلَّا هو سبحانَه، وكلُّ ما يُحِبُّ سواه، فإِنْ كانت محبّتُه تابعةً لمحبتِه سبحانَه -بحيث يُحِبُّ لأَجلِه-؛ فمحبتُه صحيحةٌ، وإلَّا فهي محبّةٌ باطلةٌ.

وهذا هو حقيقةُ الإلهية؛ فإِنَّ الإِلهَ الحقَّ هو الذي يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه، فكيفَ إذا انضافَ إلى ذلكَ إحسانُه، وإِنعامُه، وحِلمُه، وتجاوزُه، وعفوُه، وبرُّه، ورحمتُه؟!

فعلى العبدِ أَنْ يعلمَ أَنَّه لا إله إلَّا الله؛ فيحبَّه ويحمدَه لذاتِه وكمالِه، وأَنْ يعلمَ أَنَّه لا محسنَ على الحقيقةِ بأَصنافِ النعَمِ الظاهرةِ والباطنةِ إلَّا هو؛ فيحبَّه لإِحسانِه وإِنعامِه، ويحمدَه على ذلك؛ فيحبّه من الوجهين جميعًا.

وكما أَنَّه ليسَ كمثلِه شيءٌ فليسَ كمحبتِه محبةٌ، والمحبّةُ مع الخضوع هي العبوديّةُ التي خُلق الخلقُ لأَجلِها؛ فإِنَّها غايةُ الحبِّ بغايةِ الذُّلِّ، ولا يصلحُ ذلك إلَّا له سبحانَه، والإِشراكُ به في هذا هو الشركُ الذي لا يغفره اللهُ، ولا يقبلُ لصاحبِه عملًا.

وحمدُه يتضمّنُ أَصلين: الإِخبارَ بمحامدِه وصفاتِ كمالِه، والمحبّةَ له عليها، فَمَنْ أَخبرَ بمحاسنِ غيرِه من غيرِ محبّةٍ له لم يكن حامدًا، ومَنْ أَحبَّه من غيرِ إِخبارٍ بمحاسنِه لم يكنْ حامدًا حتى يجمعَ الأَمرين.

وهو سبحانَه يحمدُ نفسَه بنفسِه، ويحمدُ نفسَه بما يُجريه على أَلسنةِ الحامدينَ له من ملائكتِه وأَنبيائِه ورُسلِه وعبادِه المؤمنين، فهو الحامدُ لنفسِه بهذا وهذا، فإِنَّ حمدَهم له بمشيئتِه وإِذْنِه وتكوينِه، فإِنَّه هو الذي جعلَ الحامدَ حامدًا، والمسلمَ مسلمًا، والمصلِّيَ مصلِّيًا، والتائبَ تائبًا، فمنه ابتدأت النِّعَمُ، وإِليهِ انتهتْ؛ فابتدأت بحمدِه، وانتهت إلى حمدِه، وهو

الذي أَلْهَمَ عبدَه التوبةَ، وفَرِحَ بها أَعظمَ الفرحِ، وهي من فضلِه وجودِه، وأَلهمَ عبدَه الطاعةَ وأَعانَه عليها، ثم أَثابَه عليها، وهي من فضلِه وجودِه.

وهو سبحانَه غنيٌّ عن كلِّ ما سواه بكلِّ وجهٍ، وما سواهُ فقيرٌ إليه بكلِّ وجهٍ، والعبدُ مفتقرٌ إليه لذاتِه في الأسبابِ والغاياتِ؛ فإِنَّ ما لا يكونُ به: لا يكونُ، وما لا يكونُ له: لا ينفعُ»[(١)] اهـ.

• قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال**» وهذا الحديث الشريف مشتمِلٌ على أصَليْن عظيميْن: فأَوَّلُهُ معرفةٌ، وآخرُهُ سلوكٌ، فيُعْرَفُ اللهُ سبحانَه بالجمالِ الذي لا يماثُلُه فيه شيءٌ، ويُعْبَدُ بالجمالِ الذي يحبُّهُ من الأَقوالِ والأَعمالِ والأَخلاقِ، فيحبُّ من عبدِهِ أَنْ يُجمِّلَ لسانَه بالصدقِ، وقلبَه بالإخلاصِ والمحبةِ والإنابةِ والتوكّلِ، وجوارحَه بالطاعةِ، وبدنَه بإِظهارِ نِعَمِهِ عليه في لباسِهِ، وتطهيرِهِ له من الأنجاسِ، والأَحداثِ، والأَوساخِ، والشعورِ المكروهةِ، والختانِ، وتقليمِ الأَظفارِ.

فيعْرِفُهُ بالجمالِ الذي هو وصفُهُ، ويعبدُهُ بجمالِ الذي هو شَرْعُهُ ودينُهُ فَجَمَعَ الحديثُ قاعدتين: المعرفةَ والسُّلوكَ»[(٢)].

التوحيد والعُبودية:

اللهم إني عبدك:

• في «المسند» و«صحيح أبي حاتمٍ»[(٣)] من حديث عبد الله بن مسعود

---

(١) «الفوائد» لابن القيم.

(٢) «الفوائد» لابن القيم.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٩١ و٤٥٢)، وابن حبان (٩٧٢)، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٧)، والحاكم (٥٠٩- ٥١٠)، وابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» =

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أَصابَ عبدًا همٌّ ولا حَزَنٌ، فقالَ: اللهمَّ! إنِّي عبدُك ابنُ عبدِكَ ابنُ أَمَتِكَ، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فِيَّ حُكمُكَ، عدلٌ فِيَّ قضاؤك، أَسأَلُكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ، سمَّيتَ به نفسَكَ، أَو أَنزلتَه في كتابِك، أَو علّمتَه أَحدًا من خلقِكَ، أَو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَكَ؛ أَن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حُزني، وذهابَ همِّي وغمِّي، إلَّا أَذهب اللهُ همَّه وغمَّه، وأَبدَلَه مكانَه فرَحًا»، قالوا: يا رسولَ الله! أَفلا نتعلمهنَّ؟ قال: «بَلَى، ينبغي لمن سمعهنَّ أَنْ يتعلمَهنَّ».

فتضمَّنَ هذا الحديثُ العظيمُ أُمورًا من المعرفةِ والتوحيدِ والعبوديةِ:

منها: أَنَّ الدَّاعي به صدَّرَ سؤالَه بقولِهِ: «إني عبدُك ابنُ عبدِكَ ابنُ أَمتِكَ»، وهذا يتناولُ مَنْ فوقَه مِن آبائِهِ وأُمَّهاتِهِ إلى أَبويه آدمَ وحواء، وفي ذلك تملُّقٌ له واستخذاءٌ[1] بين يديه، واعترافٌ بأَنَّه مملوكُه وآباءَهُ مماليكُه، وأَنَّ العبدَ ليسَ له غيرُ بابِ سيِّدِهِ وفضلِهِ وإحسانِهِ، وأَنَّ سيِّدَه إنْ أَهملَه وتخلَّى عنه هلكَ، ولم يُؤوِهِ أَحدٌ ولم يعطفْ عليه، بل يضيعُ أَعظمَ ضيعةٍ.

فتحت هذا الاعترافِ: إنِّي لا غنى بي عنكَ طرفةَ عينٍ، وليسَ لي مَنْ أَعوذُ به وأَلوذُ به غيرُ سيدي الذي أَنا عبدُه.

وفي ضِمْنِ ذلك: الاعترافُ بأَنَّه مربوبٌ مدبَّرٌ منهيٌّ، إنَّما يتصرّفُ بحكمِ العبوديَّةِ، لا بحكمِ الاختيارِ لنفسِهِ.

فليسَ هذا شأَنَ العبدِ، بل شأنُ الملوكِ والأَحرارِ، وأَمَّا العبيدُ:

---

(٣٤٠)، والطبرانيُّ في «الكبير» (١٠٣٥٢)،والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١٠٦٣- زوائده) بسند صحيح.

(١) تذلُّلٌ وانكِسار.

فتصرُّفُهم على مَحْضِ العبوديَّةِ، فهؤلاءِ عبيدُ الطاعةِ المضافونَ إليه سبحانَه في قولِهِ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومَن عَداهم: عبيدُ القهرِ والربوبيّةِ، فإضافتُهم إليه كإضافة سائرِ البيوتِ إلى مُلكِهِ[١]، وإضافةُ أُولئكَ كإضافةِ البيتِ الحرامِ إليه، وإضافةِ ناقتِهِ إليه، ودارِهِ -التي هي الجنَّةُ- إليه، وإضافتِهِ عبوديَّةَ رسولِهِ إليه بقولِه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩].

وفي التحقيق بمعنى قولِه: «**إِنِّي عبدُك**» التزامُ عبوديته من الذُّلِّ والخضوعِ والإنابةِ، وامتثالُ أَمرِ سيِّدِه، واجتنابُ نهيِه، ودوامُ الافتقارِ إليهِ واللجَأِ إليه، والاستعانةِ به، والتوكّلِ عليه، وعياذِ العبدِ به، ولياذِهِ به، وأَنْ لا يتعلَّقَ قلبُه بغيرِهِ؛ محبّةً وخوفًا ورجاءً.

وفيه أَيضًا: إِنِّي عبدٌ من جميعِ الوجوهِ؛ صغيرًا وكبيرًا، حيًّا وميتًا، مطيعًا وعاصيًا، معافى ومبتلى؛ بالرُّوحِ والقلبِ، واللسانِ والجوارحِ.

وفيه أيضًا: إنَّ مالي ونفسي مُلكٌ لك؛ فإِنَّ العبدَ وما يملكُ لسيدِه.

وفيه أيضًا: إِنَّكَ أَنت الذي مَنَنْتَ عليَّ بكلِّ ما أَنا فيه من نعمةٍ، فذلك كلُّه من إِنعامِكَ على عبدِك.

وفيه أيضًا: إِنِّي لا أَتصرّفُ فيما خوَّلْتَني من مالي ونفسي إلَّا بأَمرِك، كما لا يتصرّفُ العبدُ إلَّا بإذنِ سيّدِه، وإِنِّي لا أَملكُ لنفسي ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نُشورًا، فإِنْ صحَّ له شهودُ ذلك؛ فقد قالَ: إِنِّي عبدُك،

(١) أي: ليست إضافةً مبنيةً على الطاعةِ، وإنما هي مبنيّةٌ على المُلْكِ والاقتدارِ.

حقيقةً.

ثمَّ قال: «**ناصيتي بيدِك**»؛ أَي: أَنتَ المتصرّفُ فيَّ تُصرِّفُني كيفَ تشاءُ، لستُ أَنا المتصرّفَ في نفسي.

وكيفَ يكونُ له في نفسِه تصرّفٌ؛ مَنْ نفسُهُ بيدِ ربِّهِ وسيِّدِه، وناصيتُه بيدِه، وقلبُه بينَ إِصبعين من أَصابعِه [1]، وموتُه وحياتُه، وسعادتُه وشقاوتُه، وعافيتُه وبلاؤهُ كلُّه إِليه سبحانَه، ليس إِلى العبدِ منه شيءٌ، بل هو في قبضةِ سيِّدِه: أَضعفُ من مملوكٍ ضعيفٍ حقيرٍ، ناصيتُه بيدِ سلطانٍ قاهرٍ مالكٍ له تحتَ تصرُّفِه وقهرِه، بل الأَمرُ فوقَ ذلك؟!

ومتى شَهِدَ العبدُ أَنَّ ناصيتَه، ونواصيَ العبادِ كلَّها بيدِ الله وحدَه يُصرِّفُهم كيفَ يشاءُ؛ لم يَخَفْهُم بعدَ ذلك، ولم يَرْجُهُم، ولم يُنزِلْهُم منزلةَ المالكين، بل منزلةَ عبيدٍ مقهورينَ مربوبينَ، المتصرِّفُ فيهم سواهم، والمدبّرُ لهم غيرُهم.

فمَن شهدَ نفسَه بهذا المشهدِ صارَ فقرُه وضرورتُه إِلى ربِّه وصفًا لازمًا له، ومتى شهدَ النَّاسَ؛ كذلك لم يفتقر إِليهم، ولم يُعلِّقْ أَملَه ورجاءَه بهم، فاستقامَ توحيدُه وتوكُّلُه وعبوديّتُه.

ولهذا قالَ هود عليه السلام لقومِه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].

وقولُه: «**ماضٍ فيَّ حُكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك**»؛ تضمَّنَ هذا الكلامُ أَمرين:

---

(١) ورد هذا المعنىٰ في حديث رواه مسلم في «صحيحه» (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

أَحدهما: مَضَاءُ[1] حكمِه في عبدِه.

والثاني: يتضمّنُ حمدَه وعدلَه، وهو سبحانَه له المُلْكُ وله الحمدُ.

وهذا معنى قولِ نبيِّه هودَ عليه السلام: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أَي: مع كونِه مالكًا قاهرًا متصرِّفًا في عبادِه، نواصيهم بيدِه؛ فهو على صراطٍ مستقيمٍ، وهو العدلُ الذي يتصرّفُ به فيهم، فهو على صراطٍ مستقيمٍ في قولِه وفعلِه؛ وقضائِه وقدَرِه؛ وأَمرِه ونهيِه، وثوابِه وعقابِه؛ فخبرُه كلُّهُ صدقٌ، وقضاؤه كلُّه عدلٌ، وأَمرُه كلُّه مصلحةٌ، والذي نهى عنه كلُّه مفسدةٌ، وثوابُه لمن يستحقُّ الثوابَ؛ بفضلِه ورحمتِه، وعقابُه لمن يستحقُّ العقابَ؛ بعدلِه وحكمتِه»[2] اهـ.

---

(١) هو نفاذُه ونفوذُه.

(٢) «الفوائد» لابن القيم.

عُلاة الهمم في الدعوة إلى التوحيد

أكمل الناس توحيدًا ودعوة إلى التوحيد أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم:

□ قال ابن القيم -رحمه الله-: «لا ريْبَ أنَّ أهلَ التوحيد يتفاوتُونَ في توحيدهم علْمًا ومعرفةً وحالًا -تفاوُتًا لا يُحْصيه إلَّا اللهُ. فأكملُ الناسِ توحيدًا الأنبياءُ صلوات الله وسلامه عليهم، والمرسَلُون منهم أكملُ في ذلك، وأولُو العزمِ من الرُّسُلِ أكمل توحيدًا.. وأكمل أولي العَزْمِ الخليلانِ: محمَّدٌ وإبراهيم صلوت الله وسلامُهُ عليهما، إذ قاما من التوحيد بما لم يقمْ به غيرهما علمًا ومعرفةً وحالًا، ودعوةً للخلقِ وجهادًا. ولما كان أكملُ التَّوحيد توحيد الأنبياء أمر الله نَبِيَّهُ أنْ يقْتَدِيَ بهم فيه كما قال سبحانه -بعد ذكر إبراهيم ومناظرته أباهُ وقومه في بُطلانِ الشِّرْك وصحَّةِ التوحيد وذكر الأنبياء من ذُريته-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام].

فلا أكْمَل من توحيد مَنْ أمر رسولُ الله ﷺ أَنْ يقْتَدي بهم»[١].

❋ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٠١، ٥٠٢) بإيجاز.


﴿[الأنعام].

«هذا تقرير لينابيع الهدى في هذه الأرض، فهدى الله يتمثَّل فيما جاءت به الرسل، وينحصر المستَيْقَن منه، والذي يجب اتباعه، في هذا المصدر الواحد.

وأنبياء الله ورسله هم الذين وكَّلهم الله بدعوة التوحيد وبدينه، يحملونه إلى الناس، ويقومون عليه، ويؤمنون بدعوة التوحيد ويحفظونها فإذا كفر بدعوة التوحيد مشركو العرب ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فإن دعوة التوحيد غنية عنهم، وهؤلاء الرهط الكرام والمؤمنون بها همُ حَسْب هذه الدعوة.. إنها حقيقة قديمة امتدَّت شجرتها، وموكب موصول تماسكت حلقاته، ودعوة واحدة حملها رسولٌ بعد رسول، وآمن بها ويؤمن من يقسم الله له الهداية، بما يعلمه من استحقاقه للهداية!

وهو تقرير يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، وفي قلب العُصبةَ المسلمة -أيًّا كان عددها- إن هذه العصبة ليست وحدها، ليست مقطوعة من شجرة! إنها فرع منبثق من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحلقة في موكب جليل موصول، موصولة أسبابه بالله وهُدَاه.. إن المؤمن الفرد، في أيِّ أرضٍ وفي أي جيل، قوي قوي، وكبير كبير، إنه البشرية وفي أعماق التاريخ الإنساني، وعضوٌ من ذلك الموكب الكريم الموصول بالله وهداه منذ أقدم العصور.

ورسل الله وأنبياؤه الرهط الكرام الذين يقودون موكب الإيمان والتوحيد، هم الذين هداهم الله. وهُدَاهم الذي جاءهم من الله فيه القدوة لرسول الله ﷺ ومن آمن به، فهذا الهدى وحده هو الذي يسير عليه

ويحتكم إليه.

قال قتادة: وكَّلْنا بها الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرناهم -يعني: قبل هذه الآية- وهذا التوكيل خاص بمن قام به علمًا، وعملًا، وجهادًا لأعدائها وذبًّا عنها، ونفيًا لتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وأيضًا فهو توكيل رحمة وإحسان وتوفيق واختصاص لا توكيل حاجة، وفي هذا تحقير لشأن الكفرة بدعوة التوحيد وبيان عدم تأهيلهم لها والإنعام عيها، وإيثار غيرهم من أهل الإيمان الذين سبقت لهم الحسنى عليهم، لكونهم أحق بها وأهلها والله أعلم حيث يضع هداه، ويختص به من يشاء، فالحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

وقد قيل: إن هؤلاء القوم هم الأنبياء، وقيل: أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: كل مؤمن. هذه أمَّهاتُ الأقوال، بعد أقوال متفرِّعة من هذه كقول من قال: هم الأنصار، أو المهاجرون والأنصار، أوْ قومٌ من أبناء فارس، وقال آخرون: هم الملائكة. وقال ابن جرير [1]: وأولى هذه الأقوال بالصواب أنهم الأنبياء الثمانية عشر الذين سمّاهم في الآيات قبل الآية.

فالقوم «الموكَّلون بها هم الأنبياء أصلًا، والمؤمنون بها تبعًا، فيدخل كل من قام بحفظها، والذبِّ عنها، والدعوة إليها، ولا ريب أن هذا للأنبياء، وللمؤمنين بهم تبعًا، وأحقُّ من دخل فيها من أتباع الرسول، خلفاؤه في أمَّته، وورثته؛ فهم الموكَّلون بها وهذا ينتظم في الأقوال التي قيلت في

---

(١) «تفسير الطبري» (٧/ ٢٦٣).

الآية»[١].

□ إن دعوة التوحيد كريمة في كلِّ اعتبار، كريمةٌ في صحفها المرفوعة المُطَهَّرة المُوَكَّل بها السُّفَراء من الملأ الأعلى ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليبلغوها، وهم كذلك كرامٌ بررة.. فهي كريمة طاهرة في كل ما يتعلَّق بها، وما يمسُّها من قريب أو بعيد، وهي عزيزةٌ لا يُتصَدَّى بها للمُعرضين الذين يُظهرون الاستغناء عنها؛ فهي فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التطهُّر بها.

دعوة نوح أول المرسلين عليه السلام إلى التوحيد ألف سنة إلا خمسين عامًا:

دعوة نوح عليه السلام إلى التوحيد.. والتوحيد فقط وعبادة الله وحده ألف سنة إلَّا خمسين عامًا. ترى فيها البشرية الضالة العنيدة العَصِيَّة الجامحة، وترى فيها الجهد المضني، والعناء المرهِق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب نبي الله نوحٍ عليه السلام لهداية البشرية جهد دائب مُلِحٌّ ثابت مُصِرٌّ وتضحية نبيلة في دأب طويل طويل، ومشقَّة ألف سنة إلَّا خمسين عامًا يدعو إلى التوحيد، يتحيَّن كل فرصة ليبلغهم دعوة التوحيدِ، وهم قد أصرُّوا على الضلال، واستكبروا عن الاستجابة، بصورة تبرز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة، تبرز في وضع الأصابع في الآذان، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب. ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ عناد طفولي كامل، فآذانهم لا تسع أصابعهم كاملة، إنما هم يسدُّونها بأطراف الأصابع، ولكنهم يسدُّونها في عنف بالغ، كأنما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم ضمانًا لعدم تسرُّب الصوت إليها بتاتًا! هي صورة غليظة للإصرار

---

(١) «بدائع التفسير» (٢/ ١٥٨).

والعناد، كما أنها صورة بدائية -لأطفال البشرية الكبار!

وهؤلاء لم يكتفوا بالضلال ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ مَكْرًا متناهيًا في الكِبَر، مكروا لإبطال الدعوة وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس. ومكروا لتزيين الكفر والضلال والجاهلية التي تخبَّط فيها القوم، وكان من مكرهم تحريض الناس على الاستمساك بالأصنام التي يُسمُّونها آلهة ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾- بهذه الإضافة- ﴿آلِهَتَكُمْ﴾ لإثارة النخوة الكاذبة والحمِيَّة الآثمة في قلوبهم. وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأنًا فخصُّوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامَّة المضَلَّلين الحميّة والاعتزاز ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ وهي أكبر آلهتهم التي ظلَّتْ تعبد في الجاهليّات بعدهم إلى عهد الرسالة المحمدية.

«كان بين آدم ونوح عليه السلام قرون كلها على الإسلام» حتى كان شرك قوم نوح وعبادتهم الأصنام.. قيادات مضلِّلة ضالّة تقيم أصنامًا، تختلف أسماؤها وأشكالها، وفق النعرة السائدة؛ تجمع حوالَيْها الأتباع، وتهيج في قلوبهم الحميَّة لهذه الأصنام، كي تُوجِّهَهم من هذا الحُطام إلى حيث تشاء، وتُبقيَهم على الضلال الذي يكفلُ لها الطاعة والانقياد بالمكر الكُبَّارِ، والكيد والإصرار.

ولا يملُّ نبي الله نوح عليه السلام ولا يفتر ولا ييأس أمام هذا الإعراض والإصرار ويتتبَّعُ نوح عليه السلام كل الوسائل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح]. جهد نبيل خالص كريم وتحمُّل فوق تصوُّر البشر للإعراض والاستكبار والاستهزاء.. وعدد

المستجيبين له لا يكاد يزيد دعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ألف سنة إلَّا خمسين عامًا.. وقد يَعنّ للإنسان أنْ يسأَلَ: تُرى تُساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل، وتَلك التضحيات النبيلة.

تُرى هل تُساوي هذا الجهد الذي وصفه نوح عليه السلام، وقد استغرق عمرًا طويلًا بالغ الطول، لم يكتف قومه فيه بالإعراض، بل اتبعوه بالسُّخرية والاتهام، وهو يتلقَّاهما بالصبر والحسنى والأدب الجميل والبيان المُنير.

والجواب: أنْ نعم.. وبلا جِدال..!!

إن استقرار حقيقة التوحيد والإيمان بالله في الأرض يساوي كلَّ هذا الجُهد، وكلَّ هذا الصبر، وكلَّ هذه المشقة، وكل هذه التضحيات المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كلِّ جيل!

ولعلَّ استقرار هذه الحقيقة أكبر من وجود الإنسان ذاته، بل أكبر من الأرض وما عليها، بل أكبر من هذا الكون الهائل الذي لا تبلغ الأرض أن تكون فيه هباءة ضائعة لا تكادُ تُحَسُّ أو تُرَى!

إن استقرار هذه الحقيقة في قلب معناه أن ينطوي على قلب على نور التوحيد وهي حقيقة أكبر من الإنسان ذاته ومن أرضه وسمائه، من كل هذا الكون الكبير كما أن استقرار حقيقة التوحيد والإيمان في حياة البشر - أو جماعة منهم- معناه اتصال هذه الحياة الأرضية بالحياة الأبديَّة، وارتفاعها إلى المستوى الذي يؤهلها لهذا الاتصال.. معناه اتصال الفناء بالبقاء والمحدود الناقص بالكمال المُطلَق.. وهي حصيلة تربى على كل جهد وكل تضحية ولو تحقَّقت على الأرض يومًا أو بعض يوم في عمر

البشرية الطويلة؛ لأن تحقُّقَها -ولو في هذه الصورة- يرفع أمام البشرية في سائر أجيالها مشعل النور في صورة عمليّة واقعيّة، تجاهد لتبلغ إليها طوال الأجيال!

مع التوحيد ودعوته يكون السموُّ في أشرف صورة ومعانيه والسعادة والطمأنينة في أرقى معانيها وصورها.

إمام الحنفاء وسيد المُوَحِّدين خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام :

□ وقال ابن القيم أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة] أي: لا ينالُ عهْدِي بالإمامةِ مشْرِكٌ ولهذا أوْصَى نبيَّهُ محمدًا ﷺ أنْ يَتَّبعَ مِلَّة إبراهيم، وكان يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «**أصبحْنَا على فِطْرَةِ الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودينِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ وملَّةِ أبينا إبراهيم حنيفًا مُسْلمًا وما كان من المشركين**»، فملةُ إبراهيم التوحيدُ، ودينُ مُحَمَّدٍ: ما جاء به من عند الله قولًا وعملًا واعْتِقادًا.

وكلمة الإخلاص: هي شهادةُ أن لا إله إِلَّا اللهُ، وفطرَةُ الإسلام: هي ما فطر اللهُ عليه عبادَهُ من محبَّتِه وعبادته وحده لا شريك له والاستسلامِ له عبوديةً وذُلًّا وانْقِيادًا وإنابةً»[1].

* قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٠٢).

كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل].

«الحنيف المُقْبِل على الله المعرض عمّا سواه، ومن فسَّره بالمائلِ لم يُفَسِّره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فَسّره بلازم المعنى، فإن الحنف هو الإقبال، ومَن أقبل على شيءٍ مَالَ عن غيره، والحنف في الرِّجْليْن هو إقبال إحداهُما على الأُخرى ويلزمه ميلها عن جهتها، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠].. فإن إقامة الوجه للدِّين هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره، والحنيف المفرد لمعبوده لا يريد غيره»[(١)].

□ وقال ابن القيم: «إن الحنيفيّة تتضمَّن الإقبال على الله بالعبادة، والإجلال والتعظيم والمحبة والذل. والتوحيد يتضمَّن إفراده بهذا الإقبال دون غيره فيُعبَد وحده ويُحبُّ وحدَه ويُطاع وحده، ولا يجعل معه إلهًا آخر»[(٢)].

---

(١) «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص١٥٥).

(٢) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٤/ ١٥٥).

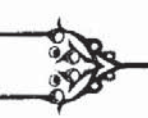
* وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما قام بدين الله كله إِلَّا إبراهيم عليه السلام، قدّم بدنه للنيران، وقدّم ماله للضِّيفان، وقدَّم ولدَه للقربان». وقال الله تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم].

أحسن مناظرة بين إبراهيم عليه السلام وقومه:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام].

لقد كان كفر الصابئة من جهة الكواكب والعلويات، ولذلك ناظرهم إمام الحنفاء صلوات الله وسلامه عليه في بُطلانِ إلهيَّتها.



أحسن مناظرة وأبينها، ظهرت فيها حجته، ودحضت حجتهم. فقال بعد أن بين بطلان إلهية الكواكب والقمر والشمس بأفولها، وأن الإله لا يليق به أن يغيب ويأفل، بل لا يكون إلَّا شاهدًا غير غائب، كما لا يكون إلَّا غالبًا قاهرًا غير مغلوب ولا مقهور، نافعًا لعباده، يملك لعابده الضر والنفع فيسمع كلامه ويرى مكانه ويهديه ويرشده ويدفع عنه كل ما يضره ويؤذيه وذلك ليس إلَّا لله وحده، فكل معبود سواه باطل.

فلما رأى إمام الحنفاء أن الشمس والقمر والكواكب ليست بهذه المثابة، صعد منها إلى فاطرها وخالقها ومبدعها فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾، وفي ذلك إشارة إلى أنه سبحانه خالق أمكنتها ومحالها التي هي مفتقرة إليها، ولا قوام إلَّا بها، فهي محتاجة إلى محل تقوم به وفاطر يخلقها ويدبرها ويربها. والمحتاج المخلوق المربوب المدبر لا يكون إلهًا. فحاجه قومه في الله. ومن حاج في عبادة الله فحجته داحضة. فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وهذا من أحسن الكلام، أي تريدون أن تصرفوني عن الإقرار بربي وتوحيده، وعن عبادته وحده، وتشككوني فيه، وقد أرشدني وبين لي الحق، حتى استبان لي كالعيان، وبين لي بطلان الشرك، وسوء عاقبته، وأن آلهتكم لا تصلح للعبادة، وأن عبادتها توجب لعابديها غاية الضرر في الدنيا والآخرة، فكيف تريدون مني أن أنصرف عن عبادته وتوحيده إلى الشرك به، وقد هداني إلى الحق وسبيل الرشاد؟ فالمحاجة والمجادلة إنما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق ومن الجهل إلى العلم ومن العمى إلى الإبصار ومجادلتكم إياي في الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل تتضمن خلاف ذلك.

فخوفوه بآلهتهم أن تصيبه بسوء، كما يخوف المشرك الموحد بإلهه الذي يألهه مع الله أن يناله بسوء. فقال الخليل: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ فإن آلهتكم أقل وأحقر من أن تضر من كفر بها، وجحد عبادتها، ثم رد الأمر إلى مشيئة الله وحده وأنه هو الذي يخاف ويرجى، فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ وهذا استثناء منقطع. والمعنى: لا أخاف آلهتكم فإنها لا مشيئة لها، ولا قدرة، لكن إن شاء ربي شيئًا نالني وأصابني، لا آلهتكم التي لا تشاء، ولا تعلم شيئًا، وربي له المشيئة النافذة، وقد وسع كل شيءٍ علمًا؛ فمن أولى بأن يخاف ويعبد هو سبحانه، أم هي؟

ثم قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون ما أنتم عليه من إشراك من لا مشيئة له، ولا يعلم شيئًا ممن له المشيئة التامة، والعلم التام.

ثم قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام: ٨١].

وهذا من أحسن قلب الحجة، وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله، وبطلان مذهبه، فإنهم خوفوه بآلهتهم التي لم ينزل الله عليهم سلطانًا بعبادتها. وقد تبين بطلان إلهيتها، ومضرة عبادتها. ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى؟ فأي الفريقين أحق بالأمن وأولى بأن لا يلحقه الخوف؟ فريق الموحدين؟ أم فريق المشركين؟ فحكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذي لا حكم أصح منه. فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

* قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا

 [النساء].

قد بلغ نبي الله وخليله إبراهيم أعلى مقامات العبودية وهي مقام المحبة بل أعلى مقامات المحبة وهو مقام الخُلَّة،والخليل هو الذي لا يبقى في قلبه شيءٍ لغير خليله كما قال الشاعر:

قد تخلَّلت مسلكَ الروح مني وبذا سُمِّي الخليلُ خليلا

وهذا المقام أشرف مقام في توحيد الألوهية لم ينله من البشر إلَّا خليل الرحمن إبراهيم ونبينا صلوات الله وسلامه عليهما:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**لو كنتُ مُتَّخذًا من أهل الأرض خليلًا، لاتخذت ابن أبي قحافة خليلًا، ولكن صاحِبُكم خليل الله**»(١).

• وقال ﷺ: «**لو كنتُ متخذًا من أمتي خليلًا، دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخي وصاحبي**»(٢).

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**لو كنتُ متَّخِذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتَّخَذَ الله صاحبكم خليلًا**»(٣).

□ وانظر إليه وهو يعلن عداوته للأصنام، وللعقيدة الفاسدة التي تسمح بعبادتها، لم يمنعه أن أباه وأن قومه يعبدون ما يعبدون، أن يفارقهم بعقيدته، وأن يجاهر بعداوته لآلهتهم وعقيدتهم.

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ١٥٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

* قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) ﴾ [الشعراء].

الذي خلقني فهو يهدين:

«ثم يأخذ إبراهيم عليه السلام في صفة ربه. رب العالمين. وصلته به في كل حال وفي كل حين. فنحس القربى الوثيقة، والصلة الندية، والشعور بالله في كل حركة ونأمة، وفي حاجة وغاية.

* ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٢) ﴾ [الشعراء].

ونستشعر من صفة إبراهيم لربه، واسترساله في تصوير صلته به، أنه يعيش بكيانه كله مع ربه. وأنه يتطلع إليه في ثقة، ويتوجه إليه في حب؛ وأنه يصفه كأنه يراه، ويحس وقع إنعامه وإفضاله عليه بقلبه ومشاعره وجوارحه.. والنغمة الرخية في حكاية قوله في القرآن تساعد على أشاعة هذا الجو وإلقاء هذا الظل. بالإيقاع العذب الرخي اللين المديد..

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) ﴾.. الذي أنشأني من حيث يعلم ولا أعلم؛ فهو أعلم بماهيتي وتكويني. ووظائفي ومشاعري، وحالي ومآلي: ﴿ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إليه، وإلى طريقي الذي أسلكه، وإلى نهجي الذي أسير عليه. وكأنما يحس إبراهيم عليه السلام أنه عجينة طيعة في يد الصانع المبدع، يصوغها كيف شاء، على أي صورة أراد. إنه الاستسلام المطلق في طمأنينة وراحة وثقة ويقين.

﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) ﴾.. فهي

الكفالة المباشرة الحانية الراعية، الرفيقة الودود، يحس بها إبراهيم في الصحة والمرض. ويتأدب بأدب النبوة الرفيع، فلا ينسب مرضه إلى ربه – وهو يعلم أنه بمشيئة ربه يمرض ويصح- إنما يذكر ربه في مقام الإنعام والإفضال إذ يطعمه ويسقيه.. ويشفيه.. ولا يذكره في مقام الابتلاء حين يبتليه.

﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ .. فهو الإيمان بأن الله هو الذي يقضي الموت، وهو الإيمان بالبعث والنشور في استسلام ورضى عميق.

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ .. فأقصى ما يطمع فيه إبراهيم عليه السلام النبي الرسول، الذي يعرف ربه هذه المعرفة، ويشعر بربه هذا الشعور، ويحس في قرارة نفسه هذه القربى.. أقصى ما يطمع فيه أن يغفر له ربه خطيئته يوم الدين. فهو لا يبرئ نفسه، وهو يخشى أن تكون له خطيئة، وهو لا يعتمد على عمله، ولا يرى أنه يستحق بعمله شيئًا، إلَّا أنه يطمع في فضل ربه، ويرجو في رحمته، وهذا وحده هو الذي يطمعه في العفو والمغفرة.

إنه شعور التقوى، وشعور الأدب، وشعور التحرج؛ وهو الشعور الصحيح بقيمة نعمة الله وهي عظيمة عظيمة، وقيمة عمل العبد وهو ضئيل ضئيل.

وهكذا يجمع إبراهيم في صفة ربه عناصر العقيدة الصحيحة: توحيد الله رب العالمين. والإقرار بتصريفه للبشر في أدق شؤون حياتهم على الأرض. والبعث والحساب بعد الموت وفضل الله وتقصير العبد. وهي العناصر التي ينكرها قومه، وينكرها المشركون.

ثم يأخذ إبراهيم الأواه المنيب في دعاء رخي مديد، يتوجه به إلى ربه في إيمان وخشوع.

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾..

والدعاء كله ليس فيه طلب لعَرَض من أعراض هذه الأرض؛ ولا حتى صحة البدن. إنه دعاء يتجه إلى آفاق أعلى؛ تحركه مشاعر أصفى. ودعاء القلب الذي عرف الله فأصبح يحتقر ما عداه. والذي ذاق فهو يطلب المزيد؛ والذي يرجو ويخاف في حدود ما ذاق وما يريد.

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ ..أعطني الحكمة التي أعرف بها القيم الصحيحة والقيم الزائفة، فأبقى على الدرب يصلني بما هو أبقى.

﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.. يقولها إبراهيم النبي الكريم الأواه الحليم. فيا للتواضع! ويا للتحرج! ويا للإشفاق من التقصير! ويا للخوف من تقلب القلوب! ويا للحرص على مجرد اللحاق بالصالحين! بتوفيق من ربه إلى العمل الصالح الذي يلحقه بالصالحين!

﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.. دعوة تدفعه إليها الرغبة في الامتداد، لا بالنسب ولكن بالعقيدة؛ فهو يطلب إلى ربه أن يجعل له فيمن يأتون أخيرًا لسان صدق يدعوهم إلى الحق، ويردهم إلى الحنيفية السمحاء دين إبراهيم. ولعلها هي دعوته في موضع آخر: إذ يرفع قواعد البيت الحرام هو وابنه إسماعيل ثم يقول: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[البقرة] .. وقد استجاب الله له، وحقق دعوته، وجعل له لسان صدق في الآخرين، وبعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.. وكانت الاستجابة بعد آلاف من السنين. هي في عرف الناس أمد طويل، وهي عند الله أجل معلوم، تقتضي حكمته أن تتحقق الدعوة المستجابة فيه.

﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء].. وقد دعا ربه –من قبل– أن يلحقه بالصالحين، بتوفيقه إلى العمل الصالح، الذي يسلكه في صفوفهم. وجنة النعيم يرثها عباد الله الصالحون.

﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .. ذلك على الرغم مما لقيه إبراهيم عليه السلام من أبيه من غليظ القول وبالغ التهديد. ولكنه كان قد وعده أن يستغفر له، فوفى بوعده. وقد بين القرآن فيها بعد أن لا يجوز الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى؛ وقرر أن إبراهيم استغفر لأبيه بناء على مَوعدةٍ وعدها إياه ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة: ١١٤] وعرف أن القرابة ليست قرابة النسب، إنما هي قرابة العقيدة.. وهذه إحدى مقومات التربية الإسلامية الواضحة. فالرابطة الأولى هي رابطة العقيدة في الله، ولا تقوم صلة بين فردين من بني البشر إلَّا على أساسها. فإذا قطعت هذه الصلة انبتَّت سائر الوشائج؛ وكانت البعدى التي لا تبقى معها صلة ولا وشيجة.

﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.. ونستشف من قولة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

مدى شعوره بهول اليوم الآخر؛ ومدى حيائه من ربه، وخشيته من الخزي أمامه، وخوفه من تقصيره. وهو النبي الكريم. كما نستشف من قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ . مدى إدراكه لحقيقة ذلك اليوم. وإدراكه كذلك لحقيقة القيم. فليست هنالك من قيمة في يوم الحساب إلَّا قيمة الإخلاص. إخلاص القلب كله لله، وتجرده من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض. وصفائه من الشهوات والانحرافات. وخلوه من التعلق بغير الله. فهذه سلامته التي تجعل له قيمةً ووزنًا»[1] اهـ.

□ وقد وردت حلقات من قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في البقرة والأنعام، وهود، وإبراهيم، والحجر، ومريم، والأنبياء، والحج، والصافات، والنجم وبرز فيها واضحة جلية رائعة دعوته إلى التوحيد.

* في سورة مريم حلقة دعوته في رفق لأبيه إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام، وغلظة أبيه عليه، واعتزاله لأبيه وقومه، ورعاية الله لإمام الحنفاء.. وجوها كله تظلِّله الرحمة والود واللين قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

---

(١) «الظلال» (٢٦٠٣ - ٢٦٠٥).

وَٱدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم].

* وفي سورة الأنبياء تُعَرض حلقة دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه وزرايته على أصنامهم وتحطيمه للأصنام وإلقائه في النار التي كانت بردًا وسلامًا عليه بأمر الله قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء].

لقد علم الله من خليله إبراهيم عليه السلام أحوالًا بديعة وأسرارًا عجيبة، وصفات قد رضيها وحمدها حتى أهّله لمخاللته ومخالصته.

□ قال ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنبياء]: «فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظُّ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظه العكوف على الرب الجليل.

والتماثيل جمع تمثال، وهي الصور الممثلة، فتعلّق القلب بغير الله واشتغاله به والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شِرْك عُبّاد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإرادتهم على تماثيله.

فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته، بحيث يكون عاكفًا عليها، فهو نظير عكوف الأصنام عليها؛ ولهذا سمّاه النبي ﷺ عبدًا لها ودعا عليه بالتَّعْس والنكس، فقال: «**تعِس عبد الدينار، تعِس عبد الدرهم، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»[1].

خليل الرحمن إبراهيم ذو القلب السليم:

* لقد دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه أن يرزقه قلبًا سليمًا فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء].

* فرزقه الله قلبًا سليمًا وأثنى الله عليه فقال: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الصافات].

□ قال ابن القيم: «القلب السليم هو القلب الذي سلم من كل مرض يبْعدُه عن الله [2]، وسلم من كل شُبهةٍ تعارضُ خبرَه، وسَلِم من كُلِّ

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص١٩٠).

(٢) كالحقد والحسد والشح والكِبْر وحب الرياسة.

شهوة تُعارض أمرَه، ومن كُلِّ إرادة تُزاحِم مراده، ومن كل قاطعٍ يقطع عن الله»(١).

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال: «**كلُّ مخموم القلب صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقيُّ النقيُّ لا إثم فيه ولا بَغْي ولا غِلَّ ولا حسد**»(٢).

أئفكا ءالهةً دون الله تريدون؟ فما ظنكم برب العالمين؟

* قال تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات].

□ قال ابن القيم: «أي: فما ظنُّكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟ وما ظننتم به حتى عبدتم معه غيره؟ وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره؟ فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيءٍ عليم، وهو على كل شيءٍ قدير، وأنه غنيٌّ عن كل ما سواه وكلُّ ما سِواهُ فقيرٌ إليه وأنه قائم بالقسط على خلقه، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره، والعالم بتفاصيل الأمور فلا يخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده، فلا يحتاج إلى معين، والرحمن بذاته فلا يحتاج إلى رحمته إلى مَن يستعطفه. وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء؛ فإنهم يحتاجون إلى مَن يُعرِّفهم أحوال الرعيّة

---

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٩٧)، و«الصحيحة» (٩٤٨).

وحوائجهم، ويعينهم على قضاء حوائجهم، وإلى مَن يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم. فأمَّا القادر على كل شيءٍ، الغني بذاته عن كل شيءٍ، والعالم بكل شيءٍ، الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيءٍ، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تَنَقُّصٌ بحق ربوبيّته وإلهيته وتوحيده، وظنٌّ به ظن السوء، وهذا يستحيل أن يُشرِّعه لعباده، ويمتنع في العقول والفِطَر جوازه، وقبحه مستَقِرٌّ في العقول السليمة فوق كل قبيح. يوضِّحُ هذا أن العابد معظِّمٌ لمعبوده متألِّهٌ له خاضع ذليل، والرب تعالى وحده هو الذي يستحقُّ كمالَ التعظيمِ والإجلالِ والتألُّهِ والخضوع والذُّلِّ، وهذا خالصُ حقِّه، فمِن أقبح الظلم أن يُعطَى حقه لغيره، أو يشرك بينه وبينه فيه، ولا سيما إذا كان الذي جُعل شريكه هو»[1].

أعظم سَفْرةٍ لإبراهيم عليه السلام وأبركها عليه إِلقاءُ المشركين له في النار، وما أعظمَ توكُّله وتوحيده!!!

* قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [الأنعام: ٨٣].

□ قال زيد بن أسلم [2] وغيره: «بالحجة والعلم ولما غلب أعداء الله معه بالحجة وظهرت حجته عليهم، وكسر أصنامهم، فكسر حججهم، ومعبودهم، هموا بعقوبته، وإلقائه في النار، وهذا شأن المبطلين، وإذا غلبوا

---

(١) «الجواب الكافي» (ص٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٥٩)، «والدر المنثور» (٣/ ٣١٠).

وقامت عليهم الحجة هموا بالعقوبة كما قال فرعون لموسى، وقد أقام عليه الحجة ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشعراء] فأضرموا له النار وألقوه في المنجنيق فكانت تلك السفرة من أعظم سفرة سافرها وأبركها عليه، فإنه ما سافر سفرة أبرك ولا أعظم ولا أرفع شيئًا وأقر لعينه منها، وفي تلك السفرة عرض له جبرائيل بين السماء والأرض فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران] قالها نبيكم، وقالها إبراهيم حين ألقي في النار، فجعل الله سبحانه عليه النار بردًا وسلامًا»[(١)].

• وقد ثبت في «صحيح البخاري» من حديث أم شريك أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال: «كانت تنفخ على إبراهيم»[(٢)].

﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم].

«يبدو في دعوة إبراهيم الثانية تسليم إبراهيم المطلق إلى ربِّه، والتجاؤه إليه في أخصِّ مشاعر قلبه. فهو يدعوه أن يُجنِّبه عبادة الأصنام هو وبنيه، يستعينه بهذا الدعاء ويستهديه. ثم ليبرز أن هذه نعمة أخرى من نعم الله.

---

(١) رواه البخاري (٦/٤٤٨) في أحاديث الأنبياء -باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء].

(٢) «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص١٦٠).

وإنها لنعمة أن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده، فيخرج من التيه والحيرة والضلال والشرور، إلى المعرفة والطمأنينة والاستقرار والهدوء، ويخرج من الدينونة المُذِلَّة لشتَّى الأرباب، إلى الدَّينونة الكريمة العزيزة لرب العباد.. إنها لنعمة يدعو إبراهيم ربه ليحفظها عليه فيُجَنِّبه هو وبنيه أن يعبد الأصنام.

يدعو إبراهيم دعوته هذه لما شهده وعَلِمه من كثرة من ضلَّوا بهذه الأصنام من الناس في جيله وفي الأجيال التي قبله، ومن فتنوا بها ومن افتتنوا وهم خلق كثير»[١].

□ قال ابن القيم: «فها هنا أمران: تجنيب عبادتها واجتنابه، فسأل الخليل ربه أن يُجَنِّبه وبنيه عبادتها، ليحصلَ منهم اجتنابها، فالاجتناب فعلهم والتجنيب فعله، ولا سبيل إلى فعلهم إلَّا بعد فِعْلِه»[٢].

الولاء والبراء في أنقى صوره عند خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام :

* مرّ في الآيات السابقة ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.. لا آصرة إلَّا آصرة العقيدة.. العقيدة وحدها.

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾

---

(١) «الظلال» (٤/ ٢١٠٩).

(٢) «شفاء العليل» لابن القيم (ص٥٩).

إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف].

□ قال ابن القيم: «أيْ: جعل هذه المُوالاة لله والبراءة من كلِّ معبودٍ سِواه كلمةً باقيةً في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة: لا إله إلَّا الله، وهي التي ورَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة»[1].

* وقال تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىۡءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة].

هذه قصة أبي الأنبياء إبراهيم وصاحب الحنيفية الأولى، وفيه الأسوة الحسنة لا في العقيدة وحدها، بل في السيرة، وفي التجارب التي عاناها مع عاطفة القرابة ووشائجها، ثم خلص منها هو ومن آمن معه وتجرَّد لعقيدته وحدها.. وتبرأ من كل وشيجة تنافي العقيدة.

فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم. وهو الكفر بهم، والإيمان بالله، وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئًا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان.. وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمرُّ بها المؤمن في أيِّ جيل. وفي

(١) «الجواب الكافي» (ص٢٩٤، ٢٩٥).

قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين.

أما قول إبراهيم لأبيه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك. قاله وهو يرجو إيمانه ويتوقَّعه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة: ١١٤] كما جاء في سورة أخرى.

فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحقِّقة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، هؤلاء هم الذين يُدركون قيمة التجربة التي عاناها هذا الرَّهْط الكريم، ويجدون فيها أسوة تُتَّبع، وسابقة تهدي.

فأما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج، من يريد أن يحيدَ عن طريق القافلة، من يريد أن ينسلخ من هذا النسب العريق، فما بالله من حاجة إليه سبحانه فإن الله هو الغني الحميد»[1].

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**[2].

التسليم المطلق لأمر الله شعار الخليل إبراهيم عليه السلام ودثاره:

* قال الله -عز وجل- في شأن خليله إبراهيم وولده عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

هذا إبراهيم الشيخ، والمقطوع من الأهل والقرابة، المهاجر من الأرض والوطن، ها هو ذا يرزق في كبره وهرمه بغلام طالما تطلع إليه،

---

(١) انظر: «الظلال» (٦/ ٣٥٤٢، ٣٥٤٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والضياء، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٨٠)، و«صحيح الجامع» (٥٩٦٥).

فلما جاء غلامًا ممتازًا يشهد له ربه بأنه حليم، وها هو ذا ما يكاد يأنس به، وصباه يتفتح، ويبلغ معي السعي، ويرافقه في الحياة.

ها هو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يذبحه، ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية. فماذا؟ إنه لا يتردد، ولا يخالجه إلَّا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلَّا خاطر التسليم.. نعم إنها إشارة.. مجرد إشارة.. وليست وحيًا صريحًا، ولا أمرًا مباشرًا. ولكنها إشارة من ربه.. وهذا يكفي.. هذا يكفي ليلبي ويستجيب. دون أن يعترض. ودون أن يسأل ربه.. ولكنه لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب.. كلا، إنما هو القبول والرضا والطمأنينة والهدوء.. يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾، فهي كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه، وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن، الذي لا يهوله الأمر فيؤديه في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه!

والأمر شاق -ما في ذلك شك- فهو لا يطلب إليه أن يرسل بابنه الوحيد إلى معركة. ولا يطلب إليه أن يكلفه أمرًا تنتهي به حياته.. إنما يطلب إليه أن يتولى هو بيده.. يتولى ماذا؟ يتولى ذبحه وهو -مع هذا- يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض، ويطلب إليه أن يتروّى في أمره، وأن يرى فيه رأيه! إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه، وينتهي. إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر.

فالأمر في حسه هكذا، ربه يريد. فليكن ما يريد على العين والرأس [١] وابنه ينبغي أن يعرف. وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلامًا، لا قهرًا واضطرارًا، لينال هو الآخر أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر ويتذوق حلاوة التسليم!.

إنه يحب لابنه أن يتذوق لذة التطوع التي ذاقها، وأن ينال الخير الذي يراه هو أبقى من الحياة وأقنى.

فماذا يكون من أمر الغلام، الذي يعرض عليه الذبح، تصديقًا لرؤيا رآها أبوه؟ إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه:

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضا كذلك وفي يقين!! ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.. في مودة وقربى. فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده. بل لا يفقده أدبه ومودته.

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾، فهو يحس ما أحسه من قبلُ قلب أبوه. يحس أن الرؤيا إشارة.

وأن في الإشارة أمرًا. وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب.

ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال، والاستعانة بربه على ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾.

(١) بل على العينين والرأس.



ولم يأخذها بُطُولة. ولم يأخذها شجاعة. ولم يأخذها اندفاعًا إلى الخطر دون مبالاة.

ولم يظهر لشخصه ظلًّا ولا حجمًا ولا وزنًا.. إنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

يا للأدب مع الله! ويا لروعة الإيمان. ويا لنبل الطاعة، ويا لعظمة التسليم!.

ويخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام.. يخطو إلى التنفيذ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾.

ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة. وعظمة الإيمان. وطمأنينة الرضا وراء كل ما يتعارف عليه بنو الإنسان.

إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعدادًا، وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعًا. وقد وصل الأمر إلى أن يكون عيانًا.

لقد أسلما.. فهذا هو الإسلام.. هذا هو الإسلام في حقيقته.. ثقة وطاعة وطمأنينة ورضا وتسليم.. وتنفيذ.. وكلاهما لا يجد في نفسه إلَّا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم.

إنها ليست الشجاعة والجراءة. وليس الاندفاع والحماسة. لقد يندفع المجاهد في الميدان، يَقْتل ويُقْتل. ولقد يندفع الفدائي وهو يعلم أنه قد لا يعود، ولكن هذا كله شيء، والذي يصنعه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هنا شيءٌ آخر.. ليس هنا دم فائر، ولا حماسة دافعة ولا اندفاع في عجلة تخفي وراءها الخوف من الضعف والنكوص!.

إنما هو الاستسلام الواعي المتعقل القاصد المريد، العارف بما يفعل، المطمئن لما يكون. لا بل هنا الرضا الهادئ المستبشر المتذوق للطاعة وطعمها الجميل! وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أَدَّيَا، كانا قد أسلما، كانا قد حققا الأمر والتكليف.

ولم يكن باقيًا إِلَّا أن يذبح إسماعيل، ويسيل دمه، وتزهق روحه.. وهذا أمر لا يعني شيئًا في ميزان الله! بعد ما وضع إبراهيم إسماعيل في هذا الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أراده منهما ربهما..

وكان الابتلاء قد تم.. والامتحان قد وقع، ونتائجه قد ظهرت، وغاياته قد تحققت، ولم يعد إِلَّا الألم البدني، وإِلَّا الدم المسفوح. والجسد الذبيح. والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء. ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيءٍ، ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكليّاتهم فقد أدوا، وقد حققوا التكليف، وقد جاوزوا الامتحان بنجاح. وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما، فاعتبرهما قد أَدّيا وحققا.

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ (١٠٦) ﴾.

قد صدّقت الرؤيا وحققتها فعلًا، فالله لا يريد إِلَّا الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد، ولو كانت هي النفس والحياة.

وأنت يا إبراهيم قد فعلت، جُدْت بكل شيءٍ، وبأعز شيءٍ، وَجُدْت به في رضا وفي هدوء وفي طمأنينة وفي يقين، فلم يبق إِلَّا اللحم والدم، وهذا ينوب عنه ذبح، أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي

أسلمت وأدّت، يفديها بذبح عظيم، قيل: إنه كبش وجده إبراهيم مهيأً. بفعل ربه وإرادته ليذبحه بدلًا من إسماعيل!. وقيل له: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥﴾ يجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء.

عذابُــهُ فِيــكَ عــذبُ	وبُعْــدُه فِيــكَ قُــرْبُ
وأنــتَ عِنْــدي كَرُوحِــي	بَــل أنــتَ مِنْهَــا أَحَــبُّ
حَــسْبي مــن الحُــبِّ أَنِّي	لِـمَــا تُحِــبُّ أُحِــبُّ

ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء، ونجزيهم بإقدارهم وإصبارهم على الأداء. ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء!.

ومضت سنة النحر في الأضحى، ويوم النحر، ذكرى لهذا الحادث العظيم، الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة وعظمة التسليم، والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم عليه السلام، الذي يتَّبع ملته، والذي ترث نسبته وعقيدته.

ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنه الاستسلام لقدر الله في طاعة راضية واثقة ملبية، لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجلج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه، ولا تستبقي لنفسها في نفسها شيئًا، ولا تختار فيما تقدمه لربها هيئة ولا طريقة لتقديمه إلَّا كما يطلب هو إليها أن تُقدّم! ثم لتعرف أن ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء، ولا يؤذيها بالبلاء، إنما يريد أن تأتيه طائعة ملبية وافية مؤدية مستسلمة لا تقدم بين يديه، ولا تتألّى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والآلام. واحتسبها لها وفاء وأداء.

وقَبِل منها وفدّاها. وأكرمها كما أكرم أباها.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) ﴾.. فهو مذكور على توالي الأجيال والقرون، وهو أمة، وهو أبو الأنبياء، وهو أبو هذه الأمة المسلمة وهي وارثة ملته، وقد كتب الله لها وعليها قيادة البشرية على ملّة إبراهيم. فجعلها الله له عقبًا ونسبًا إلى يوم الدين.

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) ﴾ سلام عليه من ربه، سلام يسجل في كتابه الباقي، ويرقم في طوايا الوجود الكبير.

﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) ﴾ كذلك نجزيهم بالبلاء، والوفاء، والذكر، والسلام، والتكريم.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) ﴾.

وهذا جزاء الإيمان وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين.

ثم يتجلى عليه ربه بفضله مرة أخرى ونعمته؛ فَيَهَبُ له إسحاق في شيخوخته، ويباركه ويبارك إسحاق.. يبشره بيعقوب ابن ابنه في حياته وابن الابن أعز من كل شيءٍ.. لما هان عليه ابنه في ذات الله.. فعوّضه الله وجازاه من جنس عمله، وتتلاحق من بعدهما ذريتهما. ولكن وراثة هذه الذرية لهما ليست وراثة الدم والنسب.

إنما هي وراثة الملة والمنهج: فمن اتبع فهو محسن، ومن انحرف فهو ظالم، لا ينفعه نسب قريب أو بعيد ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) ﴾.

□ قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: «الخلّة: هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه، حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلًا

وهذا هو السر الذي لأجله -والله أعلم- أمر الخليل بذبح ولده، وثمرة فؤاده وفلذة كبده؛ لأنه لما سأل الولد فأعطيه، تعلقت به شعبة مِنْ قلبه. و«الخلة» منصب لا يقبل الشركة والقسمة، فغار الخليل على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبح ولده، ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وَطّنَ نفسه على ذلك، وعزم عليه عزمًا جازمًا؛ حصل مقصود الأمر، فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة، فحال بينه وبينه، وفداه بالذبح العظيم، وقيل له: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ﴾ أي: عملت عمل المصدق ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ نجزي مَنْ بادر إلى طاعتنا فنقرّ عينه كما أقررنا عينك بامتثال أوامرنا، وإبقاء الولد وسلامته ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ وهو اختبار المحبوب لمحبه، وامتحانه إياه ليؤثر مرضاته فيتم عليه نعمه، فهو بلاء محنة ومنحة عليه معًا.

وهذه الدعوة إنما دعا إليها بها خواصّ خلقه، وأهل الألباب والبصائر منهم، فما كان أحد يجيب داعيها، ولا كل عين قريرة بها، وأهلها هم الذين حصلوا في وسط قبضته اليمين يوم القبضتين. وسائر أهل اليمين في أطرافها..

فما كلُّ عينٍ بالحبيبِ قريرةٌ ... ولا كلُّ مَن نُودي يُجيبُ

ومَن لا يُجِبْ داعي هُداك فخلِّهِ ... يُجب كل من أضحى إلى الغي داعيا

وقل للعيون الرمد إياك أن تري ... سنا الشمس فاستغشي ظلام اللياليا

وسامح نفوسًا لم تهبها لحبهم ... ودعها وما اختارت ولا تكُ جافيا

وقل للذي قد غاب يكفي عقوبة ... مغيبك عن ذا الشأن لو كنت واعيا

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ... ولاءمها قطع من الليل باديا

فكن أبدًا حيث استقلت ركائب الـ ـــمحبة في ظهـر العـزائم سـاريا
وأدلـج، ولا تخـش الظـلام فإنــه سيكفيك وجه الحِبِّ في الليل هاديـا
وسُـقها بـذكراه مطايــاك إنــه سيكفي المطايا طيب ذكراه حاديا[1]

سيد الموحِّدين رسول الله ﷺ:

□ قد نال رسول الله ﷺ الذروة العليا والمكانة السامقة في توحيده لربه والدعوة إلى التوحيد، ويكفيه شرفًا وفخرًا ومكانة وضيئه أنه بلغ في توحيد الألوهية مبلغًا لا يلحقه فيه من البشر إلَّا خليل الرحمن إبراهيم، فقد كان لهما مقام «الخلَّة» أعلى درجات المحبة.

□ وقد بلغ من العبادة أعلى مكانة، وخلع الله عليه نعت العبودية — وهي الذل التام والحب التام- في أشرف المواضيع في القرآن الكريم.

* في مقام الدعوة إلى الله قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [الجن].

* ومقام الإسراء: قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء].

* ومقام إنزال الكتاب، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان].

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم.



* ومقام التحدي للكافرين. قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) ﴾ [البقرة].

* وبلغ رسول الله ﷺ من العبادات القلبية كالحب والخوف والإخلاص والرجاء والرغبة، والتوكل والصبر والحمد والشكر أعلى مقامات الكمال الإنساني، وكذا العبادات القولية والعبادات المالية والبدنية، يترجم ذلك كله قول الله ﷻ الذي يلمس أعماق القلب البشري ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾[الأنعام].

إنها تسبيحة «التوحيد» المطلق والعبودية الكاملة تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات، وتخلصها لله وحده رب العالمين.. في إسلام كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقيّة لا يعبِّدُها لله، ولا يحتجز دونه شيئًا في الضمير ولا في الواقع، وكان رسول الله ﷺ أول المسلمين.

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) ﴾ [الأنعام].

إنها تسبيحة التوحيد الرَّخِيَّة النَّدِيَّة، يتجلَّى من خلالها ذلك المشهد الرائع، مشهد الحقيقة الإيمانية كما هي في قلب رسول الله ﷺ وهو مشهدٌ لا يُعبِّر عن روعته وبهائه وكماله وعلوه إلَّا التعبير القرآني الفريد.

* إنه توحيد رسول الله ﷺ لربه في أبهى وأنقى وأنصع وألطف صور التوحيد ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) ﴾ [الأنعام].

• وفي توحيد الأسماء والصفات كان النبي ﷺ أعلم الناس بربه وأسمائه وصفاته يعلم منها ما لم يعلمه البشر، ويتعبَّد ربه بها وبآثارها كأجمل وأنقى وأطهر ما يكون التعبد **«إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية»**.

• انظر أخي إلى سيد العابدين الموحِّدين الذاكرين الخاشعين ودعائه، إذا قام من الليل يتهجد قال: **«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، لك مُلْك السموات ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مَلِك السموات والأرض [ومن فيهن]، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، [أنت ربنا وإليك المصير]، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت [وما أعلنت وما أنت أعلم به مني]، أنت المقدم وأنت المؤخر، أنت إلهي لا إله إِلَّا أنت، ولا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إِلَّا بك»**[1].

□ وكل أدعيته ﷺ فيها من الثناء على الله وأسمائه وصفاته أرق وأجمل تعبير نطق به فم.

□ ويفتح الله ﷻ عليه يوم القيامة وهو ساجد تحت العرش بمحامد ما حمد الله بها أحدٌ من البشر سوى رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري واللفظ له [ما عدا ما بين الأقواس]، ومسلم، وأبو داود، وأبو عوانة، وابن نصر، والدارمي.

□ وكانت أنفاسه مشبوبة وممزوجة بالدعوة إلى التوحيد وحماية جانبه والتحذير من الشرك أشد تحذير، ظل النبي ﷺ بمكة الأعوام الطويلة يدعو إلى التوحيد، وترسيخ العقيدة وبيان فضل التوحيد وشرفه، يربي أصحابه على العقيدة السليمة، فخرج بهذه العقيدة أنقى جيل وأطهر جيل من الصحابة الموحِّدين ما عرفت الأرض مذ دحاها الله خلقًا أطهر وأفضل منهم خلا النبيِّين والمرسلين سادوا الدنيا بالتوحيد، وتحمَّلوا مع نبيهم في نشر دعوة التوحيد أشد أنواع البلاء وهم يبثون الدعوة إلى التوحيد في شعاب مكة وفجاجها وبقاع الأرض، ولما فتح الله على رسوله ﷺ مكة كسَّر ما في البيت من أصنام، وأرسل أصحابه لهدم الأوثان في الجزيرة العربية حماية لجانب التوحيد: أرسل أصحابه لهدم اللات والعزى ومناة، وكسَّر هو هبل والأصنام والأوثان التي كانت في البيت الحرام.

□ كل حياته ﷺ.. كل حركاته وسكناته صُبغَت بالتوحيد والدعوة إليه.. والتحذير من الشرك واجتنابه وما يُقرِّب إليه وبغض المشركين والكافرين والبراءة منهم والنهي عن التشبُّهِ بهم، ومحبة المؤمنين وموالاتهم والدعاء لهم وتبشيرهم بمغفرة الله ورحمته إياهم. ومن نظر إلى كتب العقيدة يجد مصداق هذا، وأنه لو كُتبت المجلدات في علو همة الرسول ﷺ في التوحيد والدعوة إليه لما وفته حقه، فجزاه الله عنا وعن دعوة التوحيد خير ما جزى نبيًّا عن أمته ورسولًا عن البشرية.. ويكفيه شرفًا دعوته للتوحيد بين الثقلين الجن والإنس، والناس أجمعين.

□ لقد كانت دعوة التوحيد هي أُسُّ دعوة نبينا ﷺ:

فغالب آيات القرآن جاءت في تقرير عقيدة التوحيد، والدعوة إلى

خلاص العبادة والدين لله وحده لا شريك له، وتثبيت أصول الاعتقاد (الإيمان والإسلام).

وقضى رسول الله ﷺ غالب وقته -بعد النُّبُوَّة- في تقرير الاعتقاد، والدعوة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة والطاعة، وهذا هو مقتضى «لا إله إِلَّا الله محمد رسول الله». فالدعوة إلى العقيدة تأصيلًا وتصحيحًا شملت الجزء الأكبر من جهد النبي ﷺ ووقته في عهد النبوة وبيان ذلك:

- أن الرسول ﷺ قضى ثلاثًا وعشرين سنة في الدعوة إلى الله -هي عهد النبوة- منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جُلُّها كانت في الدعوة إلى تحقيق «لا إله إِلَّا الله محمد رسول الله» أيْ الدعوة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة والألوهية وحده لا شريك له، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة.

- ومنها عشر سنين في المدينة كانت مُوَزَّعة بين تشريع الأحكام وتثبيت العقيدة والحفاظ عليها وحمايتها من الشبهات، والجهاد في سبيلها، أي أن أغلبها في تقرير عقيدة التوحيد وأصول الدين، ومن ذلك مجادلة أهل الكتاب وبيان بطلان معتقداتهم المُحَرَّفة، والتصدِّي لشبهاتهم وشبهات المنافقين وصدُّ كيدهم للإسلام والمسلمين، وكل هذا في حماية العقيدة قبل كل شيءٍ.

فأي دعوة لا تُولي أمر العقيدة من الاهتمام كما أولاها رسول الله ﷺ علمًا وعَمَلًا فهي ناقصة.

- إن الرسول ﷺ إنما قاتل الناس على عقيدة التوحيد حتى يكون الدين لله وحده، على الرغم أن سائر المفاسد والشرور كانت سائدة في

ذلك الوقت، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ جعل الغاية من قتال الناس تحقيق التوحيد وأركان الإسلام فقد قال ﷺ: «**أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إِلَّا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»(١). وهذا لا يعني أن رسول الله ﷺ لم يبال بالأمور الأُخرى، من الدعوة إلى الفضائل والأخلاق الحميدة، من البِرِّ والصلة والصدق والوفاء، والأمانة، وترك ضدها من الآثام والكبائر كالرِّبا والزنا وقطيعةَ الرَّحِم، وحاشاه ذلك، لكنه جعلها في مرتبة بعد أصول الاعتقاد؛ لأنه يعلم -وهو القدوة ﷺ- أن الناس إذا استقاموا على دين الله وأخلصوا له الطاعة والعبادة حَسُنت نيَّاتهم وأعمالهم، وفعلوا الخيرات واجتنبوا المنهِيَّات في الجملة.. إذن فمدار الخير على صلاح العقيدة، فإذا صلحت استقام الناس على الحق والخير.

□ إن من أول ما نزل به القرآن وأمر الله رسوله ﷺ أن يفعله هو أن يكبِّر الله ويعظِّمه وحده، وأن ينذر الناس من الشرك، ويهجر ما هم عليه من عبادة الأصنام، ويصبر على ذلك كله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر].

---

(١) رواه البخاري -كتاب الإيمان- باب: «فإن تابوا وأقاموا الصلاة»- «فتح الباري» (١/ ٧٤/ ح٢٤)، و«صحيح مسلم» - كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله (٢/ ٥٣/ ح٢٢) إلا أن مسلمًا لم يذكر «إلا بحق الإسلام».

وقد ذكر العلماء أن القرآن: ثُلُثٌ أحكام، وثلثٌ أخبار، وثُلُثٌ توحيد[١].

وهذا ما فسَّروا به قول النبي ﷺ: «**قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**»[٢].

وآيات الأحكام لا تخلو من ذكر للعقيدة وأصول الدين وذلك من خلال ذكر أسماء الله وصفاته، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وذكر حكم التشريع ونحو ذلك، وكذلك آيات الأخبار والقصص أغلبها في الإيمان والاعتقاد، ونحو ذلك من خلال أخبار المغيبات والوعد والوعيد واليوم الآخر، وكثير من أمور التوحيد والاعتقاد.

فالقرآن الكريم غالب آياته في تقرير العقيدة، والدعوة إليها والدفاع عنها والجهاد في سبيلها.

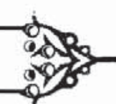
فعلى الدعاة أن يدركوا الحقيقة من القرآن والسنة، ويعملوا بها، ويفعلوا كما فعل الرسول ﷺ وأصحابه، ويبدأوا بما بدأ به الرسول وصحبه الكريم والله الهادي إلى سواء السبيل[٣].

---

(١) ممن قال بذلك ابن سريج وابن تيمية وابن حجر رحمهم الله: انظر «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به الرحمن من أن «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن» لابن تيمية، «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ١٣، ١٠١، ١٠٣) وانظر «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٩١)، ومسلم واللفظ له -كتاب صلاة المسافر- باب: فضل قراءة «قل هو الله أحد» الحديث (٨١١).

(٣) انظر: «بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص٢٨- ٣١) للدكتور ناصر عبد الكريم العقل -طبع دار العاصمة.



التمسك بالسنة وعقيدة السلف نجاة، والسير على درب أئمة السلف الحافظين للسُّنَّة الذابين عنها:

□ يقال عقيدة السلف، وعقيدة أهل الأثر، ويُطلق على عقيدة السلف «السُّنَّة» وهذا الإطلاق هو السائد في القرون الثلاثة الفاضلة.

علو الهمة في التزام منهج السلف والتمسك باعتقادهم:

هناك أسس ضخمة وثابتة للاتجاه السلفي حتى لا يلتبس الأمر على من يريد الاقتداء بهم وينسج على منوالهم.

أولاً: التوحيد هو أصل الأصول، وأصول التوحيد في المعتقد السلفي:

- الإيمان بصفات الله سبحانه وأسمائه على الوجه الذي يليق به دون تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تمثيل أو تعطيل.
- إفراد الله سبحانه وتعالى وحده بالعبادة.
- الإيمان بأن الله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحدٍ سواه حق التشريع للبشر في شؤون دنياهم كما قال جل وعلا ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ [الرعد: ٤١]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].
- نؤمن أن قضايا التوحيد الثلاثة قضايا لا تتجزأ ولا تقبل المساومة؛ لأنها أركان في فهم العقيدة السليمة.

والمنهج السلفي يأخذ هذه القضايا جملة، ويطهر قلوب المسلمين من الشرك فيها جميعًا.

ثانيًا: اتباع لا ابتداع: وتقديم النقل عن العقل:

□ قال الشافعي: «حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل

والعشائر ويضربوا بالجريد، ويُقال: هذا جزاء من ترك كتاب الله واتبع علم الكلام».

□ قال الشافعي: «إنما فسد المسلمون لما تركوا لسان الفطرة واتبعوا لسان أرسطوطاليس».

□ وقال أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة: «العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإن الرجل إذا سار رأسًا في الكلام تزندق».

□ وقال الإمام مالك: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام لجدل هؤلاء»[١].

□ قال الشافعي: «لأن يُبتَلى العبد بكل ما نهى الله عنه -ما عدا الشرك- خيرٌ له من أن ينظرَ في الكلام»[٢].

□ وقال أحمد بن حنبل: «لا يصلح صاحب كلام أبدًا، علماء الكلام زنادقة»[٣]، وقال الأوزاعي: «إذا أراد الله بقوم شرًّا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل»[٤].

□ وعن أبي يوسف: «من طلب المال بالكيمياء فقد أفلس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق»[٥].

ونُقل مثل ذلك الاعتقاد عن علي بن المديني، وأبي زرعة الرازي،

---

(١) انظر «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٩- ٣١).
(٢) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص٨٢).
(٣) المصدر السابق (ص٨٣).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للحافظ اللالكائي (١/ ١٤٥).
(٥) المصدر السابق (١/ ١٤٧).

وأبو حاتم الرازي، وإسحاق بن إبراهيم، والقاسم بن سلام، والليث بن سعد، وسفيان الثوري وغيرهم من علماء الأمة الأجلاء، وكلهم ينْهوْن عن النظر في كتب المتكلِّمين، ويأمرون بترك مجالسهم وهجرانهم»[١].

بماذا تعوّض أهل الكلام لما تركوا تقديم النقل من الكتاب والسنة على العقل:

بالله يا أرباب المعقولات، ويا أهل الذاتي والعرضي، وأهل المقولات العشر والكلِّيات الخمس!! ويا أهل المختلطات والموجهات والقضايا المسوّرات والمهملات، ويا أهل الشكل الأول والثاني والثالث والرابع وأصحاب القياس الحملي والشرطي، وأهل العقول المقدَّمَة بزعم أربابها على الوحي، بماذا تعوضتم عن الوحي؟ بزبالات أذهان اليونان.. وأقيسة ومنطق أهل الكُفْران وما ثمرة عقولكم وحاصل معقولكم إلَّا الحيرة والاضطراب:

فعلى عقولكم العفاءُ فإنَّكم ... عاديتمُ المعقول والمنقولا

وطلبتمُ أمرًا مُحالًا وهو إدراكُ ... الهُدَى لا تبتَغون رسولا

وزعمتمُ أن العقول كفيلةٌ ... بالحق أين العقل كان كفيلا

وهو الذي يقضي فينقضُ حكمَهُ ... عقلٌ ترَوْنَ كليهما معقولا

وتراه يجزم بالقضاء وبعدَ ذا ... يلقَى لديه باطِلًا معلولا

لا يستقِلُّ العقلُ دونَ هِدايةٍ ... بالوحي تأصيلًا ولا تفصيلا

كالطَّرْق دونَ النور ليسَ بمُدْرِكٍ ... حتى يراهُ بكرةً وأصيلا

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٥١) وما بعدها.

وإذا الظـلامُ تلاطمـتْ أمواجُـه — وطمعـت بالإبـصار كنـتَ مُحيلا
فـإذا النُّبُـوَّةُ لمْ يَنَلْـكَ ضـياؤها — فالعقـل لا يهـديك قـط سـبيلا
نـورُ النبـوة مثـلُ نـور الـشمس — للعـين البـصيرةِ فاتَّخِـذْه دلـيلا
طـرقُ الهـدَى محـدودةٌ إلَّا عـلى — مَـن أمَّ هـذا الـوحي والتنـزيلا
يـا طالبًـا دَرْك الهـدى بالعقـل — دون النَّقْـل لـن تلـقَ لـذاك دلـيلا
كـمْ رَامَ قبلـك ذاك مِـنْ مُتَلَـذِّذٍ — حيرانَ عاشَ مدى الزمان جهـولا
مـا زالـت الـشبهات تغـزو قلبَـه — حتـى تَـشَحَّطَ بيـنهن قتـيلا[1]

رجوع طوائف من المتكلِّمين إلى الحق:

◻ قال الفخر الرازي في وصيته التي وردت في كتاب «عيون الأنباء»: «لقد اختبرت الطرقَ الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكُلِّية لله تعالى، ويمنعُ من إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلَّا بالعلم؛ لأن العقول البشرية تتلاشى وتضمَحِلّ في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفِيّة»[2].

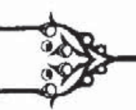
◻ وقال -رحمه الله-:

نهايـةُ إقـدام العقـولِ عِقَـالُ — وغايـةُ سَـعْي العـالمين ضـلالُ
وأرواحُنا في وحشةٍ مـن جُـسُومِنا — وحاصـلُ دنيانـا أذىً ووبـالُ

---

(١) «الصواعق المرسلَة» (٣/ ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩- ٩٨٠).

(٢) «القائد إلى تصحيح العقائد» للمعالي اليماني (ص٧٤)، و«عيون الأنباء» (٢/ ٢٦).



ولم نستفِدْ من بحثنا طولَ عمرِنا ... سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالوا

□ كذلك قال:

لقد طفتُ في تلكَ المعاهد كُلِّها ... وسَيَّرْتُ طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلَّا واضعًا كفّ حائرٍ ... على ذقن أوْ قارِعًا سن نادِمِ [(١)]

□ وقال ابن الصلاح: «أخبرني القطب الطوغاني مرَّتيْن أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: «يا ليتني لم أشتغِلْ بعِلْم الكلام وبَكَى»[(٢)].

فهذا قول كبير مُتكَلِّمي الأشاعرة بلا منازِع، والذي تدورُ على مقالاته مذاهبهم[(٣)]!.

□ وكان أبو المعالي الجويني يقول: «لقد جُلت أهلَ الإسلام جَوْلة وعلومهم، وركبتُ البحر الأعظم وغُصتُ في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق وهربًا من التقليد، والآن رجعت عن الكُلِّ إلى كلمة الحق. عليكم بدين العجائز فإن لم يُدركني الحق بلطيف بِرِّه فأموتُ على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني»، وكان يقول لأصحابه: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغُ بي ما بلغ ما تشاغلتُ به»[(٤)].

□ وعن أحمد بن سنان قال: «كان الوليد بن أبان الكرابيسي خاليًا، فلما

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» لابن الوزير (ص٨).

(٢) «مقدمة اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للرازي (ص٢٣).

(٣) «المعتزلة بين القديم والحديث» (ص٤٣) لمحمد العبده وطارق عبد الحليم- طبع دار بن حزم.

(٤) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص٨٥).

حَضَرَتْه الوفاة قال لبنيه: تعلمُون أحدًا أعلمُ بالكلام مِنِّي؟ قالوا: لا. قال: فتتَّهموني؟ قالوا: لا. قال: فإني أُوصيكمُ أتقبلونَ؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيتُ الحقَّ معهم»[١].

□ أما أبو حامد الغزالي فإنه لم يجد له مغني في الكلام، وكان ذلك مما بعثه على الرجوع في آخر عمره، فأقبل على حفظ القرآن، وسماع الصحيحيْن، فيُقال أنه مات و«صحيح البخاري» على صدره [٢]. وللغزالي كلام طيِّبٌ في قِلَّة غناء علم الكلام في كتابه «فيصل التفرقة بين الإيمان والزَّنْدقة»[٣].

□ ومن قواعد المنهج السلفي: عدم التفريق بين الكتاب والسنة.

علاةُ الهمم الأئمة الأعلام الحافظون للسُّنَّة وعقيدة النبي ﷺ:

أئمة يُشار إليهم بالبنان حَفِظ الله بهم السُّنَّة عقيدة النبي ﷺ وصحبه الكرام، وما كانوا عليه.

□ **منهم عمر بن عبد العزيز –رحمه الله-:** قال أبو المليح: «كتب عمر بن عبد العزيز بإحياء السُّنَّة وإماتةُ البدعة»[٤].

□ **ومنهم الحسن البصري:** قال: «لا يصحُّ القول إلَّا بعملٍ، ولا يصح قول وعمل إلَّا بنيَّة، ولا يصح قول وعمل ونيّة إلَّا بالسُّنَّة»[٥].

---

(١) المصدر السابق (ص٨٤).

(٢) «المعتزلة بين القديم والحديث» (ص٤٤).

(٣) «فيصل التفرقة» (ص٧٩- ٨٣).

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للحافظ اللالكائي (١/ ٥٦).

(٥) المصدر السابق (١/ ٥٧).



□ **ومنهم يونس بن عبيد:** قال: «ليس شيءٍ أغربُ من السُّنَّة وأغربُ منه من يعرفُها»[١].

□ **ومنهم أيوب السختياني سيد شباب أهل البصرة،** كما سمَّاه الحسن البصري. قال حمّاد بن زيد: «كان أيوب عندي أفضل من جالَسْتُه وأشدَّه اتباعًا للسُّنَّة»[٢].

□ **ومنهم سفيان الثوري:** قال عبد الرحمن بن مهدي شيخ الإمام إحمد ابن حنبل: «الناس على وجوه: فمنهم من هو إمام في السُّنَّة إمامٌ في الحديث. ومنهم من هو إمامٌ في الحديث، فأمَّا مَن هو إمام في السُّنَّة وإمام في الحديث فسفيان الثوري»[٣].

تنبيه هام:

هذا أبلغ قول في أن المراد بالسُّنَّة هنا الاعتقاد وليس الحديث.

□ قال يوسف بن أسباط: «كان أبي قَدَرِيًّا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان»[٤].

□ وكان الثوري يتشيَّع فخرج سفيان إلى البصرة فلقى أيوب وابن عون فترك التشيع[٥].

ثم صار الثوري إمامًا عظيمًا في السُّنَّة والحديث.

---

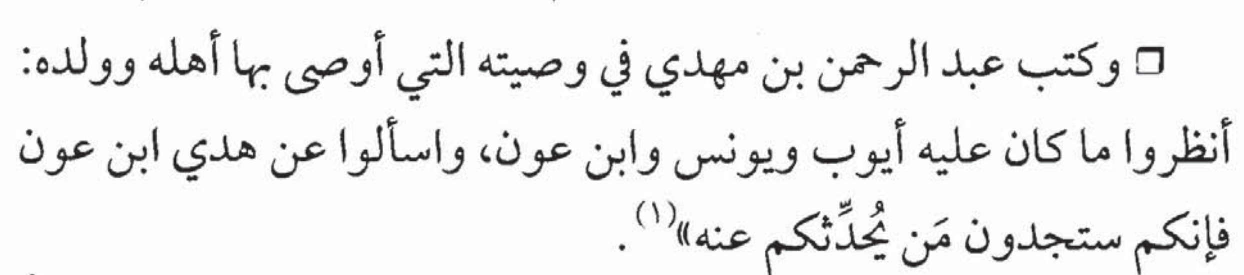
(١) المصدر السابق (١/ ٥٨).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٥٨).

(٣) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١١٨) لابن أبي حاتم الرازي، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ٦٣).

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٦٠)

(٥) المصدر السابق (١/ ٦٣).



□ وكتب عبد الرحمن بن مهدي في وصيته التي أوصى بها أهله وولده: أنظروا ما كان عليه أيوب ويونس وابن عون، واسألوا عن هدي ابن عون فإنكم ستجدون مَن يُحدِّثكم عنه»[١].

□ ومنهم حماد بن زيد: قال عبد الرحمن بن مهدي: «لم أرَ أحدًا قطُّ أعلمُ بالسُّنَّة ولا بالحديث الذي يدخل في السُّنَّة من حمّاد بن زيد»[٢].

أعلام أهل السُّنة بالأمصار:

□ قال عبد الرحمن بن مهدي: «ابن عون في البصريين إذا رأيت الرجل يحبُّه فاطمأن إليه، وفي الكُوفيين: مالك بن مغول. وزايدة بن قدامة إذا رأيت كوفيًا يحبه فارج خيره، ومن أهل الشام: الأوزاعي وأبو إسحاق الفزاري، ومن أهل الحجاز مالك بن أنس»[٣].

□ وقال عبد الرحمن بن مهدي: «أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة ومالك بالحجاز والأوزاعي بالشام وحماد بن زيد بالبصرة»[٤].

□ وقال عبد الرحمن بن مهدي: «لم ارَ أعرف بالسُّنَّة وما يدخل فيها من حَمَّاد بن زيد، ولم أرَ أحدًا أوصف لها من شهاب بن خراش، وكان سفيان ينصت له إذا تكلَّم ولم أر أحدًا أبلغ من ابن المبارك»[٥].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦٢)، ومقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١٧٧).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٦٢).

(٤) «مقدمة الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٣١، ١١٨، ١٧٧).

(٥) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٦٣).

□ **ومنهم الإمام الأوزاعي:** قال عنه عبد الرحمن بن مهدي: ما كانَ أحدٌ أعلمُ بالسُّنَّة من الأوزاعي»[١].

□ قال الأوزاعي: «ندور مع السُّنَّة حيث دارت»[٢].

□ **ومنهم: أبو إسحاق الفزاري:** قال عطاء الخفاف: كنتُ عند الأوزاعي وأراد أن يكتبَ إلى أبي إسحاق، فقال للكاتب: اكتب وابدأ به، فإنه والله خيرٌ مني.

قال الفضيل بن عياض: لربما اشتقتُ إلى المَصِّيصَة ما بي فضل الرِّبَاط إلَّا أرى أبا إسحاق»[٣].

□ **ومنهم أبو بكر بن عياش:** قال ابن المبارك: «ما رأيت أحدًا أشرح للسُّنَّة من أبي بكر بن عياش».

قال أبو بكر بن عياش: «السُّنَّة في الإسلام أعزُّ من الإسلام في سائر الأديان»[٤].

□ ومنهم ياقوتة العلماء المعافي بن عمران: قال أحمد بن عبد الله بن يونس: امتُحِن أهل الموصل بمعافي بن عمران، فإن أحبُّوه فهم أهل السُّنَّة، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة، كما يُمتَحن أهل الكوفة بيحيى»[٥].

□ **ومنهم يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل،**

---

(١) «مقدمة الجرح والتعديل» (١/ ١٨٤)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٦٤).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٦٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ٦٥).

(٤) المصدر السابق (١/ ٦٦).

(٥) المصدر السابق (١/ ٦٦).

وإسحاق بن راهوية: قال قتيبة: إذا رأيت الرجل يُحِبُّ أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن محمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية -وذكر قومًا آخرين- فإنه على السنّة ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع»[١].

□ ومنهم: شيخ الإسلام سفيان بن عيينة، والإمام سعيد بن جُبَيْر، وشيخ الإسلام عبد الله بن المبارك، وابن أبي ذئب، وفقهاء المدينة السبعة، وشيخ الإسلام البخاري، والإمام أبو حاتم الرازي.

وقد ساق اللالكائي أسماء من وُسِم بالإمامة في السُّنَّة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، في «باب» من كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[٢].

□ قال اللالكائي: «أما بعد فإن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين وما كلّف الله به عباده من فَهْم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتَوَصُّل إلى طُرُقِها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين. وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار المتقين. ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون. ثم التمسُّك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين. ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المُضِلُّون»[٣].

□ ثم قال: «ثم إنه لم يزل في كل عصر من الأعصار إمامٌ من سلفٍ أو

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦٧).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٢٩- ٤٩).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٩).

عالمٌ مِن خلف قايمٌ لله بحقِّه وناصحٌ لدينه فيها يصرف هِمَّتَه إلى جمع «اعتقاد أهل الحديث» على سَنَن كتاب الله ورسوله وآثار صحابته، ويجتهد في تصنيفه ويُتعِب نفسَه في تهذيبه رغبةً منه في إحياء سنته وتجديد شريعته وتطرية ذكرهما على أسماع المتمسِّكين بهما من أهل ملَّته أوْ لزجر غالٍ أو مستغرِقٍ يدعو إلى ضلالته أو مفتتنٌ بجهالته لِقلةِ بصيرته»[١].

إمام أهل السُّنَّة وشيخ الإسلام حقًّا أحمد بن حنبل في مواجهة أهل البدع المعتزلة في محنة «خلق القرآن»:

□ قال علي بن المديني: «إن الله أعزّ الإسلام برجلَيْن لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة، بل إن أبا بكر كان له أعوان ولم يكن للإمام أحمد أعوان».

ولإمام أهل السنة كتاب فريد هو كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية، دافع فيه الإمام عن المنهج السلفي وعقيدة السلف، وأتى بالكلمات المضيئة في نصر عقيدة السلف في الأسماء والصفات، والرؤية، ورد فيه الإمام على المُشَكِّكِين في القرآن.

□ قال الإمام: «وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى الله ويُحجبون عن الله؛ لأن الله قال للكُفّار ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين]، فإذا كان الكافر يُحجَب عن الله، والمؤمن يُحجَب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر؟ والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعَلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع والحمد لله وحده»[٢].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٦).

(٢) كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» للإمام أحمد بن حنبل، وانظر: «الصفات =

محنة خلق القرآن:

«إذا ذُكِرت «المحنة» في التاريخ الإسلامي، فإن أول ما ينصرف ذهن المسلم إلى المحنة التي تعرَّض لها علماء أهل السُّنَّة في بداية القرن الثالث الهجري، وفي عهد الخليفة العباسي المأمون، وينصرف بالتحديد إلى الإمام أحمد بن حنبل كعلم بارز من أعلام أهل السنة، الذين ثبتوا في المحنة عندما أرادت الدولة فرْض رأيها بالقوة.

كانت المحنة تدور حول قضيّة مركزية قوية تتعلّق بالعقيدة التي تبنَّاها الخليفة المأمون وأخذها عن المعتزلة الذين أخذوها عن الجهمية؛ وهي قولهم أن القرآن مخلوق، وأصل هذا القول أن فرقة الجهمية تُعطِّل صفات الله وتنفيها وهذا يعني نفي صفة الكلام، ونفْي أنه سبحانه ما زال متكلِّمًا حين يشاء، وجاء المعتزلة متأثِّرين أو مرتكسين تجاه المناقشات مع النصارى والملل الأخرى فقالوا: إن إثبات صفات الله يعني تعدُّد الآلهة!! وإذا قُلنا: إن الكلام قديم، فهذا مثل ما يقول النصارى: إن كلمة الله غير مخلوقة وهي قديمة، وبما أن عيسى عليه السلام كلمة الله فهو قديم، إذن هو إله، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا، فالنصارى وقعوا في الغُلُوِّ والشرك والمتشابهات، وجاءت المعتزلة ووقعوا في المتشابهات وردود الفعل عندما ظنُّوا أنهم يدافعون عن عقيدة التوحيد أمام النصارى والملل الأُخرى، وكان الإمام أحمد -رحمه الله- يقول لهم: إنما كان عيسى عليه السلام بكلمة «كن» ليس هو الكلمة.

وطال أمدُ المحنة زمن المأمون والمعتصم والواثق لتشمل أكثر علماء

الإلهية في الكتاب والسنة» (ص١٠٤) لمحمد بن أمان الجامي- الطبعة الثانية.

السُّنَّة، بل كل مسؤول في الدولة ووصلت إلى أسرى المسلمين، فكان الأسيرُ يُسأل عن خَلْق القرآن فإنْ أجاب افتُدِي وإلَّا فلا!!

المأمون والقول بخلْق القرآن:

جاء في أحداث ٢١٢هـ: «وفيها أظهر المأمون القول بخلْق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ[١]، وكان المأمون يتخوَّف مِن إظهار هذه البدعة، قال ابن الجوزي: وكان يتردَّد ويراقب بقايا الشيوخ، ثم قوي عزمه وامتحن الناس[٢]، وروى قاضي المأمون يحيى بن أكثم أن المأمون قال له: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرتُ أن القرآن مخلوق»[٣].

وقد هَمَّ المأمون أيضًا أن ينادي في الناس ببراءة الذمة مِمَّن ترحَّم على معاوية أوْ ذكرَه بخير[٤] وكان الذي ثناه عن هذا العمل القاضي يحيى بن أكثم وقال له: بأن العامة لا تحتمل هذا، وهو الذي ثناه أيضًا عن أباحة متعة النساء، وذكر له حديث علي رضي الله عنه في تحريمها، فتراجع المأمون وأمر بتحريمها، ولهذا قال أبو إسحاق الأزدي القاضي وقد ذكر يحيى بن أكثم: «كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله»[٥].

هذه هي بدايات نضوج الفكرة عند المأمون، وكان المأمون قارِئًا لعلوم

---

(١) «تاريخ الطبري» (٨/ ٦١٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٨٦).
(٢) «السير» (١١/ ٢٣٧).
(٣) المصدر السابق (١١/ ٢٣٧).
(٤) «السير» (١٠/ ٢٨١).
(٥) «وفيَّات الأعيان» لابن خلّكان (٦/ ١٥١).

الأوائل «الفلسفة» وأمر بتعريب كتبهم»[(١)].

«ابتُلِيَ المأمون ببدعتين لم يُبتَل أحدٌ مِن أجداده بهما وهما: التشيُّع والاعتزال، فقد هَمَّ بِسَبِّ معاوية على المنابر فمنعه القاضي يحيى بن أكثم، وبايع لعلي الرضا وحضر البيعة بعض رؤساء المعتزلة، وهو معجب بشخصيات المعتزلة[(٢)]، وكان من ندمائه ثمامة بن أشرس، قال له مرَّة: «يا ثمامة قد علمت ما كنا دبَّرناه في معاوية، وقد عارضنا رأي أصلح في تدبير المملكة»[(٣)]، وكان المأمون معجَبًا بالعلَّاف وأحمد بن أبي دؤاد وبشر المريسي الذي أكثر القول في مسألة «خلْق القرآن»[(٤)].

بطانة السوء حول المأمون من كبار المبتدعة المعتزلة:

□ ومن بطانة السوء حول المأمون ومُحَرِّضي الفتنة من المعتزلة والجهمية بشر المريسي، وثمامة بن أشرس النميري البصري، وأحمد بن أبي دؤاد، وبرغوث.

ومن المداهنين للدولة المحرِّضين على أهل السُّنَّة الجاحظ.

«أما بشر المريسي فهو الذي جرَّد القول بخَلْق القرآن وكان مُرجئًا، أبوه يهودي يعمل صبَّاغًا في الكُوفة، وكان يقول: السجود للشمس والقمر ليس بكُفر، ولكنه علامة الكفر»[(٥)].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٧٣).
(٢) «محنة الإمامين أحمد بن حنبل وأحمد بن تيمية» للدكتور محمد العبدة (ص٤٩)- طبع دار الصفوة.
(٣) «الأخبار الموفقيات» (ص٤١) للزبير بن بكار.
(٤) ».
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٧٧).

□ قال المروذي: «سمعت أبا عبد الله -الإمام أحمد- وذكر المريسي فقال: كان أبوه يهوديًّا، أيُّ شيءٍ تراه يكون»(١).

□ وقال أبو يوسف القاضي لبشر: «يا بشر، إمَّا أن تتوب أو تُفسِد علينا خشبة».

□ وكان ثمامة بن أشرس النميري البصري خصيصًا بالمأمون، يستشيره في المسائل السياسية، وكان ظريفًا نديمًا صاحب مُلَح، فهو يستخدم الهزل للوصول إلى قلب المأمون»(٢).

□ وأمَّا أحمد بن أبي دؤاد فهو الذي أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن، وهو الذي كان يقول للمعتصم بشأن الإمام أحمد: «ليس من التدبير تخليته هكذا يا أمير المؤمنين، هذا يناوئ خليفتيْن، هذا هلاك العامة»(٣).

□ وكان «برغوث» من الجهمية يقول للمعتصم: «يا أمير المؤمنين كافر حلال الدم، اضرب عنقه يعني الإمام أحمد»(٤).

□ والجاحظ يستخدم الأدب للترويج لعقائد المعتزلة، وكان يتوسَّل لإرضاء العباسيِّين بالسباب الدائم للعامَّة ومعاوية.

ويقول عن عام الجماعة (٤٠هـ): «بل كان عام فُرْقة وقهر وجبرية»(٥).

---

(١) «السير» (١٠/ ١٩٩).

(٢) «محنة الإمامين أحمد بن حنبل وأحمد بن تيمية» (ص٥٢).

(٣) المصدر السابق (ص٥٢- ٥٣).

(٤) المصدر السابق (٥٣).

(٥) المصدر السابق (٥٣).

ويقول عن معاوية رضي الله عنه: «وقد أربت عليهم «معاصري معاوية» نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا، فقالت: لا تسبُّوه فإن له صحبة..»[١].

□ ولابتداع المأمون واعتزاله كان حانقًا على علماء أهل السنة والجماعة، ويحاول أن يحطَّ من مكانتهم فيقول عنهم أنهم: «أهل السَّمْت الكاذب والتخشُّع لغير الله».

وفي رسالة له إلى واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي يوجه اتهاماته للعلماء: «فأمَّا ما قال المغرور بشر بن الوليد فقد كذب وكفر..»، وأما الذيَّال بن الهيثم فاتَّهمه بسرقة أموال الأنبار، «وأما المعروف بأبي نصر التَّمار، فإن أمير المؤمنين شبَّه خساسة عقله بخسارة متجره» «وأما محمد بن حاتم وابن نوح فأعلمهم أنهم مشاغيل بأكل الرِّبا..» وهكذا يمضي المأمون في اتهامهم فردًا فردًا، فيعمد للتشهير بعلماء أهل السنة بين العامة؛ لأنهم تيار سني مخالف للتشيع والاعتزال[٢].

بداية المحنة:

في سنة ٢١٨هـ حين كتب المأمون وهو في الرِّقة من بلاد الشام إلى واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي: «.. وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا رويّة أهل جهالة بالله!! وعمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده!!؛ وذلك أنهم ساوَوْا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن وأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه ويُحْدِثه ويخترعه وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا

---

(١) «رسالة في النابتة» (٢/ ١٠)، و«محنة الإمامين» (ص٥٣).

(٢) انظر: «محنة الإمامين» (ص٥٠).

جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ ﴾ [الزخرف: ١] فكل ما جعله فقد خلقه، ثم هم الذين جادلوا بالباطل، ونسبوا أنفسهم إلى السُّنَّة ثم أظهروا أنهم أهل الحق والدين والجماعة فاستطالوا بذلك على الناس، وغرُّوا به الجُهَّال، حتى مال قومٌ من أهل السَّمْت الكاذب والتخشُّعِ لغير الله إلى موافقتهم، فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأُمَّة، وأحقُّ من يُتَّهمُ في صدقة ولا يوثق بعلمه، فاجمع مَن بحضْرتِك من القضاة واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، وابدأ بامتحانهم عمَّا يعتقدون في خلق القرآن، وأَعْلِمْهُم أني غيرُ مستعين بمن لا يُوثَقُ بدينه..»[1].

ولم يكتف المأمون برسالته الأولى بل شفعها برسالة ثانية وفيها يطلب من إسحاق بن إبراهيم أن يشخص إليه علماء سمّاهم. فأُشخِصوا إليه وامتحنهم فأجابوا بأن القرآن مخلوق خوفًا من السيف ويرسل برسالة ثالثة، وكأنه في عجلة من أمره يريد أن يُفضِيَ بكُلِّ ما في جعبته، ويحمل الناس على عقيدته المبتدعة فيقول عن مخالفيه من أهل السنة: «وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله، وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن الثلم في دينهم، وسهَّلوا السبيل لعدو الإسلام»[2].

بعد هذا الكتاب أحضر إسحاق بن إبراهيم جماعة من الفقهاء والقضاة والمحدِّثين منهم: أبو حسان الزيادي، وبشر بن الوليد القاضي، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والذيّال بن الهيثم، وسجادة

---

(١) «تاريخ الطبري» (٨/ ٦٣١).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٦٣٥).

والقواريري، وأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح.. وغيرهم، فقرأ عليهم كتاب المأمون مرَّتيْن، فتلكَّأ بعضهم، وأجاب بعضهم صراحة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ثم أعاد عليهم الامتحان مرّة ثانية فأجاب القوم إلَّا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فشُدَّا في القيود، وأُرسِلا إلى طرسوس، فلما بلغا الرَّقة تلقَّاهم خبر وفاة المأمون حيث تُوفِّي في قرية من قرى الثغور مع الروم، ودُفِنَ في طرسوس [١]، فرُدُّوا إلى بغداد، وتُوفِّي محمد بن نوح في الطريق، وأُدخِل الإمام أحمد في حبس والعامة استمرّت المحنة زمن المعتصم محمد ابن هارون الرشيد، بل زادت وتأجَّجت، وحمل أحمد بن حنبل إلى دار المعتصم، فناظروه وكلَّمُوه وهو يردُّ عليهم، وكأنَّ المعتصم يريد أي إقرار منه ليُطلِقَهُ، ولكن أحمد بن أبي دؤاد القاضي والشخصية الأولى عند المعتصم كان يؤزّه على متابعة المحنة، وحتى لا يُقال إنَّ عالمًا غلب الدولة، ويقول للمعتصم عن أحمد بن حنبل: هو والله ضالٌّ مبتدع، وضُرِب الإمام ضربًا شديدًا حتى أُغمي عليه مرّات، وأحد المنافقين من حاشية المعتصم (ابن سماعة) يقول: «يا أمير المؤمنين اضرب عنقه ودمه في رقبتي»، فقال ابن أبي دؤاد: لا تفعلْ فإن قُتِل في دارك قال الناس: صَبر حتى قُتِل فاتَّخذوه إمامًا»[٢].

ومكث الإمام أحمد في السجن وهو الشيخ الطاعن في السِّنِّ ثمانية وعشرين شهرًا، ثم خُلِّيَ عنه ورجع إلى الحديث والإفتاء وحضور الجمعية والجماعة، حتى مات المعتصم وتولَّى الواثق، فأمر بأن لا يجتمع عند أحمد

---

(١) بلدة شمال أنطاكيه، أي ضمن حدود تركيا الآن.

(٢) «تاريخ الطبري».



أحدٌ، ولا يساكنه في بلده فاختفى الإمام حتى هلك الواثق، وانتهت المحنة بمجيء المتوكِّل الذي أعادَ لأهل السُّنَّة اعتبارهم.

يا سبحان الله أحمد بن أبي دؤاد يناظر الإمام أحمد فيُفحمه الإمام، فيحرِّض عليه المعتصم، ويُضرب الإمامُ ثمانين سوطًا..!! لولا سياط على ظهر ابن حنبل الشيخ الطاعن في السن ما صارَ «إمام أهل السنة».

نصرُ أهل السُّنَّة على يد المتوكِّل:

لما تولَّى المتوكِّل الخلافة عام ٢٣٢هـ أظهر الانتصار للسنة فأمر «بالمنع من الكلام في مسألة الكلام، والكفِّ عن القول بخلْق القرآن، وأنّ من تعلَّم عِلْم الكلام لو تكلَّم فيه فالمطبقُ مأواه إلى أن يموت. وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلَّا بالكتاب والسُّنَّة لا غير»[١]، كما أمر بإكرام الإمام أحمد ابن حنبل إكرامًا عظيمًا [٢]، وقتل محمد بن عبد الملك الزيَّات الذي سعَى في قتل أحمد بن نصر ومحنة الإمام أحمد، وأمر بدفن جثمان أحمد بن نصر – الذي كان ما زال مُعَلَّقًا مصلوبًا منذ قتله الواثق.

وهكذا انتهت تلك السنوات التي استطال فيها المعتزلة وسيطروا على السلطة، وحاولوا فرض عقائدهم بالقوة والإرهاب خلال أربعة عشر عامًا كاملة»[٣].

□ لله در أحمد بن حنبل من إمام كتب الله على يديْه نصر أهل السنة،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣١٣).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٣٣٨).

(٣) «المعتزلة بين القديم والحديث» (ص١٢٥) لمحمد العبده وطارق عبد الحليم- دار ابن حزم.

وقمع أهل الكلام الذين قال فيهم الإمام أحمد: «لا تُجالسوا أهل الكلام وإن ذبُّوا عن السُّنَّة»[(١)].

✍ فليس الأمر النتائج فقط، بل الوسائل معتبرة والسَّنن. فلله ما أحلاه من منهجٍ قويم.. ليست العبرة بالنتائج.. بل الطرق المؤدية إلى هذه النتائج أيضًا.

دفاع البخاري عن عقيدة السلف:

✍ ألف أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري كتابه القيِّم «خَلْق أفعال العباد» تحدَّث فيه عن القرآن الكريم، وردّ فيه ما زعمت المعتزلة من أن القرآن مخلوق بأسلوب يُشبه جدًّا أسلوب شيخه أحمد بن حنبل في ردِّه على الزنادقة والجهميَّة.

▫ وقد قال البخاري في هذا الكتاب: «نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضلّ في كفرهم منهم، وإني لأسْتَجْهِلُ من لا يكفِّرهم إلَّا مَنْ لا يَعْرِفُ كفرهم».

دفاع الإمام الدارمي عن عقيدة السلف وردُّه على الجهمية والمعتزلة:

الإمام عثمان بن سعيد الدارمي الفقيه المحدث المعروف، أخذ الحديث عن يحيى بن معين وعلي بن المديني ألّف الدارمي كتابًا في «الرد على الجهمية» وصفه بعض أهل العلم بأنه من أقوى ما كُتب في هذا الباب أسلوبًا ومِن أمتنها حُجَّة. ويكفي فخرًا لهذا الإمام أن الإمام ابن تيمية كان يوصي بقراءة كتابَيْن من كتبه، وهما: «كتاب الرد على الجهمية»

---

(١) «الصفات الإلهية» لمحمد بن أمان الجامي (ص١٠١).

وكتاب النقض على بشر المريسي»، ويصفهما بأنهما مِن أجلِّ الكتب المصنَّفة في السُّنَّة، وأنفعها لكل طالب سُنَّة مراده الوقوف على ما يكون عليه الصحابة والتابعون. كما أثنى عليهما الإمام ابن القيم بمثل ثناء شيخه ابن تيمية، وفي الكتابيْن المذكورَيْن تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنَّقل ما ليس في غيرهما»[١].

□ وفي رده على بشر المريسي: «كان منهج الدارمي في عرض الصفات وسَوْقِها منهجًا سلفيًّا واضحًا، إذْ يُفصِّل في الإثبات مع الإجمال في النفي على طريقة القرآن الكريم فمثلًا يقول: «يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويغضب، ويُحِبُّ، ويبغض ويكره، ويضحك، ويأمر وينهى، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير، والكلام المبين، واليَديْن.. إلخ» ثم قال -بعد أن ساق مجموعة من الصفات-: «فبهذا الرب نُؤمنُ، وإياه نعبدُ، وله نصلي ونسجدُ، فمن قصد بعبادته إلى إلهٍ بخلاف هذه الصِّفات، فإنما يعبدُ غير الله، وليس معبوده بإله (كفرانه لا غفرانه)»[٢].

نَصْرُ شيخ الإسلام ابن تيمية لمذهب السلف واعتقادهم:

□ قال الشيخ عماد الدين الواسطي عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الله قد رَحَم هذه الأمة بإقامة رجلٍ قويِّ الهمّة، ضعيف التركيب، قد فرَّق نفسَه وهمَّه في مصالح العالَمِ وإصلاح فسادهم، والقيام بمهمَّاتهم، وحوائجهم، ضمن ما هو قائم بصدِّ البدع والضلالات وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم ويردُّهم إلى الدين الأوَّلِ العتيقِ

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم (ص١١٠).

(٢) «الرد على المريسي ضمن عقائد السلف» (ص٤٧) تحقيق نشار وعمار.

جَهْد إمكانه»[١].

برز ابن تيمية نجمًا في سماء عقيدة السلف داعيًا إلى تصحيح العقيدة، ومحاربة البدع وأنواع الشرك المنتشرة في عوام المسلمين، ونقدَ عِلْم الكلام وبيَّن عوارَه، وكشف عن شطحات المتصوِّفة، وإلحاد وحدة الوجود، ودعا إلى التحاكم إلى الكتاب والسُّنَّة وتعظيم هدْي الرسول ﷺ، وألَّا يقدَّم قولُ أحدٍ على سُنَّتِه.

□ وقد امتُحِن الشيخ بسبب دعوته الصريحة والقويّة، فأُوذِيَ حتى سُجِن بقلعة القاهرة والإسكندرية، وقلعة دمشق مرتيْن، وأخيرًا تُوُفِّي بها في ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمئة (٧٢٨هـ).

□ كان ابن تيمية شديدًا في نقض الفلاسفة، وقد بدّد أوهامهم، وحاربهم، وسفَّه آراءهم وكانوا يخضعون لأرسطو وأفلاطون، ويقولون بقِدم العالم.

□ وحارب متصوِّفة متأثِّرة بالفلاسفة أو هم أبناؤهم بل هُم هُم.. كابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني، والصدر القونوي.

□ وحارب جهمية جزئية يعطِّلون صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة، وإليهم وجَّه جل اهتمامه.

□ وردّ على الأشاعرة الذين كانوا يزعمون التوفيق بين المعتزلة، وبين منهج السلف، ولكنهم لم يفلحوا.

□ وردّ على دجل الشيعة الرافضة وردّ على دجاجلتهم في كتابه القيم

---

(١) «العقود الدُرِيَّة» (ص٣١٩).

«منهاج السُّنَّة النبوية» وبيّن عوارهم وكذبهم وأنهم أخبث الطوائف المنسبة إلى الإسلام.

◻ وردَّ على الباطنية، وحارب التتار تحت راية الخلافة.

◻ ورفض -رحمه الله- التأويل والمصطلحات الكلامية والفلسفية ومحاولة إخضاعها للمعاني التي جاء بها الكتاب والسنة، ودعا شيخ الإسلام دائمًا إلى التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات إسلامية بدلًا من تلك الألفاظ المحدَثة، والتي فيها إجمال واشتباه محيِّر.

◻ ونقض المنطق وهدمه واستبعده.

◻ قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ت ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م): «ما زلنا نلمحُ وراء كلِّ داجية في تاريخ الإسلام نجمًا مشرقًا يشرق، ونسمعُ بعد كل خفتةٍ فيه صوتًا يُشرق، من عالمٍ يعيش شاهدًا ويموت شهيدًا، ويترك بعدَه ما تتركه الشمس من شفقٍ يهدي السارين المدلجين إلى حين..

وما علمنا فيمن قرأنا أخبارهم، وتقفَّينا آثارهم من علماء الإسلام، مثلًا شرودًا في شجاعة النِّزال بعد الحافظ الربيع بن سالم، عالم الأندلس.. ولا علمنا فيهم مثالًا في شجاعة الرأي العام أكمل من الإمام أحمد بن تيمية.. فقد شنَّها حربًا شعواء على البدع والضلالات أقوى ما كانت رُسوخًا وشموخًا، وأكثر أتباعًا وشيوخًا يُظاهرها الولاة القاسطون، ويؤازرها العلماء المتساهلون المتأوِّلون»[1].

◻ يقول الأستاذ المودودي مرجِّحًا كفَّة شيخ الإسلام ابن تيمية في

---

(١) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٤/ ١١٣) جمعها الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي- طبعة بيروت سنة ١٩٩٧م.

تجديده على كَفَّه حجة الإسلام الغزالي فكتب يقول:

«لقد تخلّلت عمل الغزالي التجديدي -مع عظمته التي أكسبته صفة «حُجَّة الإسلام»- نقائصُ من الجهة العلمية والفكرية «تقسم على ثلاثة أنواع:

نوع منها: كان مأتاه ضعف الإمام في علم الحديث.

والنوع الثاني: كان منشؤه استيلاء العلوم العقلية على ذِهْنِه.

والنوع الثالث: وقَع في أعماله لميلانه المتطرِّف إلى التصوّف.

ثم تكلم عن مشروع ابن تيمية لتجديد الدين وأحيائه، فرآه: «قد وُفِّق في توسيع دائرة العمل الذي تركه الإمام الغزالي بوجه أحسن وأتم.. فهو **أولًا**: انتقد المنطق والفلسفة اليونانية انتقادًا أشدَّ وأدقَّ مما فعله الإمام الغزالي.

ثانيًا: أقام من الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام وأحكامه وقوانينه ما كان يفوق أدلة الإمام الغزالي سوغانًا في العقل، وأحوى منها لروح الإسلام.

وثالثًا: لم يجتزئ برفع النكير على التقليد الجامد فحسب، بل ضَرَب المثل بمزاولة الاجتهاد على طريقة المجتهدين من القرون الأولى.

رابعًا: جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادًا قويًّا عنيفًا، ولاقى في سبيل ذلك أعظم المصائب. ومضافًا إلى هذا العمل التجديدي، جاهد بالسيف همجيَّة التتار ووحشيتهم»[1].

---

(١) «موجز تاريخ إحياء الدين وتجديده» لأبي الأعلىٰ المودودي (ص٧٣، ٧٦ - ٧٩) ترجمة: محمد كاظم سباق- طبعة بيروت. انظر مقدمة ابن تيمية =

✍ رحم الله ابن تيمية الذي هزّ النفوس الجامدة، وحرَّك العقول الراكدة، وترك دويًّا ملأ سمع الزمان، وسيكون له شأن أي شان».

▫ كان -رحمه الله- كأنه منذر جيش، وقد سأله أحد تلامذته أن يؤلف في الفقه، فقال: «الفقه أمره يسير، ولكن لما رأيت اضطراب الناس في العقيدة، أحببت توضيح منهج السلف في ذلك»[(١)].

✍ وقد أحسن وأجاد وأفاد فجزاه الله عن عقيدة السلف أحسن الجزاء.

عود على بدء نختم بذِكْر فضائل لـ «لا إله إلا الله» لم نذكرها من قبل[(٢)] اقتطفناها من بستان شيخنا المقدم وأزاهيره:

مثلما بدأنا بفضل التوحيد ولا إله إلَّا الله نختم فصلنا ببعض الفضائل التي لم يرد ذكرها في البداية.

ومن هذه الفضائل:

أن الله تبارك وتعالى أمرنا بطاعات كثيرة أمرنا بالصلاة وبالصيام وبالحج وبالزكاة إلى آخر هذه الطاعات، ويستحيل أن يوافقك الله تبارك وتعالى في شيءٍ من هذه الطاعات، أنت تصلي لكن الله مستحيل أن يفعل ذلك، أنت تصوم تزكي تحج لكن الله؛ لأنه هو المعبود الغني عن عباده

والآخر لعائض بن سعد الدوسري- تقديم د. محمد عمارة (ص٢٢- ٢٨)- مكتبة الإمام البخاري.

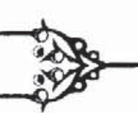
(١) «محنة الإمامين» (ص٥٨- ٥٩).

(٢) هذه الفضائل من تفريغات أشرطة «مسائل الكفر والإيمان» لشيخنا فضيلة الشيخ المقدم باختصار وتصرف، ومن كلام الفخر الرازي وابن القيم.

يستحيل أن يوافقنا في شيءٍ من هذه العبادات، لكن الله أيضًا أمرنا أن نقول لا إله إلَّا الله، ثم إنه وافقنا فيها، فهي العبادة أو الذكر الذي يوافقنا الله تبارك وتعالى فيه، فالله يوافقنا في الشهادة بنفسه بأن لا إله إلَّا الله كما نشهد نحن له بها تبارك وتعالى، يقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران]. فكررها في أول الكلام وفي آخره ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ كررها ليواظب العبد على تكرارها طوال عمره.

• قال ﷺ: «**أكثروا من شهادة أن لا إله إلَّا الله قبل أن يُحال بينكم وبينها ولقنوها موتاكم**»؛ فلذلك نُندب إلى الإكثار من شهادة أن لا إله إلَّا الله، لا تزهد في هذا الثواب العظيم كلما سهُلت على لسانك كلما سهُلت عليك عند الموت حتى تُوفق إلى أن تختم حياتك بلا إله إلَّا الله.

* أيضًا هذه الشهادة العظيمة شهادة أن لا إله إلَّا الله تدمج أو تمزج المؤمن بأنواع من القرابة المطهرة بأشرف نسب في هذه الدنيا فلا إله إلَّا الله هي نسبة ينتسب الإنسان بها إلى عائلة محددة أو إلى طائفة من أكرم الخلق على الله تبارك وتعالى فأنت إذا قلت: لا إله إلَّا الله أصبح أبوك إبراهيم عليه السلام، والدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾ [الحج: ٧٨]، فلا إله إلَّا الله تمنحك ويعني تجد بها أبوة إبراهيم ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾ وتجعل أزواج النبي ﷺ أمهاتك ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] فتدخل أنت أيضًا في من كانت عائشة وحفصة وسودة وغيرها من أمهات المؤمنين أمهات له؛ لأنك أصبحت من المؤمنين وبالتالي فإن أزواج النبي ﷺ أمهات لك.



* أيضًا هذه الكلمة تمنحك أخوة المؤمنين، يقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

* أيضًا تعطيك استغفار أو تدخلك تحت استغفار النبي ﷺ الذي أمره الله به في قوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

* وأيضًا تعطيك هذه الكلمة استغفار الملائكة تسبب لك استغفار الملائكة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر].

• وأيضًا تعطيك شفاعة رسول الله محمد ﷺ كما جاء في قوله: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

□ أيضًا تصبح أنت مؤمنًا يعني تنال هذا الشرف، وكل ما يترتب على هذا الوصف العظيم الذي تحوزه بنطقك بكلمة التوحيد.

□ طبعًا كلمة التوحيد لِعظم معانيها تعددت أساميها، وتكلم العلماء في ذلك كلامًا كثيرًا نحاول أن نجمله، فأول أسماء هذه الكلمة «كلمة التوحيد»؛ لأنها تدل على نفي الشرك على الإطلاق، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة: ١٦٣]. فأفاد قوله: لا إله إلَّا الله، هو التوحيد العام الكامل.

□ أيضًا تسمى «كلمة الإخلاص»؛ لأن الأصل في هذه الكلمة عمل القلب وهو كون الإنسان عارفًا بقلبه وحدانية الله تبارك وتعالى.

□ وهي: «كلمة الإحسان» يقول تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ [الرحمن]، يعني: هل جزاء الإيمان إلَّا الإحسان، وقوله: لا إله إلَّا الله يدل على اعترافه بأن كل ما سواه عبده ومربوبه، وقال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، اتفق المفسرون على أن المراد من قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ يعني: قالوا: لا إله إلَّا الله بقلوبهم أولًا بالتصديق بالقلب، ثم النطق باللسان، والعمل بالأركان فهؤلاء هم الذين أحسنوا، فاتفق المفسرون على تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ للذين أحسنوا يعني: قالوا: لا إله إلَّا الله والدليل أيضًا أنه لو قالها ومات ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة، تكلمنا من قبل في معنى الإحسان كما ذكرنا «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، لو قال رجل: لا إله إلَّا الله، ثم مات كذلك الرجل الذي أتى من بادية بعيدة، فلما اقترب ظل يتفرس في القوم، ويسأل فاستقبله النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: «**من تريد؟**» قال: أريد محمدًا رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال: «**قد استقبلته**»، يعني: هو الذي يكلمك، فسأله عن الإسلام، وكيف أصير مسلمًا، فأخبره بأن يفعل كذا وكذا وأن يشهد أن لا إله إلَّا الله فشهد بشهادة التوحيد، وقال كلمة الإحسان، ثم في لحظات وهو يمشي ببعيره بجمله بعدها قال: لا إله إلَّا الله وقع عثرت رجل البعير في حجر جرذان -تجويف تصنعه الفئران بجحورها- لكن هذا كان تجويفًا كبيرًا في الأرض، فعثرت الدابة فوقع الرجل على أم رأسه ومات في الحال فاجتمع عليه الصحابة فوجدوه قد مات، فتولى الصحابة رضي الله عنهم بأمر النبي ﷺ غسله وتكفينه ودفنه، وقال ما معناه: «**هذا الرجل عمل قليلًا وأجر كثيرًا**»، هذا رواه أحمد في «مسنده»، وفي نفس هذا المعنى أحاديث أخرى أيضًا من أهمها هو في البخاري، كذلك الرجل الذي أتى

وشهد شهادة التوحيد، ثم خرج في الجهاد فورًا فقتل شهيدًا فدخل الجنة فبين النبي ﷺ أن هذا الرجل عمل قليلًا وأجر كثيرًا، فمن قال هذه الكلمة ومات ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة، ودخل تحت قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ -الذين قالوا: لا إله إلَّا الله- ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾.

* وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت]. اتفقوا على أنها في فضيلة الأذان، هذه الآية ليست كما ينطبق إلى أذهاننا أنها فقط في الدعوة إلى الله لكن أساسًا تدخل في يدخل فيها المؤذن، وقال عليه الصلاة والسلام: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»، هذه الآية في المؤذنين أيضًا: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا﴾ يعني: لا أحد أحسن قولًا ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالأذان ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ وما هذه الفضيلة العظيمة إلَّا لاشتمال الأذان على لا إله إلَّا الله.

* وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]، فكما أنه لا قبيح أقبح من كلمة الكفر فكذلك لا حسن أحسن من كلمة التوحيد، يقول تبارك وتعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ في أول السورة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾، وفي آخرها قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ فالمؤمنون الذين قالوا: لا إله إلَّا الله يفلحون ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾، أما الكافرون الذين استكبروا عنها ختمت السورة بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾.

* وقال تبارك وتعالى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر]. ولا شك أن أحسن القول هو لا إله إلَّا الله فهي كلمة

التوحيد كلمة الإخلاص كلمة الإحسان.

* وهي أيضًا «دعوة الحق»، يقول تبارك وتعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو قول: لا إله إلَّا الله، وقوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ يفيد الحصر، أي: له هذه الدعوة لا لغيره، يعني: لا يقال في حق أحد غير الله: لا إله إلَّا الله، فهذا معنى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ مبتدأ وخبر، دعوة الحق له، هذا الأسلوب يفيد الحصر، أن هذه الكلمة التي هي دعوة الحق ليست لأحد إلَّا لله؛ فلذلك قال ابن عباس في تفسيرها: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يقال: لا إله إلَّا الله إلَّا في حق الله تبارك وتعالى.

* هي أيضًا «كلمة العدل» التي قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما العدل شهادة أن لا إله إلَّا الله، والإحسان الإخلاص فيها.

* هي أيضًا «الطيب من القول» و«ال» هنا كما في قوله عز وجل: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٦]. هي ليست كما يقولون بجهودكم أو بأنسابكم أو بأموالكم ولا بأعراضكم ولا بعرض الدنيا، وإنما هي مِنة من الله ليست بجهدك وشطارتك كما يقولون هي مِنة من الله أن جعلك من أهل لا إله إلَّا الله فهي هداية كما تكلمنا من قبل على الهداية ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾، فانظر كيف قال عز وجل وكيف عبر عن الطيب من القول، كيف عبر عن لا إله إلَّا الله، بماذا؟ بالطيب من القول وأل هنا للاستغراق، ما معنى تفيد الاستغراق؟ يعني:

ممكن أن نستبدلها بكلمة «كل» ممكن أن تستبدل حتى تصيب هذا المعنى تستبدل الألف واللام بكلمة كل يعني: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: هدوا إلى كل الطيب من القول يعني: كل طيب من الكلام ليس إلَّا ذلك المشار إليه، كل طيب من الكلام ليس إلَّا الذي هدوا إليه وهو كلمة لا إله إلَّا الله ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فلا أطيب ولا أطهر من هذه الكلمة، ولذلك دائمًا الطيب، عكس الطيب ايه؟ الخبيث، فتجد المشركين لما استكبروا عن التوحيد وصفهم الله بالخبث فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] نجس: خبيث ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ووصف أهل التوحيد بماذا؟ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس] زكاها طهرها، طهر قلبه بماذا؟ بلا إله إلَّا الله، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت] على أحد التفسيرات لا يؤتون الزكاة، يعني: ايه لا يؤتون الزكاة؟ يعني: لا يقولون: لا إله إلَّا الله، لا يزكون نفوسهم بالتوحيد، ولذلك المشرك مهما نظف نفسه فهو من أخبث خلق الله؛ لأن قلبه نجس فهو استكبر عن أن يؤمن بلا إله إلَّا الله، وأن يقول: لا إله إلَّا الله فهو نجس خبيث كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] فالنجاسة الحاصلة بسبب كفر، لو واحد عايش سبعين سنة وهو يشرك بالله أخس وأخبث أنواع الشرك والكفر والعياذ بالله، ثم قال هذه الكلمة مرة واحدة تزول بهذه الكلمة الطاهرة الطيبة نجاسة سبعين سنة من الكفر فتطهره تمامًا من نجاسة هذا العمر الطويل الذي قضاه في الإشراك بأن يقول: لا إله إلَّا الله مرة واحدة يطيب، فانظر وتخيل مثل هذا الخبث الذي يبقى عليه الإنسان سبعين سنة يزول بكلمة يقولها، نعم يزول بلا إله إلَّا الله،

لماذا؟ لأنها أطيب ما يقال على الإطلاق وأطهر.

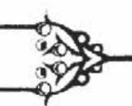
□ أيضًا كما أنها هي كل الطيب ولا أطيب منها من القول كذلك سماها الله تبارك وتعالى «الكلمة الطيبة» وهناك حكمة من تسمية لا إله إلَّا الله بهذا الاسم الشريف «الكلمة الطيبة» الطيبة أو يعني حكمة هذه التسمية الطيبة يعني: هي الكلمة الطاهرة عن التشبيه، والتعطيل، كما أن اللبن خارج من بين الفرث والدم وهو مبرأ عنهما، كلمة بريئة من الشرك ومن التشبيه ومن التعطيل كلمة لا إله إلَّا الله فكما يخرج اللبن خالصًا من بين فرث ودم كذلك تخرج كلمة التوحيد خالصة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل، أيضًا صاحبها يكون بها طيب الاسم في الدنيا، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾، أي: المؤمنون للمؤمنات: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ [النور: ٢٦] على بعض التفاسير الطيبات للطيبين يعني المؤمنات للمؤمنين أو المؤمنون للمؤمنات واضح، لكن هناك تفسير أشهر لعله أشهر وهو الطيبات من الصفات للطيبين من الناس، على أي الأحوال أيضًا مما يفيد أن صاحبها يكون طيب الاسم في الدنيا هذه الآية على هذا التفسير ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ وفي الآخرة أيضًا تفيده أن يسكن في مساكن طيبة أيضًا ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [التوبة: ٧٢] طيبة بمعنى مقبولة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] فما يصعد إليه من الكلم الطيب يقبله، وما لا فلا يصعد.

ويقول ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا**»، فمعنى أنها تصعد ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ فبما أنه كلم طيب فإن الله يقبل الكلم الطيب، لماذا؟ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا**»، أيضًا كلمة

طيبة أو هي الكلمة الطيبة، وقد شبهها الله تبارك وتعالى أيضًا بالشجرة الطيبة، قال المفسرون هي النخلة، النخلة هي أقرب مثل للعبد المؤمن، المؤمن ينفع الناس وغيره ونفسه على كل الأحوال لذلك أقرب ما يكون مثلًا منه هو النخلة، فالنخلة لا يرمى منها شيءٍ ما من شيءٍ في النخل إلَّا ويستفاد منه، فما هي أوجه الشبه بين المؤمن وبين النخلة؟

أولًا: لا تجري على كل لسان ولا في كل قلب كلمة لا إله إلَّا الله التي هي الكلمة الطيبة التي تنبت في قلب المؤمن ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [إبراهيم: ٢٤] هنا في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ فأول شيءٍ أن كلمة التوحيد لا تجري على كل لسان، ولا في كل قلب فليس كل محل قابل لأن يهدى للا إله إلَّا الله ليس كل محل، ولكن من اصطفاهم الله وطهر قلوبهم وزكاهم هم الذين تعمر قلوبهم بلا إله إلَّا الله، فربما تعرض على قلب آخر مشرك نجس فينبذها ويرفضها ولا تنبت فيه، لا تصلح معه واضح، فهي إنما تنبت في القلب الطيب. كلمة طيبة في قلب طيب لا تجري على كل لسان ولا في كل قلب، كذلك النخل لا ينبت في جميع البلدان بل في بعض دون بعض، أليس كذلك؟ النخل له تربة خاصة وأماكن معينة ينبت فيها دون بعض الأماكن الأخرى، كذلك كلمة التوحيد هي أعلى الكلمات والنخلة هي أطول الأشجار، الكلمة الطيبة أصلها ثابت في القلب وهو المعرفة وفرعها ثابت في السماء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، الشجرة الطيبة أيضًا النخلة ثابتة في الأرض وفروعها في السماء في العلو، الإيمان يثاب صاحبه في الدنيا لأجل إيمانه بأهلية الشهادة والولاية والأمانة، فكونك تدخل في أهل التوحيد بقولك: لا إله إلَّا الله فإنك تثاب على ذلك بهذه الكلمة الطيبة في الدنيا لأجل هذا

الإيمان وتصبح أهلًا للشهادة والولاية والأمانة فأنت تثاب عليها مرة في الدنيا بهذه الأمور وتثاب مرة في الآخرة وهي الجنة الدائمة والنعيم المقيم، وتثمر لك أيضًا هذه الثمرة الباقية والنعمة الدائمة في الآخرة، كذلك كلمة التوحيد وإن كان معها شيء من المعاصي لكنها تنفع صاحبها يعني كلمة التوحيد مثل الروح بالنسبة للبدن فالإنسان لو فقد ذراعه بتر ذراعه أو قدمه أو استأصل أي شيء من جسده مما يستقيم له الحياة ويظل حيًا بعد ذلك، لكن إذا يعني الإنسان ممكن أن يعيش بلا عين يعيش بلا رجل يعيش بلا يد وهكذا لكن هل يعيش بلا روح؟! لا يمكن إنسان يحيا بغير روح، كذلك الإيمان قد تتخلف بعض أركانه قد يقع الإنسان في بعض الذنوب قد يضيع بعض الواجبات، ولكن ما دام معه في قلبه لا إله إلَّا الله فإنه يبقى إيمانه حيًا، أما إذا خرجت لا إله إلَّا الله أو لم يقلها فهو ميت، كذلك المشرك الذي لم يقل لا إله إلَّا الله هو ميت في صورة حي، حياته مثل حياة البهائم والأنعام، نعم يأكل ويتنفس ويتحرك ويتكاثر ويخرج كل هذه الوظائف لكنه حي مثل ايه؟ كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف] فمن كان معه لا إله إلَّا الله فهو الحي، ومن حرمها فهو الميت، وإن بدا وغدا وراح في صورة الحي، يقول الله تبارك وتعالى لأهل لا إله إلَّا الله: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر] فالنخلة وإن حصل في وسط ثمرتها نواة لا خير فيها فإن قيمة الثمرة لا تنقص بسبب النواة، يعني هذه الثمرة البلح الذي تأكله بيكون في داخله هذه النواة أنت ربما لا تنتفع بهذه النواة واضح، لكن هل وجود هذه النواة يقدح في قيمة الثمرة أو في قيمة هذه النخلة؟ كلا،



كذلك إذا وجدت معك لا إله إلَّا الله فإن بقائها معك لا يقدح في إيمانك وإن قصرت في بعض المخالفات، الدين أوله التكاليف الشاقة أول الدين فيه تكاليف شاقة تصبر على أداء هذه التكاليف هذه المشقة تكون مثل الشوك لكن أعلاه الثمرة الحلوة اللذيذة وهي معرفة الله، ثم الجنة في الآخرة، كذلك النخلة أسفلها شوك والثمرة في أعلاها، فهذه بعض أوجه الشبه حاول الرازي رحمه الله في تفسيره أن يجمعها فيما معنى ما هي أوجه الشبه بين النخلة التي هي الشجرة الطيبة وبين الكلمة الطيبة التي هي لا إله إلَّا الله.

من درر ابن القيم ولآلئه:

□ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم].

فشبه تبارك وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلَّا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضٍ لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

□ وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كلمة طيبة: شهادة أن لا إله إلَّا الله، كشجرة طيبة: وهو المؤمن. أصلها ثابت قول:

لا إله إلَّا الله في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء»(١).

□ وقال الربيع بن أنس: «كلمة طيبة: هذا مثل الإيمان، فالإيمان: الشجرة الطيبة، وأصلها الثابتُ الذي لا يزول: الإخلاص فيه، وفرعها في السماء: خشية الله».

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن، فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علوًا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء.

ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدِّقها جوارحه، ونفي تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سُبُل ربه ذُللًا، غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلًا، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلًا، فلا ريب أن

(١) أخرجها الطبري (١٣/ ٢٠٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٣٥)، الطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٥٢٧).

هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلمًا كثيرًا طيبًا، يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملًا صالحًا كل وقت.

والمقصود: أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتًا، متصفًا بموجبها، قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة ثمرتها كل وقت.

□ ومن السلف من قال: «إن الشجرة الطيبة هي النخلة، ويدل عليه حديث ابن عمر في الصحيح»[1].

□ ومنهم من قال: «هي المؤمن نفسه، كما قال محمد بن سعد: حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾، يعني بالشجرة الطيبة: المؤمن. ويعني بالأصل الثابت في الأرض، والفرع في السماء، يكون المؤمن يعمل في الأرض ويتكلم، فيبلغ عمله وقوله السماء وهو في

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ١٧٥) في العلم، باب: قول المحدث: «حدثنا».

الأرض.

□ وقال عطية العوفي في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾، قال: «ذلك مثل المؤمن، لا يزال يخرج منه كلام طيب، وعمل صالح يصعد إلى الله».

□ وقال الربيع بن أنس: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ : «ذلك المؤمن، ضرب مثله في الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، أصلها ثابت، قال: أصل عمله ثابت في الأرض، وفرعها في السماء، قال: ذكره في السماء». ولا اختلاف بين القولين.

والمقصود بالمثل: المؤمن، والنخلة مُشَبَّهة به، وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة، فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك.

ومن قال من السلف: «إنها شجرة في الجنة، فالنخلة من أشرف أشجار الجنة».

✍ وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به، ويقتضيه علم الرب الذي تكلم به، وحكمته.

فمن ذلك: أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، كذلك شجرة الإيمان والإسلام؛ ليطابق المشبه المشبه به، فعروقها: العلم، والمعرفة، واليقين، وساقها: الإخلاص، وفروعها: الأعمال، وثمرتها: ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة، والصفات الممدوحة، والأخلاق الزكية، والسَّمْت الصالح، والهدى، والدَّلّ المرضي، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور.

فإذا كان العلم صحيحًا مطابقًا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به،

والاعتقاد مطابقًا، لما أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر، والهدى والدَّلُّ والسَّمْت مشابه لهذه الأصول مناسب لها؛ علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا كان الأمر بالعكس، علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة، التي اجتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ومنها: أن الشجرة لا تبقى حية إلَّا بمادة تسقيها وتنميها، فإذا قطع عنها السقي أوشكت أن تيبس، فهكذا شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلَّا أوشكت أن تيبس.

• وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث أبي هريرة ﵁: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان يخلق في القلب كما يخلق الثوب، فجددوا إيمانكم**»[(١)].

وبالجملة: فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه أوشك أن يهلك.

ومن هنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات، وعظيم رحمته، وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده، أو وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

ومنها: أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة، أن لا

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٤)، وقال: رواته مصريون ثقات، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير»، وإسناده حسن. «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢).

بد أن يخالطه دَغَل ونبت غريب، ليس من جنسه، فإن تعاهده ربه ونقاه وقلعه، كمل الغرس والزرع، واستوى، وتم نباته، وكان أوفر لثمرته وأطيب، وأذكى، وإن تركه أوشك أن يغلب على الغراس والزرع، ويكون الحكم له، أو يضعف الأصل ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته.

ومن لم يكن له فقه نفس في هذا ومعرفة به؛ فإنه يفوته ربح كبير، وهو لا يشعر.

فالمؤمن دائمًا سعيه في شيئين: سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم، وبتنقية ما حولها تكمل وتتم، والله المستعان وعليه التكلان.

فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم، ولعلها قطرة من بحر، بحسب أذهاننا الواقفة، وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلَّا فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله، لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل، والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله، ومن يختص برحمته.

ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة [1]، فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار، فلا عِرْق ثابت، ولا فرع عال، ولا

---

(١) وذلك قول تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦].



ثمرة زاكية، فلا ظل، ولا جَنًى، ولا ساق قائم، ولا عرق في الأرض ثابت، فلا أسفلها مُغْدِق، ولا أعلاها مُونِق، ولا جنى لها، ولا تعلو، بل تُعْلَى.

وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم؛ وجده كذلك، فالخسران: الوقوف معه، والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه، -الذي هو كتاب الرب سبحانه-.

□ قال الضحاك: «ضرب الله مثلًا للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يقول: ليس لها أصل ولا فرع، وليس لها ثمرة، ولا فيها منفعة، كذلك الكافر لا يعمل خيرًا، ولا يقوله، ولا يجعل له فيه بركة ولا منفعه».

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ومثل كلمة خبيثة»: وهي الشرك، كشجرة خبيثة: يعني: الكافر، اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يقول: الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر، ولا برهان، ولا يقبل الله مع الشرك عملًا، فلا يقبل عمل المشرك، ولا يصعد إلى الله، فليس له أصل ثابت في الأرض، ولا فرع في السماء، يقول: ليس له عمل صالح في السماء ولا في الأرض».

□ وقال الربيع بن أنس: «مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض، ولا يصعد إلى السماء».

□ وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية: «إن رجلًا لقي رجلًا من أهل العلم، فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة؟ قال: ما أعلم لها في الأرض مستقرًا، ولا في السماء مصعدًا، إلَّا أن تلزم عنق صاحبها، حتى يوافي بها

القيامة»[(١)].

ولله در شيخنا الدكتور محمد إسماعيل المقدم إذ يقول:

«هي أيضًا «كلمة التقوى»؛ لأن صاحبها يتقي أنْ يصف ربه بما وصفه به المشركون، وهي واقية لبدنك من السيف، ولمالك من الاستغنام من أن يصير غنيمة للمسلمين، ولذمتك من الجزية، ولأولادك من السبي، فإن انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر، وإن انضم التوفيق صارت واقية لك من المعاصي ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

هي أيضًا «الكلمة الباقية» فالتوحيد لا يزول بالمعصية كما نعلم وكما سنبين أن المعاصي تقدح في كمال الإيمان لكن لا تقدح في أصل الإيمان، فالتوحيد لا يزول بالمعصية، والمعصية تزول بسبب التوحيد؛ فلذلك هي الكلمة الباقية.

يقول تبارك وتعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] لماذا؟ الآية تقول: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف] طبعًا هنا هو لم يقل كلمة التوحيد لكن ذكر معناها الكفر بالطاغوت وتوحيد الله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا هو معنى الكفر بالطاغوت الذي هو أحد شقي الشهادة ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فهذا هو الإثبات إثبات التوحيد لله تبارك وتعالى والإيمان به، فهنا عبر عن لا

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٢٢٤- ٢٣٠).

إله إلَّا الله بمعناها، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ ما هي هذه الكلمة الباقية؟ هي لا إله إلَّا الله نعم.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]. كل شيءٍ هالك إلَّا وجهه، والله سبحانه وتعالى واجب الدوام والبقاء والقول تبع المقول فتبقى حقيقة لا إله إلَّا الله ثابتة البقاء والدوام.

□ هي أيضًا «القول الثابت» الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم]. يضلهم فلا يستطيعون أن يقولوها.

□ وهي «كلمة الله العليا» ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ ﴾ [التوبة: ٤٠] وهي لا إله إلَّا الله، وكلمة الله عليا على الدوام؛ لذلك لم يعطفها على ما قبلها على كلمة الذين كفروا، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى لم يقل وكلمة الله هي العليا حتى لا تتعدى تبقى مفعول للجعل أو معطوف على كلمة الذين كفروا، لكن ابتدأ جملة جديد، وقال كلمة الله هي العليا.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣] فالظهور والعلو هنا لماذا؟ للا إله إلَّا الله.

□ أيضًا هي «المثل الأعلى» كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [النحل: ٦٠].

□ قال قتادة: «هو قول لا إله إلَّا الله، فالمثل هنا معناه الصفة مثلما يقول ﷻ: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ ﴾ [الرعد: ٣٥] مثل الجنة

يعني صفة الجنة التي وعد المتقون، كذلك هنا ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الصفة، وهي لا إله إلَّا الله».

□ هي أيضًا: «كلمة السواء» يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] ما هي هذه الكلمة؟ لا إله إلَّا الله، بعض الناس وللأسف يسيئون استعمال هذه الآية ذوي القلوب المريضة من المنافقين ليداهنوا النصارى وإخوانهم الذين نافقوا فيقولون ويفهموا الناس: أن كلمة سواء يعني حل وسط، ما هي يعني أن تدخلوا في الإسلام وهذا هو المعنى ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي أن تدخلوا في دين الله في الإسلام، وتقولوا لا إله إلَّا الله واضح محمد رسول الله، مش كلمة سواء يعني حل وسط يرضي جميع الأطراف فهذا ما لا يجوز، والدليل على هذا قوله تبارك وتعالى بعدها ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

□ أيضًا هي «كلمة النجاة» كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وأيضًا كما قال المؤمن: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر] ما هي النجاة؟ هي قول: لا إله إلَّا الله.

□ أيضًا هي «العهد» الذي أشار إليه تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، يعني: أوفوا بلا إله إلَّا الله، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ [البقرة: ٤١]، فإذا يكون المراد من العهد هو الإيمان وهو قول: لا إله إلَّا الله.

□ وهي أيضًا «كلمة الاستقامة» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠].

□ وهي أيضًا «مقاليد السماوات والأرض» يقول ابن عباس في قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]، قال: هو قول: لا إله إلَّا الله فبها تفتح أبواب السماء عند الدعاء، وأبواب الجنان لا تُفتح إلَّا بها، وأبواب النيران لا تغلق لا بها، وباب القلب لا يفتح إلَّا بها، وأنواع الوساوس لا تندفع إلَّا بها، فالمقاليد المفاتيح: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو أن تقول: لا إله إلَّا الله لماذا؟ لأنه بلا إله إلَّا الله تفتح أبواب السماء عند الدعاء، وبلا إله إلَّا الله تفتح أبواب الجنة؛ لأنه لن يدخل الجنة إلَّا نفس مؤمنة موحدة، فلا يمكن أبدًا مشرك يدخل الجنة محرمة، إن الله حرم الجنة على من لم يقل: لا إله إلَّا الله واستكبر عنها، فأيضًا أبواب الجنة لا تفتح إلَّا بها، وأبواب النيران لا تغلق إلَّا بها، وباب القلب لا يفتح إلَّا بها، وأنواع الوساوس لا تندفع إلَّا بها، فلذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو قولك: لا إله إلَّا الله.

□ هي أيضًا «القول السديد» كما قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾ [الأحزاب]، سديدًا فعيل، الفعيل ممكن تأتي بمعنى فاعل، وممكن تأتي بمعنى مفعول، فإذا قيل: إنها سديد بمعنى فاعل يعني: قولوا قولًا يسد على صاحبه أبواب جهنم، أو إذا قلنا: سديد بمعنى مفعول كما تقول: جريح أو أسير يعني مأسور أو مقول كذلك سديد أي مفعول يعني: يسد صاحبه عن أن يضيره شيءٍ من الذنوب، ومنه سد يأجوج ومأجوج سد إنما هو لدفع ضررهم، فكذلك كلمة

التوحيد هي القول السديد؛ لأنك بها تسد على أن يضرك شيءٌ من الذنوب.

□ هي أيضًا «البر» ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] إشارة إلى التوحيد المفهوم من لا إله إلَّا الله.

□ وهي «كلمة الصدق» ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر: ٣٣] جاء بالصدق يعني: بلا إله إلَّا الله، فهذه بعض أسماء لا إله إلَّا الله وفضائلها»..». انتهى الكلام الطيب من جمع شيخنا الطيب والمطيب مقدم أهل مصر فضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

□ ولله درُّ القائل:

إليكَ وإلَّا لا تُشَدُّ الركائِبُ	ومِنْكَ وإلَّا فالمُؤَمِّلُ خائبُ
وفيكَ وإلَّا فالغرامُ مُضَيَّعٌ	وعنْكَ وإلَّا فالمُحَدِّث كاذبُ